الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



# وكالة التحرّيات النسائية الأولى

The No. 1 Ladies' Detective Agency

«أحد أهم الكتب العالمية لهذا العام»

– ملحق «التايمز» الأدبي

رواية



ألكسندر مكول سميث

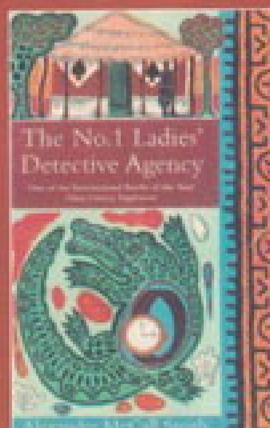


# وكالة التحريات النسائية الأولى

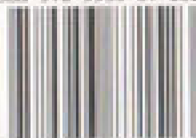
بنات متمردات، أزواج مفقودون، أزواج عابثون، محتالون غريبو الأطوار. إذا كنت تعاني من مشكلة ولم يتمكن أحد آخر من تقديم المساعدة لك، فقم بزيارة إلى «بريشس راموتسوي» التحرية الخاصة الوحيدة والأفضل في بتسوانا.

قد تكون طرقها غير تقليدية وأسلوبها ليس بالضبط كأسلوب الآنسة «ماربل»، ولكنها تتمتع بالدفء والذكاء والحدس البارع، ناهيك عن «السيد جي إل بي ميتكوني» الفاتن مالك كراج «تلوكوينغ رود سبيدي موتورز». وسوف تحتاج «بريشس» كل هذا وهي تنطلق في رحلة اقتفاء أثر طفل مفقود، وهي قضية تُعرِّض بطلتنا لعدد كبير من المواقف الغريبة ولخطر ليس بقليل.

تقدم رواية «وكالة التحريات النسائية الأولى» للقارئ متعة مختلفة وصورة آسرة لعالم ناء.






ISBN 978-9953-87-152-3
9 789953 871523

مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop
6 ميدان طلعت حرب – القاهرة
هاتف: 5756421 – فاكس: 5752854
info@madboulybooks.com


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

# وكالة التحرّيات النسائية الأولى

The No. 1 Ladies' Detective Agency

«أحد أهم الكتب العالمية لهذا العام»

- ملحق «التايمز» الأدبي

رواية



تأليف

ألكسندر مكول سميث

ترجمة

أفنان محمد سعد الدين



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

# الفصل الأول

## الوالد

كانت السيدة راموتسوي تملكُ وكالة تحريات في أفريقيا عند سفح تلة "غيل هل". وكانت موجوداتُها على النحو التالي: سيارةُ فان بيضاءُ صغيرة وطاولتا مكتب وكرسيان وهاتفٌ وآلةٌ كاتبة قديمة. ثم أصبحَ هناك إبريقُ شاي كانت السيدة راموتسوي - وهي التحريةُ الخاصةُ الوحيدة في بتسوانا - تغلي شاي الأعشاب فيه. كما كانت هناك ثلاثةُ فناجين، واحدٌ لها وواحدٌ لسكرتيرتها وواحد للزبون. وهل كانت وكالةُ تحرياتٍ لتحتاجَ إلى أيّ شيء آخرَ فعلاً؟ إنّ وكالاتِ التحريات تعتمدُ على الحدسِ والذكاءِ البشريين. وقد كانت السيدةُ راموتسوي تتمتعُ بوفرةٍ من هاتين الصفتين. ولم يكن أي جَرْدٍ بالمحتوياتِ ليتضمنَ بالطبع أيّاً من هذين الأمرين.

ولكن كان هناك أيضاً المنظرُ الذي لم يكنْ ليظهرَ على أيةِ قائمة جَرْد. وكيف كان لأية قائمةٍ كتلك أن تصفَ ما الذي كان المرءُ يراه عندَ النظرِ خارجَ بابِ وكالةِ السيدةِ راموتسوي؟ فقد كانت توجدُ في الأمام شجرةُ أكاسيا، وهي الشجرةُ الشوكية التي تنتشرُ في جوانبِ صحراءِ كالاهاري الواسعة. وكانت الأشواكُ البيضاءُ الكبيرةُ بمثابةِ تحذير. أما بالمقابل، فقد كانت الأوراقُ ذاتُ اللونِ الرمادي الزيتوني شديدةَ الرقة. وقد يرى المرءُ في أغصانها في فترةِ العصرِ المتأخر أو في برودةِ الصباحِ الباكرِ طيراً مهاجراً، أو بالأحرى قد يسمعُه. وكانت هناك خلفَ شجرةِ الأكاسيا فوقَ الطريقِ المُغبرِ توجدُ سطوحُ منازلِ البلدة تحت غطاءٍ من الأشجارِ والشجيرات الخفيضة. وكانت

تـوجدُ في الأفقِ في وميضِ الحرارةِ الأزرقِ التلالُ التي تشبهُ بيوتَ النملِ الأبيضِ المفرطةَ في النمو.

كـان الجمـيعُ يـنادونها السيدة راموتسوي. رغم أن الناسَ لو رغبوا أن يكونوا رسميين لكانوا قد خاطبوها باسم مدام راموتسوي. إذ إن هـذا هـو الأمـرُ الصحيحُ بالنسبة لشخصٍ ذي منزلةٍ رفيعة، ولكـنها لـم تستخدمْه بنفسها قط. وهكذا، فقد كان اسمُها دائماً السيدة راموتسوي بدلاً من "بريشسْ راموتسوي"، الاسم الذي كان عددٌ قليلٌ جداً من الناس يستخدمونه.

كانت تحريةً بارعةً وامرأةً صالحة. وقد يقولُ المرءُ إنها امرأةٌ صـالحةٌ في بلدٍ صالح. وقد كانت تحبُ بلدَها بتسوانا، وهو بلدٌ آمن، وتحـبُ أفـريقيا بكل محَنِها. وقد قالت السيدة راموتسوي: "إنني لا أخجـلُ من أن أُدعى وطنيةً أفريقيةً، وأحبُ جميعَ الناسِ الذين خلقهم الربُ. ولكنني بشكلٍ خاصٍ، أعرفُ كيف أحبُ الناسَ الذين يعيشون فـي هـذا المكـان. فهـم شعبي وإخوتي وأخواتي، ومن واجبي أن أساعدَهم على حلِّ الألغازِ التي في حياتهم. وهذا ما هو مطلوبٌ مني أن أفعلَه".

وفـي لحظاتِ الفراغِ التي لم تكن فيها مسائلُ ملحةٌ ليتم حلُّها، وكـان يبدو فيها على الجميع أنهم يشعرون بالنعاسِ بسببِ الحرارة، كانت تجلسُ تحتَ شجرةِ الأكاسيا. وقد كان مكاناً مُغبراً للجلوسِ فيه. وكانت الدجاجاتُ تأتي من حينٍ لآخرَ لتنقرَ حول قدميها. ولكنه كان يبدو مكاناً يُشجعُ على التفكير. فكان هذا هو المكانَ الذي كانت السيدة راموتسوي تتأملُ فيه ببعضِ القضايا التي قد يكونُ من الممكن لها في الحياة اليومية أن تُؤجِّلَ لوقتٍ آخرَ بكلِ سهولة.

وفكـرت السيدة راموتسوي قائلةً في نفسها: لقد كان كلُّ شيءٍ شـيئاً آخـرَ في السابق. فها أنا ذا التحريةُ الخاصةُ الوحيدةُ في كلِّ أنحـاء بتـسوانا أجلسُ أمام وكالةِ التحرياتِ الخاصةِ بي. ولكن قبلَ



سـنواتٍ قليلةٍ فقط، لم تكن هناك وكالةُ تحريات. وقبل ذلك، لم تكنْ هناك حتى أيةُ أبنيةٍ هنا، بل كانت توجدُ فقط شجرةُ الأكاسيا ومجرى النهرِ البعيد. وكانت صحراءُ كالاهاري قريبةً جداً.

في تلك الأيام، لم تكن بتسوانا موجودةً حتى، بل كانت هناك فقط "محميةُ بيتشوانالَند". ومن قبل، علاوةً على ذلك، كانت هناك بـلادُ الـرئيس "خامـا" والأسودُ والرياحُ الجافةُ التي تهبُ على أعـرافها. ولكن انظرْ إليها الآن: وكالةُ تحرياتٍ هنا بالضبط في مديـنة غابـورون وأنا التحريةُ البدينةُ أجلسُ خارجها وأفكرُ بتلك الأفكـار حـولَ الطريقةِ التي يصبحُ فيها شيءٌ ما اليومَ شيئاً آخرَ تماماً غداً.

أسـست السيدةُ راموتسوي **وكالة التحريات النسائية الأولى** من أموالِ ماشيةِ والدها التي باعتْها، فقد كان يملكُ قطيعاً كبيراً. ولم يكن لديه أولادٌ آخرون، لذا فقد عادَ إليها كلُّ رأسٍ من القطيع، وكان كامل قطيعه مائة وثمانين رأساً بما فيها الثيرانُ البراهميةُ البيضاء التي كان قد قامَ بتربيةِ جدِّيها بنفسه. وقد نُقلت الماشيةُ من مركزِ الماشيةِ عائدةً إلـى مديـنة موتشودي حيث انتظرتْ في الغبارِ تحت أعينِ الصبيةِ الرعاةِ المثرثرين حتى جاءَ وكيلُ الماشية.

وقـد عادتْ عليها بسعرٍ جيد لأن أمطاراً غزيرةً قد هطلتْ في ذلك العام، وكان العشبُ وافراً. ولو أن ذلك قد حدثَ في العامِ السابقِ عندما كان معظمُ الجزءِ الجنوبي من أفريقيا قد خربه الجفاف لكانت تلـك مسألةً مختلفة. إذ كان الناسُ قد ترددوا حينئذ راغبين بالتمسكِ بمواشـيهم، وكـأن المرءَ يكونُ عارياً بدون ماشيته. أما الآخرون، ولـشعورهم بيأسٍ أكثر، فقد باعوا لأن الأمطارَ كانت تشحُ عاماً بعد عـام. ورأوا الحـيوانات تـصبحُ نحيلةً أكثر فأكثر. وكانت السيدة راموتـسوي مسرورةً أن مرضَ والدها قد منعه من اتخاذِ أي قرارٍ لأنَّ السعرَ كان قد ارتفع عندئذ فكوفئ الذين صمدوا مكافأةً جيدة.

وقد قال لها وهو على فراش الموت: "أريدُ أن يكون لك مشروعُك الخاص. إذ إنك ستحصلين على سعرٍ جيدٍ مقابلَ الماشيةِ الآن. لذا قومي ببيعها واشتري مشروعاً مثل مسلخٍ ربما أو مخزنٍ لبيعِ المشروبات، أو أياً كان ما تريدينه".

أمسكتْ بيدِ والدها، ونظرتْ في عيني ذلك الرجلِ الذي أحبّته أكثرَ من الآخرين جميعاً، والدها الحكيم الذي امتلأتْ رئتاه بالغبارِ في تلك المناجم والذي كان قد اقتصدَ ووفرَ المالَ ليؤمنَ لها حياةً طيبةً.

وكان من الصعب عليها أن تتكلمَ عبرَ دموعِها ولكنها تمكنتْ من أن تقول: "سوف أؤسسُ وكالة تحريات في غابورون وستكونُ الأفضلَ في بتسوانا، الوكالةَ الأولى".

اتسعتْ عينا والدها للحظة، وبدا كأنه كان يجهدُ نفسَه ليتكلم، فقال: "ولكن... ولكن".

ولكنه تُوفي قبل أن يتمكنَ من أن يقولَ أيَّ شيء آخر. فانهارتِ السيدةُ راموتسوي على صدره وبكتْ من أجلِ الكرامةِ والحبِ والمعاناةِ التي ماتتْ معه.

وضعت لافتةً مطليةً بألوانٍ زاهية، وأقامتها في ذلك الوقت خارجَ طريق "لوبيتس" مباشرةً عند طرف البلدة. وكانت اللافتةُ تشيرُ إلى البناءِ الصغيرِ الذي كانت قد اشترته. وقد كُتبَ عليها ما يلي: وكالة التحريات النسائية الأولى. لجميع المسائل والتحقيقات السرية. الرضا مضمون لجميع الأطراف. تحت إدارة شخصية.

وقد حدثَ اهتمامٌ شعبيٌ كبيرٌ بتأسيسِ وكالتها. وأُجريتْ معها مقابلةٌ في إذاعة "راديو بتسوانا" اعتقدتْ فيها أنه قد تم الضغطُ عليها بشكلٍ وقحٍ إلى حدٍ ما لتبوحَ بمؤهلاتها. كما كُتبَ مقالٌ باعثٌ على الرضا نوعاً ما في صحيفة "ذا بتسوانا نيوز". فلفتَ الانتباهَ إلى حقيقةِ أنها كانت التحريةَ الخاصةَ الأولى في البلاد. وقد اقتُطعَ المقالُ ونُسخَ ووضعَ بشكلٍ بارزٍ على لوحةٍ صغيرةٍ جانبَ البابِ الأماميِ للوكالة.



وبعدَ بدايةٍ بطيئة، كانت متفاجئةً إلى حدٍ ما لتجدَ أن خدماتِها كانت مطلوبةً إلى حدٍ كبير. فقد تمت استشارتُها بخصوصِ أزواجٍ مفقودين وبخصوصِ موثوقيةِ شركاء تجاريين محتملين وبخصوصِ خداعٍ مشتبهٍ به من قبل بعضِ الموظفين. وقد كانت في كلِ قضيةٍ تقريباً قادرةً على أن تأتيَ ببعضِ المعلوماتِ على الأقل من أجل الزبون. وعندما لم تكن تستطيعُ ذلك، كانت تتنازلُ عن أتعابها، الأمرُ الذي كان يعني أنه لم يكن أحدٌ فعلياً ممن استشاروها غير راضٍ. وقد اكتشفتْ أنَّ الناس في بتسوانا كانوا يحبونَ أن يتحدثوا. فكان مجردُ ذكرِ حقيقةِ أنها كانت تحريةً خاصةً يطلقُ تدفقاً إيجابياً للمعلوماتِ في كافةِ أنواعِ المواضيع. وقد استنتجتْ أن الناسَ كانوا يشعرون بالإطراء لاقترابِ تحرٍ خاصٍ منهم، فكان ذلك يُطلقُ ألسنتهم بشكلٍ فعال. وحدثَ هذا مع "هابي بابيتسي"، وهي إحدى زبائنها الأُوَل. كم أنتِ مسكينةٌ يا هابي! أن تكوني قد فقدتِ والدك ثم عثرتِ عليه ثم فقدتِه مجدداً...

قالت هابي بابيتسي: "اعتدتُ أن أعيشَ حياةً سعيدةً جداً. ثم حدثَ هذا الأمرُ، فلا أستطيعُ أن أقولَ هذا مجدداً".

كانت السيدةُ راموتسوي تراقبُ زبونتها وهي ترشفُ شايَ الأعشاب. وكانت تعتقدُ أن كلَّ شيء يريدُ المرءُ معرفتَه عن شخصٍ ما يكونُ مكتوباً على وجهه. ليس الأمرُ أنها كانت تعتقدُ أن شكل الرأسِ هو ما يؤخذُ بعين الاعتبار – حتى لو كان هناك كثيرون ما يزالون يتشبثون بذلك الاعتقاد – بل كانت مسألةً تتعلقُ أكثرَ بالعنايةِ بتفحصِ الخطوطِ والمظهرِ العام. وبالطبع، فقد كانت العيونُ هامةً جداً. إذ إن العيونَ سمحت للمرءِ بأن يرى داخلَ شخصٍ ما مباشرةً وأن يخترقَ جوهره بحدِ ذاته. وذلك كان هو السببَ في أنَّ الناسَ الذين يخفون شيئاً ما يرتدون نظاراتٍ شمسيةً داخلَ الغرف. فأولئك هم الذين وجبَ على المرءِ أن يراقبَهم بحذرٍ شديد.

كانت هابي بابيتسي هذه ذكية، وكان ذلك بادياً عليها حالاً. وكانت أيضاً تعاني من بعضِ الهموم. وكان هذا يظهرُ في حقيقة أنه لم تكنْ هناك خطوطٌ على وجهها عدا عن خطوطِ الابتسام بالطبع. فاعتقدتِ السيدة راموتسوي أنّ مشكلتها إذا كانت مشكلة تتعلق برجلٍ ما ظهرَ وأفسدَ كلَّ شيء مدمراً سعادتها بسلوكه السيئ.

قالت هابي بابيتسي: "دعيني أخبرك القليلَ عن نفسي أولاً. إنني من مدينة "مون" على نهر "أوكافانغو" بالضبط. وقد كانت والدتي تملكُ دكاناً صغيراً. وكنتُ أعيشُ معها في المنزلِ خلفه. وقد كنا نملكُ الكثيرَ من الدجاج وكنا بغاية السعادة.

"وأخبرتني والدتي أن والدي كان قد غادرَ قبلَ وقتٍ طويل عندما كنتُ لا أزالُ طفلةً صغيرة. فكان قد ذهبَ للعملِ في مدينة "بولاوايو"، ولم يعدْ بعدَ ذلك أبداً. وكان أحدُهم قد كتبَ لنا – وهو أحدُ مواطني بتسوانا الذين يعيشون هناك – ليقولَ لنا إنه يعتقدُ أن والدي قد توفي، ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك. وقال إنه كان قد ذهبَ لرؤية أحدٍ ما في مستشفى "مبيلو" في أحد الأيام. وبينما كان يمشي على طولِ أحدِ الممراتِ رآهم يدفعون أحداً ما على نقالة خارجاً. وكان ذلك الشخصُ الميتُ على النقالة يبدو شبيهاً بوالدي بشكلٍ ملحوظ، ولكنه لم يستطعْ أن يتأكدَ من ذلك.

"وهكذا اعتقدنا أنه كان ميتاً على الأرجح. ولكنْ أمي لم تهتمْ كثيراً لأنها لم تكن بالفعلِ قد أحبته كثيراً أبداً. وبالطبع، لم أكن أستطيعُ حتى أن أتذكرَه، لذا، لم يشكلْ هذا الأمرُ أهميةً كبيرةً بالنسبة لي.

"ذهبتُ إلى المدرسةِ في "مون" في مكانٍ كان يديرُه بعضُ المبشرين الكاثوليكيين. وقد اكتشفَ أحدُهم أنه كان باستطاعتي أن أقومَ بالحسابِ بشكل جيد إلى حد ما فقضى وقتاً كثيراً وهو يساعدني. وقال إنه لم يلتقِ أبداً بفتاةٍ تستطيعُ الحسابَ على ذلك النحو الجيد.



"أعتقدُ أنه كان أمراً غريباً جداً. إذ إنني كنتُ أستطيعُ أن أنظرَ إلى مجموعة من الأرقام وأقومُ بتذكرِها وحسب. ثم كنتُ أكتشفُ أنني كنت قد جمعتُ الأرقامَ في ذهني حتى دون أن أفكرَ بها. فكانت تخطرُ ببالي بسهولةٍ شديدة تماماً، ولم يكن عليَّ أن أشتغل بها على الإطلاق.

"أبليتُ بلاءً حسناً في امتحاناتي. ونتيجة لذلك، رحلتُ إلى غابورون، وتعلمتُ كيف أصبحُ مُحاسبة. ومجدداً، كان ذلك بسيطاً جداً بالنسبة لي. فقد كان باستطاعتي أنْ أنظرَ إلى ورقةٍ كاملةٍ من الأرقام وأفهمَها على الفور. وعندئذ، كنتُ أستطيعُ في اليوم التالي أن أتذكرَ كل رقمٍ بالضبط وأن أدونَها كلَّها إن تطلبَ الأمرُ ذلك.

"حصلتُ على وظيفة في المصرف. وكنتُ أحظى بترقية تلو الأخرى. فأصبحتُ الآنَ المحاسبةَ البديلةَ الأولى. ولا أعتقدُ أنني أستطيعُ التقدمَ أكثرَ لأن الرجالَ جميعاً قلقون من أنني سأجعلُهم يبدون أغبياء، ولكنني لا أمانعُ بذلك. فأنا أحظى بدخلٍ جيد، وأستطيعُ إنهاءَ عملي بحلول الساعة الثالثة عصراً وأحياناً في وقتٍ أبكر. وبعد ذلك، أذهبُ للتسوق. إنني أملكُ منزلاً جميلاً ذا أربعِ غرف، وأنا سعيدةٌ جداً. وأن يتمتعَ المرءُ بكلِّ ذلك بحلول الوقت الذي يبلغُ فيه الثامنة والثلاثين هو أمرٌ جيدٌ كفايةً كما أعتقد".

فابتسمت السيدةُ راموتسوي قائلة: "كلُّ هذا مثيرٌ للاهتمام كثيراً. وأنت محقة فقد أبليت بلاءً حسناً".

وقالت هابي بابيتسي: "إنني محظوظةٌ جداً. ولكن عندئذٍ وصلَ والدي إلى المنزل".

فأخذت السيدةُ راموتسوي نفساً، إذ إنها لم تكن تتوقعُ هذا. فقد اعتقدتْ أن المشكلة تتعلق بأحدِ الأصدقاء. أما الآباءُ فقد كانوا مسألةً مختلفةً تماماً.

وقالت هابي بابيتسي: "لقد قرعَ البابَ وحسب. وكان ذلك في عصر أحدِ أيام السبت. وكنتُ آخذُ استراحةً على سريري عندما سمعتُ قرعَه على الباب. فنهضتُ وذهبتُ إلى الباب، وكانَ ذلك الرجلُ هناك. وقد كان يبلغُ الستين من العمر أو نحو ذلك. وكانَ واقفاً هناك ممسكاً بقبعته بين يديه. فأخبرني أنه والدي، وأنه كان يعيشُ في بولاوايو لوقتٍ طويل، ولكنه عادَ الآن إلى بتسوانا، وأتى لرؤيتي.

"يمكنك أن تفهمي كم صُدمتُ. فقد كان عليّ أن أجلسَ أو أنه كان سيُغمى عليّ كما أعتقد. وفي أثناء ذلك، تكلمَ، وأخبرني عن اسم والدتي، وكان صحيحاً. وقال إنه كان آسفاً لأنه لم يكنْ على اتصالٍ بي من قبل، ثم سألني إن كان باستطاعته أن يقيمَ في إحدى الغرفِ الشاغرة لأنه لم يكن لديه مكانٌ آخرُ ليذهبَ إليه.

"فقلتُ إنه كان يمكنُه ذلك بالطبع. وقد كنتُ نوعاً ما أشعرُ بإثارةٍ كبيرةٍ لرؤيةِ والدي. واعتقدتُ أنه كان أمراً حسناً أن نكون قادرَين على تعويضِ كل تلك السنواتِ الضائعةِ وأن أجعلَه يقيمُ معي ولاسيما منذ وفاةِ والدتي المسكينة. وهكذا، وضعتُ له سريراً في إحدى الغرف، وطهوتُ له وجبةً كبيرةً من شرائح اللحم والبطاطا، فتناولها بسرعة كبيرة، ثم طلبَ المزيد.

"حدثَ هذا قبلَ ثلاثة أشهر. ومنذ ذلك الحين، أقامَ في تلك الغرفة، وكنتُ أقومُ بكل شيء من أجله. فأعدُّ له الفطور، وأطهو له بعض طعامِ الغداء، فأتركُه في المطبخ. ثم أعدُّ له العشاءَ ليلاً. وأشتري له زجاجةَ مشروب مفضل كلَّ يوم. وقد اشتريتُ له بعض الملابسِ الجديدة وزوجاً من الأحذيةِ الجيدة. فكلُّ ما عليه أن يفعلَه هو أن يجلسَ على كرسيه خارجَ البابِ الأمامي ويخبرني ما عليّ أن أفعلَه من أجله تالياً".

فقاطعتها السيدةُ راموتسوي قائلةً: "إنّ الكثيرَ من الرجالِ هم على هذه الشاكلة".



فأومأتْ هابي بابيتسي برأسها قائلةً: "هذا الرجلُ هو هكذا إلى حد بعيد. إذ إنه لم يغسلْ قدراً واحداً من قدورِ الطهْو منذ وصلَ. وقد كنتُ أتعبُ كثيراً وأنا أقومُ على خدمته. وهو أيضاً ينفقُ الكثيرَ من مالي على حبوبِ الفيتامينات وقديدِ اللحم (اللحم الجاف).

"لم أكنْ لأستاءَ من هذا كما تعلمين إلا لسببٍ واحد. وهو أنني لا أعتقدُ أنه والدي الحقيقي. وليست لديّ طريقةٌ لأثبتَ هذا. ولكنني أعتقدُ أن هذا الرجلَ محتالٌ وأنه سمعَ عن عائلتنا من والدي الحقيقي قبل أن يموت. وهو يتظاهرُ بذلك الآن وحسب. وأعتقدُ أنّ هذا الرجل كان يبحثُ عن بيتٍ للتقاعد. فهو مسرورٌ جداً لأنه وجدَ منزلاً جيداً".

وجدتِ السيدةُ راموتسوي نفسها تحدّقُ بدهشة صريحة في هابي بابيتسي. فلم يكن هناك شكٌ أنها كانت تقولُ الحقيقة. وإن ما أدهشها هو وقاحةُ الرجالِ الصريحةِ المجردة. كيف يجرؤ هذا الشخصُ أن يأتيَ ويفرضَ نفسَه على هذه المرأة المعوانة السعيدة! يا لها من حيلةٍ وخديعة! ويا لها من سرقةٍ صريحةٍ في الواقع!

سألتْها هابي بابيتسي: "هل يمكنك أن تساعديني؟ هل يمكنك أن تكتشفي فيما إذا كان هذا الرجلُ هو والدي فعلاً؟ وإذا كان كذلك، فأعتقدُ إذاً أنني سأكونُ ابنة مطيعةً وسأتحملُه. وإذا لم يكن كذلك، فعندئذٍ أفضّلُ أن يذهبَ إلى مكانٍ آخر".

فقالت السيدةُ راموتسوي بدون تردد: "سأكتشفُ ذلك. وقد يستغرقُ الأمرُ يوماً أو يومين، ولكنني سأكتشفُه".

وبالطبع، كان قولُ ذلك أسهلَ من فعله. وقد كانت هناك فحوصاتٌ للدم في تلك الأيام، ولكنها كانت تشكُّ كثيراً فيما إذا كان هذا الشخصُ سيوافقُ على ذلك. كلا، بل كان عليها أن تجربَ شيئاً أكثرَ براعة، شيئاً كان سيظهرُ بدون أي جدالٍ فيما إذا كان هو الوالد أم لا. وأوقفتْ حبل أفكارها. نعم، لقد كان هناك شيءٌ في الإنجيل يتعلقُ بهذه القصة. ففكرتْ في نفسها: ماذا كان النبي سليمان ليفعل؟

أخذت السيدةُ راموتسوي زيَّ الممرضاتِ الموحدِ من صديقتها الأختِ غوغوي. وقد كان ضيقاً بعضَ الشيء وخاصةً حول الذراعين. ورغم أن الأخت غوغوي كانت ممتلئةَ القوام، فقد كانت أنحفَ بعض الشيء من السيدة راموتسوي. ولكنها حالما ارتدته وشبكتْ ساعةَ الممرضة على صدرها، بدتْ صورةً مثاليةً لواحدةٍ من طاقمِ الممرضاتِ في مستشفى الأميرة مارينا. واعتقدتْ أنه كان تنكراً جيداً. فدوّنتْ ملاحظةً ذهنية أن تستخدمَه في وقتٍ ما في المستقبل.

بينما كانت تقودُ سيارةَ الفان البيضاء الصغيرة إلى منزل هابي بابيتسي فكرت متأملةً كيف كان يمكنُ للتقليد الأفريقيِّ المتعلق بإعالةِ الأقاربِ أن يشلَّ حركةَ الناس. وكانت تعرفُ رجلاً يعملُ رقيباً في الشرطة كان يعيلُ أحدَ أعمامه وعمتَيه وابنَ عمٍ له من الدرجة الثانية. فإذا كان المرءُ يؤمنُ بأخلاقياتِ بتسوانا القديمة فلن يتمكنَ من أن يطردَ أحدَ أقاربه، وكان هناك الكثيرُ ليقالَ عن هذا الأمر. ولكن ذلك عنى فعلاً أن الدجالين والمتطفلين كان لديهم طريقٌ أسهلُ بكثير للاحتيالِ من أيِّ مكانٍ آخر. فاعتقدتْ أن أولئك هم الناس الذين خرّبوا النظام، وهم الذين يقدّمون للناسِ صورةً سلبيةً عن الطرقِ التقليدية.



وحالما اقتربتْ من المنزل، زادتْ من سرعتها. فقد كانت تلك مهمةً تتعلقُ بالرحمة على أيةِ حال. وإذا كان الوالدُ جالساً على كرسيه خارجَ البابِ الأمامي فقد كان عليه أن يراها تصلُ مع غمامةٍ من الغبار. وبالطبع، كان الوالدُ هناك مستمتعاً بشمسِ الصباح، فجلسَ منتصبَ القامة في كرسيه عندما رأى سيارةَ الفان البيضاء الصغيرة تندفعُ صاعدةً نحو البوابة. فأطفأتِ السيدةُ راموتسوي المحرك، وأسرعتْ خارجةً من السيارةِ باتجاه المنزل.

وحيّته بسرعةٍ قائلةً: "تحياتي، يا سيدي. هل أنت والدُ هابي بابيتسي؟"

فنهضَ على قدميه وقال بفخر: "نعم، أنا الوالد".



وكانت السيدةُ راموتسوي تلهثُ وكأنها تحاولُ استعادةَ أنفاسها.

وقالت: "يؤسفني أن أقولَ إنّ حادثاً قد جرى. فقد دُهست هابي وهي مريضةٌ جداً في المستشفى، وحتى إنهم يجرون لها عمليةً كبيرة الآن".

فقال الوالدُ منتحباً: "آه، يا ابنتي! يا صغيرتي هابي!"

ففكرت السيدةُ راموتسوي محدثةً نفسَها: يا له من ممثلٍ بارع! إلا أنها ترددت. ولكنها فضلتْ أن تثقَ بغريزةِ هابي بابيتسي. إذ إنه ينبغي للفتاة أن تعرفَ والدَها حتى لو لم ترَه منذ كانت طفلة.

واستمرتْ قائلةً: "نعم، إنه حادثٌ مؤسف، فهي مريضةٌ جداً. وهم بحاجةٍ للكثير من الدم للتعويضِ عن الدم الذي فقدته".

فعبسَ الوالدُ وقال: "يجب أن يعطوها ذلك الدم، الكثيرَ من الدم. ويمكنني أن أدفعَ ثمنه".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "إنّ الأمرَ لا يتعلقُ بالمال، فالدمُ مجاني. ولكننا لا نملكُ الزمرةَ الصحيحة، لذا سيتوجبُ علينا أن نحصلَ على بعضِ الدم من عائلتها. وأنت القريبُ الوحيدُ الذي لها. لذا يجبُ أن نطلبَ منك بعضَ الدم".

فجلسَ الوالدُ بثقل، وقال: "إنني رجلٌ عجوز".

أحسّتِ السيدةُ راموتسوي أن الأمرَ كان سينجحُ. نعم، لقد كان ذلك الرجلُ محتالاً.

وقالت: "إننا لهذا السبب نطلبُ منك، وذلك لأنها بحاجة للكثير من الدم. فسيكونُ عليهم أن يأخذوا حوالى نصفَ دمك. وهذا خطرٌ جداً بالنسبة لك. وفي الواقع، قد تموت".

ففغرَ الوالدُ فمه، وقال: "أموت؟"

فقالت السيدةُ راموتسوي: "نعم، ولكنك والدُها، ونحن نعلمُ أنك ستقومُ بهذا الأمرِ من أجل ابنتك. والآن، هل يمكنك أن تأتي بسرعة

وإلا سيفوتُ الأوان. فالدكتور موغايل ينتظر".

فتحَ الوالدُ فمَه ثم أغلقه.

وقالتِ السيدةُ راموتسوي وهي تمدُّ يدَها إلى الأسفل وتأخذُ بمعصمِه: "هيا، سأساعدُك للوصولِ إلى سيارة الفان".

نهضَ الوالدُ على قدميه، ثم حاول الجلوسَ مجدداً. فجرّته السيدة راموتسوي.

فقال: "كلا، لا أريدُ فعلَ ذلك".

وقالتِ السيدةُ راموتسوي: "بل يجبُ عليك ذلك. هيا الآن".

فهزَّ الوالدُ رأسَه وقال بضعف: "كلا، لن أفعلَ ذلك. إذ أنني لستُ والدَها الحقيقي، فهناك خطأ في الأمر".

فتركتِ السيدةُ راموتسوي معصمه. ثم وقفتْ أمامه وذراعاها مثنيتان، وخاطبتْه بشكلٍ مباشر قائلةً: "إذاً لستَ الوالد. فهمت! فهمت! إذاً، ما الذي تفعلُه وأنتَ تجلسُ على هذا الكرسي وتأكلُ طعامها؟ هل سمعتَ عن قانونِ العقوباتِ في بتسوانا وما يقولُه عن الأشخاص أمثالك؟ هل سمعتَ عن هذا؟"

فأخفضَ الوالدُ نظرَه إلى الأرض، وهزَّ رأسه.

وقالتِ السيدة راموتسوي: "حسناً، ادخلْ إلى هذا المنزلِ وأحضرْ أشياءك. أمامك خمسُ دقائق. وبعدَ ذلك، سآخذُك إلى محطةِ الحافلات، وستركبُ إحداها. أين تعيشُ فعلاً؟"

فقال الوالدُ: "في لوبيتس. ولكنني لا أحبُّ المكانَ هناك".

وقالت السيدة راموتسوي: "حسناً، ربما إذا بدأتَ بالقيام بشيءٍ ما بدلاً من مجردِ الجلوسِ على الكرسي قد تحبُّه أكثرَ بقليل. هناك الكثيرُ من البطيخ ليُزرَعَ هناك. ماذا عن هذه كبداية؟"

بدا الوالدُ تعيساً.

فقالتْ بلهجة آمرة: "إلى الداخل. بقيتْ أمامك أربعُ دقائق الآن".



عندما عادت هابي بابيتسي إلى البيت وجدت أن الوالدَ قد غادرَ وأن غرفته قد شغرت. وكانت هناك رسالةٌ من السيدة راموتسوي على طاولةِ المطبخ، فقرأتها. وحالما فعلتْ ذلك، عادتْ إليها ابتسامتُها. وكانت الرسالةُ تقول:

> لم يكن ذلك والدك على أيةِ حال. وقد اكتشفتُ الطريقةَ الفضلى، وجعلتُه يخبرُني بنفسه. ربما ستعثرين على الوالدِ الحقيقي يوماً ما، وربما لا يحدثُ هذا. ولكنك في غضون ذلك، يمكنك أن تكوني سعيدةً مجدداً.

# الفصل الثاني

## قبل كل تلك السنوات

فكرت السيدةُ راموتسوي محدثةً نفسها: إننا لا ننسى. وقد تكونُ رؤوسنا صغيرةَ الحجم، ولكنها مليئةٌ بالذكريات، كما قد تكونُ السماءُ أحياناً مليئةً بالنحل المحتشد، وبالآلاف والآلاف من الذكرياتِ ومن الروائح والأماكنِ والأشياء الصغيرة التي حدثتْ معنا والتي تعودُ فجأةً بشكلٍ غيرِ متوقعٍ لتُذكّرنا بهويتنا. من أنا؟ أنا بريشس راموتسوي، مواطنةٌ من بتسوانا وابنةُ أوبيد راموتسوي الذي تُوفي لأنه كان عاملَ منجمٍ ولم يعدْ يستطيعُ التنفس. لقد كانت سيرةُ حياتِه غيرَ مكتوبة. ومن هناك ليكتبَ سيرةَ حياة الناسِ العاديين؟

اسمي أوبيد راموتسوي. وُلدتُ قربَ قرية "ماهالابي" عام 1930. وتقعُ ماهالابي في منتصفِ الطريقِ بين مدينتي غابورون وفرانسيس تاون، على ذلك الطريق الذي يبدو ممتداً إلى ما لا نهاية. وقد كان طريقاً ترابياً في تلك الأيام بالطبع، إذ كان خطُ السكةِ الحديدية أكثرَ أهميةً بكثير. وكان خطُ السكةِ الحديدية يأتي من مدينةِ بولاوايو ويشقُ طريقَه نحو بتسوانا عند مدينة "بلمتري"، وعندها يتوجه جنوباً نزولاً في جانبِ البلادِ طولَ الطريقِ نحو مدينة "مافيكنغ" على الجانبِ الآخر.

اعتدتُ وأنا صبي أن أراقبَ القطاراتِ وهي تقفُ عند الخط الجانبي. وكانت تُصدرُ سحباً كبيرةً من البخار. وقد كنا نتحدى واحدنا الآخر أن نركضَ أقربَ ما كان يمكننا إليها. فكان الوقّادون يصرخون علينا، وكان ناظرُ المحطة يطلق صفارته. ولكنهم لم يتمكنوا أبداً من التخلصِ منا. فقد كنا نختبئ خلفَ النباتاتِ

والصناديق، ثم نندفعُ خارجاً لنطلبَ قطعاً نقديةً من نوافذ القطارات المغلقة. وكنا نرى البيضَ ينظرون من نوافذهم كالأشباح. فكانوا أحياناً يقذفون لنا أحدَ بنسات "روديجا" – وهي قطعٌ نقديةٌ نحاسيةٌ كبيرةٌ ذاتُ ثقبٍ في الوسط. أو إذا كنا محظوظين كانوا يقذفون لنا قطعةً نقديةً فضيةً صغيرةً كنا نسميها "تيكي". فكان من الممكن لنا أن نشتري بها علبةً معدنيةً صغيرةً من العصير.

كانت ماهالابي قريةً مكوّنةً من أكواخٍ مبعثرةٍ مصنوعة من قطعِ الآجرِ الطينيةِ البنيةِ المُجففةِ في أشعةِ الشمس، وبعضِ الأبنيةِ ذاتِ أسطحِ الصفيح. وكانت تلك تعودُ إلى الحكومةِ أو السككِ الحديديةِ، وكانت تبدو بالنسبة لنا تمثلُ رفاهيةً نائيةً بعيدةَ المنال. وكانت هناك مدرسةٌ يديرُها كاهنٌ أنجليكاني عجوزٌ وامرأةٌ بيضاءُ أتلفتْ أشعةُ الشمسِ بعضَ وجهِها. وكان كلاهما يتكلم لغةَ السيتسوانا التي كانت غيرَ عاديةٍ، ولكنهما كانا يعلماننا باللغةِ الإنكليزيةِ مصرَّين، بواسطةِ ألمِ الجلْد (الإشباع ضرباً)، على أن نتركَ لغتنا خارجاً في الملعب.

وعلى الجانبِ الآخرِ من الطريق، كانت بدايةُ السهلِ الذي يمتدُّ إلى صحراءِ كالاهاري. وقد كانت أرضاً عديمةَ المعالم تنتشرُ فيها أشجارُ الشوكِ الخفيضةِ التي كانت تجثمُ على أغصانها طيورُ أبو قرن وطيورُ المولوب المرفرفةُ بريشِ ذيولِها الطويلةِ المتدلية. لقد كان عالماً بدا عليه أنه بلا نهاية. وأعتقدُ أن هذا هو ما كان يجعلُ أفريقيا في تلك الأيامِ مختلفةً إلى هذا الحد. إذ لم يكنْ لها نهاية. وكان يمكنُ لرجلٍ ما أن يمشيَ أو يركبَ إلى الأبد، ولم يكنْ ليصلَ قطُّ إلى أي مكان.

إنني في الستين من عمري الآن، ولا أعتقدُ أن الربَّ يريدني أن أعيشَ أطولَ من هذا بكثير. وربما ستكونُ هناك بضعُ سنوات أخرى، ولكنني أشكُّ في ذلك. فقد رأيتُ الدكتور موفات في مستشفى





"دتش ريفورمد" في مدينة "موتشودي" فاستمعَ إلى صوتِ صدري. وكان باستطاعته أن يخبرني أنني قد كنتُ عاملَ منجمٍ بمجردِ الإصغاءِ إلى صوتِ صدري. فهزَّ رأسه وقال إن المناجمَ لها طرقٌ عديدةٌ مختلفةٌ لإيذاءِ الإنسان. وبينما كان يتكلمُ تذكرتُ أغنيةً اعتادَ عمالُ مناجمِ "سوثو" أن يغنوها. فقد كانوا يغنون قائلين: "المناجمُ تأكلُ الرجال. وحتى عندما يكونُ المرءُ قد غادرَها قد تستمرُ المناجمُ بأكله". وكنا جميعاً نعلمُ أن ذلك كان صحيحاً. إذ كان من الممكن أن يُقتلَ المرءُ بصخرةٍ تسقطُ عليه، أو أن يُقتلَ بعدَ سنواتٍ عندما يصبحُ الهبوطُ تحت الأرضِ مجردَ ذكرى أو حتى حلماً سيئاً يزورُه ليلاً. لقد كانت المناجمُ لتعودَ من أجل دفعِ حسابها كما هي عائدةٌ إلي الآن بالضبط. وهكذا، فإنني لستُ متفاجئاً بما قاله الدكتور موفات.

بعضُ الناسِ لا يستطيعون أن يتحمّلوا أخباراً كهذه، فهم يعتقدون أنهم يجبُ أن يعيشوا إلى الأبد، ويبكون وينتحبون عندما يدركون أنَّ وقتَ وفاتِهم قد حان. أما أنا فلا أشعرُ بذلك، ولم أبكِ لسماعِ الأخبارِ التي أبلغني إياها الطبيب. والأمرُ الوحيدُ الذي يجعلني حزيناً هو أنني سأغادرُ أفريقيا عندما أموت. فأنا أحبُّ أفريقيا التي هي أمي وأبي. وعندما أموتُ سأفتقدُ رائحةَ أفريقيا لأنهم يقولون إنه حيث يذهبُ المرءُ، أينما قد يكونُ ذلك، ليستْ هناك رائحةٌ ولا طعم.

لستُ أدّعي أنني رجلٌ شجاعٌ، فأنا لستُ كذلك، ولكنني بالفعلِ لا يبدو عليَّ أنني أهتمُّ بهذا الخبرِ الذي أُطلعتُ عليه. فأنا أستطيعُ أن أعودَ بذاكرتي طوالَ سنواتي الستين وأفكرَ بكلِّ شيءٍ قد رأيتُه وكيف بدأتُ بلا شيء وانتهيتُ بمائتي رأسٍ من الماشيةِ تقريباً. كما أنني لديَّ ابنةٌ صالحةٌ مخلصةٌ تعتني بي جيداً وتعدُّ لي الشاي بينما أجلسُ هنا في أشعةِ الشمسِ وأنظرُ إلى التلالِ البعيدة. وعندما يرى المرءُ تلك التلالَ من مسافةٍ بعيدةٍ تبدو زرقاءَ، ككلِّ المسافاتِ البعيدةِ في

هذه البلاد. إننا بعيدون عن البحرِ هنا بوجودِ دولتي أنغولا وناميبيا بيننا وبين الساحل. ورغم ذلك، فلدينا هذا المحيطُ العظيمُ الفارغُ من اللونِ الأزرقِ فوقنا وحولنا. فليس من الممكنِ لأي بحارٍ أن يكونَ أكثرَ وحدةً من رجلٍ يقفُ في وسطِ أرضنا وحوله أميالٌ وأميالٌ من الزرقة.

إنني لم أرَ البحرَ قطّ، رغم أن رجلاً عملتُ معه في المناجمِ دعاني في إحدى المرات إلى منزله في منطقة "زولولَند". وقال لي إنه توجدُ فيها تلالٌ خضراءُ تمتدُ نحو المحيط الهندي، وأنه كان بإمكانه أن ينظرَ من مدخلِ منزله ويرى السفنَ من مسافة بعيدة. وقال إن النساءَ في قريته يصنعن أفضلَ مشروب مفضل في البلاد، وإنه كان من الممكن للرجلِ أن يجلسَ في أشعةِ الشمسِ لعدة سنوات دون أن يفعلَ أيَّ شيء قطّ سوى إنجابِ الأطفالِ وشربِ المشروب المفضل. وقال إنني لو ذهبتُ معه فسيكونُ قادراً أن يجدَ زوجةً من أجلي، وأنهم قد يتغاضون عن حقيقةِ أنني لم أكنْ من قبيلةِ الزولو – إذا كنتُ مستعداً لأدفعَ مالاً كافياً للوالدِ مقابلَ الفتاة.

ولكن لماذا ينبغي عليَّ أن أرغبَ بالذهاب إلى زولولَند؟ ولماذا ينبغي عليَّ على الإطلاق أن أرغبَ بأيِّ شيء سوى أن أعيشَ في بتسوانا وأن أتزوجَ إحدى فتياتها؟ فقلتُ له إن زولولَند كانت تبدو جيدةً، ولكنَّ كلَّ رجلٍ لديه خريطةٌ لبلادِه في قلبه وأن قلبَه لن يسمحَ له أبداً أن ينسى هذه الخريطة. وقلتُ له إننا في بتسوانا ليستْ لدينا التلالُ الخضراءُ التي لديه في موطنه وليس لدينا بحرٌ ولكنَّ لدينا صحراءُ كالاهاري والأرضُ التي تمتدُ إلى أبعد ما يستطيعُ المرءُ أن يتخيلَ. وقلتُ له إنه إذا وُلدَ الرجلُ في مكانٍ جافٍ حتى رغم أنه كان سيحلمُ بالمطر فهو لن يريدَ الكثير ولن يهتمَ بالشمس الحارة. وهكذا، لم أذهبْ معه قطّ إلى زولولَند ولم أرَ البحرَ على الإطلاق. ولكنَّ ذلك لم يجعلْني تعيساً ولو لمرةٍ واحدة.



وهكذا، أجلسُ هنا الآن قريباً بالضبط من النهاية، وأفكرُ في كل شيء حدثَ معي. ورغم ذلك، لا يمرُّ يومٌ لا ينصرفُ فيه عقلي إلى الرب وإلى أفكارٍ عن الكيفية التي يموتُ بها المرء. وإنني لستُ خائفاً من هذا لأنني لا أبالي بالألم. فالألمُ الذي أشعرُ به هو بالفعل محتملٌ تماماً. وقد أعطوني حبوباً بيضاءَ كبيرة، وأخبروني أن آخذَها إذا تعاظمَ الألمُ في صدري فوق الحد. ولكنَّ تلك الحبوبَ تجعلُني أشعرُ بالنعاس، وأنا أفضلُ أن أبقى مستيقظاً. لذا، أفكرُ بالربِ وأتساءلُ عما سيقولُه لي عندما أقفُ أمامه.

بعضُ الناس يفكرون بالرب كرجلٍ أبيضَ، وهي فكرةٌ جلبها المبشرون معهم قبل كل تلك السنوات، وهو ما يبدو أنه عالقٌ بأذهانِ الناس. ولا أعتقدُ أن الأمرَ كذلك لأنه ليس هناك اختلافٌ بين البيضِ والسود. فنحن جميعاً متشابهون ونحن مجردُ بشر. وعلى أية حال، فقد كان الربُّ هنا قبل أن يأتي المبشرون. وقد كنا نسميه باسمٍ مختلفٍ في ذلك الوقت. وهو لم يكن يعيشُ هناك في بلادِ اليهود، بل عاشَ هنا في أفريقيا في الصخورِ والسماء وفي أماكنَ كنا نعلمُ أنه كان يحبُّ أن يوجدَ فيها. وعندما يموتُ المرءُ يذهبُ إلى مكانٍ آخر، ويكونُ الربُّ موجوداً هناك أيضاً. ولكن المرء لن يكونَ قادراً على أن يقتربَ منه بشكلٍ خاص. ولماذا ينبغي على الربِّ أن يرغبَ بذلك؟

هناك قصةٌ في بتسوانا عن طفلين، أخ وأخت، يُرفعان معاً إلى الجنة بواسطة زوبعة ويجدان الجنة مليئةً بماشيةٍ بيضاءَ جميلة. وهكذا أحبُّ أن أفكرَ بها وآملُ أن يكونَ هذا صحيحاً. وآملُ أن أجدَ نفسي عندما أموتُ في مكان توجدُ فيه ماشيةٌ كتلك لديها أنفاسٌ عذبة في كلِ مكانٍ حولنا. وإذا كان ذلك هو ما ينتظرُني فيسعدُني أن أذهبَ غداً أو حتى الآن في هذه اللحظة. ورغم ذلك، فإنني سأرغبُ أن أودعَ بريتَس وأن أمسكَ بيدِ ابنتي وأنا ذاهب. وذلك سيكونُ طريقاً مبهجاً أسيرُ فيه.

إنني أحبُّ بلادنا وأنا فخورٌ أن أكونَ من بتسوانا. فليس هناك بلدٌ آخرُ في أفريقيا يستطيعُ أن يرفعَ رأسَه كما نستطيعُ نحن أن نفعل. فليس لدينا سجناء سياسيون، ولم يكن لدينا أيُّ سجناء قط. ولدينا ديمقراطية نحرصُ عليها. ومصرفُ بتسوانا مليءٌ بالمالِ الذي حصّلناه من ماسنا. ونحن لسنا مدينين بأيِّ شيء.

ولكنَّ الأمورَ كانت سيئة في الماضي. فقبلَ أن نبنيَ بلادنا كان علينا أن نذهبَ إلى جنوبِ أفريقيا للعمل. وكنا نذهبُ إلى المناجم تماماً كما كان يفعل الناس من ليسوتو وموزمبيق وملاوي وكلِّ تلك البلاد. فكانت المناجمُ تمتصُّ رجالنا وتتركُ الشيوخ والأطفال في البيوت. وكنا ننقبُ عن الذهبِ والماسِ ونجعلُ أولئك الرجال البيضَ أغنياء. فكانوا يبنون بيوتَهم الكبيرة بجدرانهم وسياراتهم. وكنا نحفرُ إلى الأسفلِ تحتَهم ونستخرجُ الصخرةَ التي بنوا عليها كلَّ ذلك.

لقد ذهبتُ إلى المناجمِ عندما كنتُ في الثامنة عشرة. وقد كنا محميةَ بيتشوانالَند عندئذٍ، وكان البريطانيون يديرون بلادنا ليحمونا من البويريين (الهولنديين) – أو أن هذا ما قالوه. وكان هناك مفوّضٌ في مدينة مافيكنغ عبرَ الحدودِ إلى جنوبِ أفريقيا، وقد كان يخرجُ إلى الطريق ويتكلمُ مع الزعماء، فكان يقول: "افعلوا هذا. افعلوا ذلك". وكان الزعماءُ جميعُهم يطيعونه لأنهم كانوا يعلمون أنهم إن لم يفعلوا ذلك لكان عزلَهم من مناصبهم. ولكنَّ بعضَهم كانوا أذكياء، فبينما كان البريطانيون يقولون "افعلوا هذا". كانوا يقولون: "نعم، يا سيدي، سأفعلُ هذا". ثم كانوا طوالَ الوقتِ يفعلون شيئاً آخرَ من وراءِ ظهورهم، أو يتظاهرون فقط بأنهم يفعلون شيئاً ما. وهكذا، طوال سنوات عديدة لم يحدثْ شيءٌ على الإطلاق. وقد كان نظاماً حكومياً جيداً لأن معظمَ الناسِ لا يريدون لشيء أن يحدث. وكانت تلك مشكلة الحكوماتِ في تلك الأيام. فهم يريدون أن يفعلوا الأشياءَ طوال الوقت، وهم دائماً منشغلون بالتفكيرِ بالأشياء التي يستطيعون فعلَها



تالياً. وليس هذا ما يريدُه الناسُ. فالناسُ يريدون أن يُتركوا وشأنهم ليعتنوا بماشيتهم.

كنا قد غادرنا ماهالابي حينئذ وذهبنا للعيشِ في موتشودي حيث كان أهلُ والدتي يعيشون. وقد أحببتُ موتشودي وكنتُ لأكونَ سعيداً هناك. ولكن والدي قالَ إنه ينبغي عليَّ الذهابُ إلى المناجم لأن أراضيه لم تكن جيدة كفاية لإعالتي وزوجتي. كما أننا لم نكن نملكُ الكثيرَ من الماشيةِ وكنا نزرعُ محاصيلَ تكفي فقط لإطعامنا خلال السنة. لذا، عندما أتتْ شاحنةُ التطوع من خلف الحدود، ذهبتُ إليهم فوضعوني على ميزانٍ لقياسِ وزني واستمعوا لصوتِ صدري وجعلوني أجري على أحدِ السلالم صعوداً وهبوطاً لمدة عشر دقائق. ثم قال أحدُ الرجال إنني سأكونُ عاملَ منجمٍ جيد، فجعلوني أكتبُ اسمي على ورقة، وسألوني عن اسم زعيمي، وسألوني فيما إذا كنتُ قد تعرضتُ لأيةِ مشكلةٍ مع الشرطة. وكان ذلك كلَّ شيء.

غادرتُ على متنِ الشاحنةِ في اليوم التالي. وكان معي صندوقٌ واحدٌ اشتراه لي والدي من المتجرِ الهندي. وكان معي زوجٌ واحدٌ من الأحذية. ولكن كان معي قميصٌ إضافيٌّ واحد وبعضُ السراويل الإضافية. وكانت هذه هي الأشياء التي كانت معي باستثناء بعضِ اللحمِ المقدد الذي أعدّته لي أمي. فوضعتُ صندوقي على قمةِ الشاحنة. وعندئذ، بدأتِ العائلاتُ جميعها التي جاءت لتوديعي بالغناء. فبكتِ النساءُ ولوّحن مودّعات. ولطالما يحاولُ الشبانُ ألا يبكوا أو يبدوا حزينين، ولكنني كنتُ أعلمُ أن قلوبنا كانت باردة في داخلنا.

استغرقتُ اثنتي عشرة ساعة للوصولِ إلى "جوهانسبرغ" لأن الطرقات كانت وعرة في تلك الأيام. وإذا أسرعتِ الشاحنةُ فوق الحد فقد تكسرُ أحدَ محاورِ عجلاتها. وقد سافرنا عبرَ منطقة "ترانزفال" الغربية في الحرارة المرتفعة ونحن محبوسون داخلَ الشاحنة كالماشية. وفي كلِّ ساعة، كان السائقُ يتوقفُ ويدورُ نحو مؤخرةِ

الشاحنة ويمرر حافظات للماء تملأ عند كل بلدة كنا نمر عبرها. وكان يسمح لنا بأخذ الحافظة للشرب لثوان قليلة فقط، فكان على المرء في غضون ذلك الوقت أن يشرب قدر ما يستطيع من الماء. وكان الرجال الذين في عقد عملهم الثاني أو الثالث يعرفون كل ما يتعلق بهذا. فكانت معهم قوارير من الماء يشاركونها مع المرء إن كان يشعر بعطش شديد. فقد كنا جميعاً معاً من مواطني بتسوانا، ولم يكن أحدنا ليرى أحد موطنيه وهو يعاني.

كان كبار السن يجلسون بجوار الشبان، وكانوا يخبرونهم أنهم عندما يتعاقدون مع المناجم فهم لم يعودوا صبية. فأخبرونا أننا كنا سنرى أشياء في جوهانسبرغ لم يكن بإمكاننا قط أن نتخيل وجودها، وأننا إن كنا ضعافاً أو أغبياء أو إذا لم نعمل بجد بما يكفي فلن تكون حياتنا منذ ذلك الوقت وصاعداً سوى معاناة. وأخبرونا أننا كنا سنرى القسوة والشر، ولكننا إن اتحدنا مع آخرين من مواطني بتسوانا وفعلنا ما يقال لنا من قبل الشيوخ فسنتجاوز ذلك. وقد ظننت أنهم ربما كانوا يبالغون. إذ إنني أتذكر الصبية الكبار وهم يخبروننا عن المدرسة الابتدائية التي كان علينا جميعاً الذهاب إليها ويحذروننا من كل ما كان ينتظرنا. وقد كانوا يقولون ذلك ليخوفونا، أما الحقيقة فقد كانت مختلفة تماماً. ولكن أولئك الرجال كانوا يتحدثون بالحقيقة المطلقة. فما كان ينتظرنا هو كما توقعوا بالضبط أو حتى أسوأ من ذلك.

أمضوا في جوهانسبرغ أسبوعين وهم يدربوننا. وقد كنا جميعاً متمتعين تماماً باللياقة البدنية والقوة، ولكن لم يكن من الممكن إرسال أحد إلى المناجم في الأسفل حتى يكون قد أصبح أقوى مما هو عليه. لذا، أخذونا إلى مبنى كانوا قد سخنوه بالبخار، وجعلونا نقفز إلى الأعلى والأسفل على بعض المقاعد لمدة أربع ساعات كل يوم. وكان هذا كثيراً بالنسبة لبعض الرجال فانهاروا، وكان عليهم أن يحملوا ليقفوا على أقدامهم. ولكنني نجوت نوعاً ما، وانتقلت إلى الجزء



التالي من التدريب. فأخبرونا كيف سنؤخذ إلى المناجم في الأسفل وعن العمل الذي كان متوقعاً منا القيام به. وتحدثوا معنا بخصوص الأمان وكيف كان من الممكن لأحد الصخور أن تسقط وتسحقنا إن كنا مهملين. وحملوا رجلاً لم تكن له ساقان ووضعوه على طاولة وجعلونا نستمع له بينما كان يخبرنا عما كان قد حدث له.

وقد علمونا لغة "الفانغالو" التي كانت تستخدم لإعطاء الأوامر تحت الأرض. وقد كانت لغة غريبة يضحك الزولو لسماعها لأنه توجد هناك الكثير من كلمات لغة الزولو فيها ولكنها ليست زولو. فهي لغة جيدة لإخبار الناس ما يفعلونه. وفيها كلمات كثيرة بمعنى ادفع وخذ واقحم واحمل وحمل، ولكن ليست فيها كلمات بمعنى حب وسعادة أو الأصوات التي تصدرها الطيور في الصباح.

ثم ذهبنا نزولاً إلى مداخل المنجم، فأرونا ما كان علينا أن نفعله. ووضعونا في أقفاص تحت عجلات كبيرة تسقط بسرعة كالصقور التي تنقض على فريستها. وكانت لديهم قطارات صغيرة في الأسفل، فكانوا يضعوننا على تلك القطارات ويأخذوننا إلى نهاية أنفاق طويلة مظلمة مليئة بصخور خضراء وغبار. وقد كانت وظيفتي هي تحميل الصخور بعد أن يكون قد تم تفجيرها. وكنت أفعل ذلك لمدة سبع ساعات في اليوم، فازددت قوة. ولكن كان هناك غبار طوال الوقت.

وكانت بعض المناجم أكثر خطورة من الأخرى، وكنا جميعاً نميز بعضها عن بعض. ففي منجم آمن، بالكاد كان المرء يرى نقالات تحت الأرض. أما في منجم خطر، رغم أن النقالات غالباً ما تكون خارجاً، كان المرء يرى رجالاً يحملون في الأقفاص وهم يصرخون من الألم، أو حتى أسوأ من ذلك، صامتين تحت الملاءات الثقيلة الحمراء. وكنا جميعاً نعلم أن الطريقة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة هي في الانضمام إلى فريق يكون لدى الرجال فيه ما يدعوه

الجميعُ الإحساسَ بالصخرة. وكان ذلك شيئاً يتمتعُ به كلُّ عاملِ منجمٍ جيد. فكان عليه أن يتمكنَ من أن يرى ما كانت الصخرةُ تفعلُه، وأن يعرفَ متى تكونُ الدعاماتُ الجديدةُ مطلوبةً. وإذا لم يكن بعضُ الرجالِ يعرفون هذا عندئذٍ لا يهمُّ كم يكون الآخرون جيدين. إذ إن الصخرةَ كانت ستهبطُ وتسقطُ على العمالِ الجيدين والسيئين.

كان هناك أمرٌ آخرُ يؤثرُ في فرصِ المرءِ في النجاة، وهو نوعُ عاملِ المنجم الأبيض الذي كان معه. فقد كان عمالُ المناجم البيض يُعيَّنون مسؤولين عن الفرق، ولكنَّ الكثيرين منهم كانوا لا يقومون إلا بالقليلِ من العمل. وإذا كان الفريقُ جيداً عندئذٍ يعرفُ المسؤولُ ما عليه بالضبط أن يفعلَه وكيف يفعلُه. فكان العاملُ الأبيضُ يتظاهرُ بإعطاءِ الأوامرِ ولكنه كان يعلمُ أن المسؤولَ هو من سيكونُ عليه فعلاً أن ينجزَ العملَ. ولكن العاملَ الأبيضَ الغبي – ويوجدُ الكثيرون منهم – كان يجعلُ فريقَه يعملُ بجدٍ فوق الحد. فكان يصرخُ ويضربُ الرجالَ الذين كان يعتقدُ أنهم لم يكونوا يعملون بسرعةٍ كافية. وكان من الممكنِ لهذا الأمر أن يكون خطراً. ورغم ذلك، فعندما كانت الصخرةُ تسقطُ لم يكن العاملُ الأبيضُ يتواجدُ هناك أبداً، بل يكونُ في أسفلِ النفق مع العمالِ البيضِ الآخرين بانتظارنا لنخبرَهم أن العمل انتهى.

لم يكن أمراً غريباً للعمالِ البيضِ أن يضربوا رجالهم إذا أصبحوا عصبيي المزاج. ولم يكن يفترضُ بهم أن يفعلوا ذلك. ولكن المسؤولين الذين كانوا يتبدلون دائماً كانوا دائماً يغضون النظرَ ويتركونهم يستمرون بهذا. ورغم ذلك، لم يكن مسموحاً لنا أبداً أن نردَّ لهم الضرباتِ مهما كنا لا نستحقُ الضرب. فإذا ضربَ المرءُ عاملَ منجمٍ أبيضَ فقد انتهى أمره. إذ كانت شرطةُ المناجم ستكونُ بانتظاره في أعلى مدخلِ المنجم، وكان من الممكنِ له أن تقضي سنةً أو اثنتين في السجن.





وقد كانوا يبقوننا متفرقين، لأن تلك كانت هي الطريقةَ التي كان أولئك الرجالُ البيض يعملون بها. فكان السوازيون معاً في مجموعةٍ واحدةٍ والزولو في مجموعةٍ أخرى والملاويون في أخرى، وإلى ما هنالك. فكان كلُّ واحدٍ مع شعبه وعليه أن يُطيعَ المسؤول. وإذا لم يفعلْ ذلك وقال المسؤولُ إن أحد الرجالِ كان يسببُ المتاعبَ كانوا سيرسلونه إلى البيتِ أو يقومون بترتيباتٍ مع الشرطةِ لتقومَ بضربِه حتى يبدأ بالتفكيرِ بعقلانيةٍ مجدداً.

وقد كنا نخافُ من الزولو رغم أنه كان لديَّ ذلك الصديقُ اللطيفُ من الزولو. فقد كان الزولو يعتقدون أنهم أفضلُ من أيِّ واحدٍ منا، وكانوا أحياناً يلقبوننا بالنساء. وإذا حدثَ شجارٌ يكون تقريباً دائماً الزولو أو البسوتو هو من يتشاجرُ، ولكن ليس أحد مواطني بتسوانا أبداً. إذ إننا لم نكن نحبُّ الشجارَ. وفي إحدى المرات، ضلَّ مواطنٌ ثملٌ من بتسوانا طريقَه إلى فندقٍ للزولو عن طريق الخطأ في إحدى ليالي السبت. فضربوه بالسياط وتركوه ممدداً على الطريق لتدهسَه السياراتُ. ولحسنِ الحظ، رأته سيارةُ فانٍ تابعةٌ للشرطة وأنقذته، وإلا فإنه كان سيُقتل. وكلُّ ذلك لأنه تجوّلَ إلى الفندقِ الخطأ.

لقد عملتُ لسنواتٍ في تلك المناجم، وادّخرتُ كلَّ مالي. أما الرجالُ الآخرون فقد كانوا ينفقون مالَهم على نساء البلدةِ والشرابِ والملابسِ الفاخرة. ولم أشترِ شيئاً ولا حتى جهازَ فونوغراف، بل أرسلتُ المالَ إلى الديار إلى مصرف ستاندرد، ثم اشتريت به ماشية. وكنتُ في كلِّ سنةٍ أشتري بضعَ أبقارٍ وأعطيها لابن عمي ليعتني بها. فوضعتْ عجولاً. وكان قطيعي ينمو ببطء.

كنتُ لأبقى في المناجم كما أعتقدُ لو أنني لم أشهدْ أمراً مريعاً. فقد حدثَ هذا بعد أن كنتُ قد قضيتُ خمسةَ عشر عاماً هناك. وكنتُ قد مُنحتُ وظيفةً أفضلَ بكثير، وهي وظيفةُ مساعد مُفجِّر. ولم يكونوا يعطوننا بطاقاتِ تفجير لأن ذلك كان عملاً مقصوراً على الرجال

البيضِ أنفسِهم، ولكنني مُنحتُ وظيفةً أقومُ فيها بحملِ المتفجرات للمُفجِّر ومساعدته بالفتائل. فكانت تلك وظيفةً جيدةً، وكنتُ أحبُّ الرجلَ الذي كنتُ أعملُ معه.

كان قد تركَ شيئاً في أحدِ الأنفاقِ مرة – وهو علبةُ الصفيحِ التي كان يحملُ فيها سندويشاته – وكان قد طلبَ مني أن أحضرَها له. لذا، هبطتُ أسفلَ النفقِ حيث كان يعملُ وبحثتُ عن هذه العلبة. وقد كان النفقُ مضاءً بالمصابيحِ الكهربائيةِ التي كانت معلقةً على طولِ السقف، لذا كان من الآمن تماماً السيرُ على طوله. ولكن كان ما يزالُ على المرءِ أن يكونَ حذراً، لأنه كانت توجدُ هنا وهناك أنفاقٌ كانت قد فُجِّرت من الصخرة. وكان من الممكن لهذه الأنفاقِ أن يكونَ عمقُها مائتي قدم (60 متراً). وكانت تنفتحُ من جوانبِ النفقِ لتصلَ إلى الأسفلِ لمستوىً آخرَ من العمل، مثل المقالع تحت الأرض. وكان الرجالُ يقعون من هذه الأنفاقِ من وقتٍ لآخر. فكان ذلك دائماً بسبب خطأهم. إذ إنهم لم يكونوا ينظرون أين يمشون أو أنهم كانوا يمشون على طول ممرٍ غيرِ مضاءٍ عندما تكونُ بطارياتُ خوذاتهم ضعيفة. وأحياناً كان أحدُ الرجالِ يمشي فوق الحافةِ بدون أي سببٍ على الإطلاق أو لأنه كان تعيساً ولم يكن يريدُ أن يعيشَ بعد ذلك. من يدري، فقد يحدث ما لم يكن في الحسبان، إلا إنَّ هناك الكثيرَ من الأحزانِ في قلوبِ الرجالِ البعيدين عن بلادِهم.

انعطفتُ في زاويةٍ في ذلك النفقِ ووجدتُ نفسي في حجرةٍ مستديرة. وكان هناك نفقٌ عند نهايتها، كما كانت هناك لوحةُ تحذير. وقد كان هناك أربعةُ رجالٍ يقفون عندَ حافتِها وكانوا يحملون رجلاً آخرَ من ذراعيه وساقيه. وحالما انعطفتُ من تلك الزاويةِ رفعوه وألقوا به إلى الأمام فوق الحافةِ نحو الظلام. فصرخَ الرجلِ بلغة "الكوسا"، وسمعتُ ما قاله. وقد قالَ شيئاً يتعلقُ بأحدِ الأطفال، ولكنني لم أفهمْه كلَّه بما أنني لا أجيدُ لغةَ "الكوسا" بشكلٍ جيدٍ جداً، ثم مات.



وقفتُ حيث كنت. ولم يكن الرجالُ قد رأوني بعد. ولكن أحدَهم استدارَ وصرخ بلغة الزولو. وعندئذ، بدأوا يركضون نحوي. فاستدرتُ وركضتُ عائداً على طولِ النفق. فقد كنتُ أعلمُ أنهم إن أمسكوا بي فسوف ألحقُ بضحيتهم داخلَ النفق. فلم يكن ذلك سباقاً يمكنُ أن أدعَ نفسي أخسرُه.

ورغم أنني أفلتُّ منهم، فقد كنتُ أعلمُ أن أولئك الرجالَ كانوا قد رأوني، وأنني كنتُ سأُقتل. فقد رأيتُ جريمتهم. وكان يمكنني أن أكونَ شاهداً. ولهذا، كنتُ أعلمُ أنه لم يكن بإمكاني البقاءُ في المناجم.

تحدثتُ إلى المُفجِّر. وقد كان رجلاً صالحاً. فأصغى إلي بعنايةٍ عندما أخبرتُه أنه كان عليَّ أن أغادر. ولم يكن هناك رجلٌ أبيضُ آخرُ كان بإمكاني أن أتحدثَ معه هكذا، ولكنه تفهَّم هذا.

ومع ذلك، فقد حاول أن يقنعني بالذهاب إلى الشرطة.

فقال باللغة الأفريكانزية: "أخبرْهم بما رأيته. ويمكنهم أن يقبضوا على أولئك الزولو ويشنقوهم".

"إنني لا أعرفُ من يكونُ أولئك الرجال، وسيمسكون بي أولاً. لذا، سأعودُ إلى بيتي في دياري".

فنظر إليَّ، ثم أومأ برأسه. وعندئذ، تناولَ يدي وصافحَها. فكانت هذه المرةُ الأولى التي يقومُ بها رجلٌ أبيضُ بهذا الشيء لي. فدعوتُه أخاً لي وهي المرةُ الأولى التي أقومُ بهذا الشيء لرجلٍ أبيض.

وقال: "عُدْ إلى البيت عند زوجتك. فإذا غادرَ رجلٌ زوجته لوقتٍ طويلٍ فوق الحد تبدأ بخلق المتاعب له. صدقني، اذهبْ إليها وأنجبْ لها مزيداً من الأطفال".

وهكذا، غادرتُ المناجمَ سراً كاللص، وعدتُ إلى بتسوانا عام 1960. ولا يسعني أن أخبركَ كم كان قلبي عامراً عندما عبرتُ الحدودَ عائداً إلى بتسوانا وغادرتُ جنوبَ أفريقيا خلفي إلى الأبد. فقد

كنتُ أشعرُ كل يومٍ في ذلك المكان أنني قد أموت. وقد كان الخطرُ والحزنُ معلّقين فوق جوهانسبرغ كالغمامة، فلم يكن بإمكاني قطّ أن أكونَ سعيداً هناك. أما في بتسوانا فكان الأمرُ مختلفاً. إذ لم يكن هناك رجالُ شرطةٍ مع كلابهم، ولم يكن هناك مجرمون مسلحون بالسكاكين ينتظرون ليسرقوا أيّاً كان، ولم يكن المرءُ يستيقظُ كل صباحٍ على صوتِ صفارةِ إنذارٍ تعوي وتدعوه للنزول داخلَ الأرضِ الحارّة. ولم تكن هناك الحشودُ الكبيرةُ نفسُها من الرجالِ وكلُّهم من أماكنَ بعيدةٍ ومشتاقون لأوطانهم ويريدون أن يكونوا في مكانٍ آخر. لقد غادرتُ سجناً كبيراً يئنُّ تحت ضوءِ الشمس.

عندما عدتُ إلى الديار حينئذٍ وترجلتُ من الحافلة في موتشودي ورأيتُ التلَّ الصغيرَ ومقرَّ الزعيمِ والماعزَ، قمتُ بمجرد الوقوف هناك والبكاء. فجاء إليّ رجلٌ لم أكن أعرفُه ووضعَ يده على كتفي وسألني فيما إذا كنتُ عائداً لتوي من المناجم. فقلتُ له إنني كنتُ كذلك. فقام بمجرد الإيماء برأسه وأبقى يدَه على كتفي حتى توقفتُ عن البكاء. وعندئذٍ، ابتسم ومشى مبتعداً. إذ إنه كان قد رأى زوجتي قادمةً نحوي ولم يكن يريدُ أن يتدخلَ بعودةِ زوجٍ إلى بيته.

كنتُ قد اتخذتُ هذه المرأةَ زوجةً لي قبل ثلاث سنوات رغم أننا قد رأينا بعضنا البعض قليلاً منذُ الزواج. فقد كنتُ أعودُ من جوهانسبرغ مرةً في السنة لمدةِ شهر. وكانت هذه هي كلُّ الحياة التي كنا نعيشُها معاً. وبعد رحلتي الأخيرة كانت قد أصبحتْ حاملاً. فوُلدت ابنتي الصغيرةُ بينما كنتُ لا أزالُ بعيداً. وكنتُ حينئذٍ سأراها، وكانت زوجتي قد أحضرتْها معها لتلاقيني عند الحافلة. فوقفتُ هناك، وبين ذراعيها كانت الطفلةُ التي هي أكثرُ قيمةً بالنسبة لي من كلّ ذلك الذهبِ الذي استُخرجَ من تلك المناجم في جوهانسبرغ. فقد كانت تلك ابنتي البكر والوحيدة، عزيزتي بريشس راموتسوي.





كانت بريشس تشبهُ أمها التي كانت امرأةً بدينةً صالحة. وكانت تلعبُ في الحديقةِ خارجَ المنزل، وكانت تضحكُ عندما كنتُ أحملُها. وقد كنتُ أملكُ بقرةً كانت تدرُّ حليباً جيداً. فكنتُ أبقيها قريبةً من أجل بريشس، وكنا نمنحُها كماً وافراً من العصير والبيضِ أيضاً كلَّ يوم. وكانت زوجتي تضعُ الفازلين على جلدها وتصقلُه لكي يلمع. وكان الناسُ يقولون إنها كانت أجملَ طفلةٍ في بيتشوانالَند. فكانت النساءُ يأتين من على بعد أميالٍ لينظرن إليها ويحملنها.

ثم توفيت زوجتي والدة بريشس. وقد كنا نعيشُ خارج موتشودي بالضبط حينئذ. وقد كانت معتادةً أن تذهبَ من منزلنا لتزورَ عمتَها التي كانت تعيشُ خلفَ خط السكة الحديدية قربَ طريق فرانسيس تاون. وكانت تحمل الطعامَ إلى هناك لأن تلك العمةَ كانت عجوزاً فوق الحد لتعتني بنفسها. وكان لديها ابنٌ وحيدٌ مريض لم يكن يستطيعُ المشي لمسافاتٍ بعيدة.

لا أعرفُ كيف حدثَ هذا. فقد قال بعضُ الناس إنه حدثَ لأن عاصفةً كانت تتشكل في الجو، فلمعَ البرقُ. وقد كانت تجري دون أن تنظرَ إلى أين كانت متجهة. ولكنها كانت على خطِّ السكة الحديدية عندما جاء أحدُ القطاراتِ من بولاويو وصدمها. وكان سائقُ القاطرة أسفاً جداً لأنه لم يكنْ قد رآها على الإطلاق، الأمرُ الذي كان صحيحاً على الأرجح.

جاءت ابنةُ عمي لتعتني ببريشس. فكانت تصنعُ ثيابها وتأخذُها إلى المدرسة وتطبخُ وجباتنا. لقد كنتُ حزيناً، وكنتُ أفكر مُحدثاً نفسي: الآن، لم يتبقَ شيءٌ لك في هذه الحياة سوى بريشس وماشيتك. وكنتُ أثناءَ حزني أذهبُ لمركزِ الماشية لأرى كيف كان حالُ ماشيتي ولأدفعَ للصبيةِ الرعاة. إنني أملكُ المزيدَ من الماشية الآن. وقد فكرتُ حتى بشراءِ متجر. ولكنني قررتُ أن أنتظرَ وأن أدعَ بريشس تشتري

متجراً حالما أموت. وبالإضافة لذلك، فقد أتلفَ غبارُ المناجم صدري، ولم يعدْ باستطاعتي أن أسيرَ بسرعةٍ أو أن أرفعَ الأشياء.

في أحدِ الأيام، كنتُ في طريقي عائداً من مركزِ الماشية، وكنتُ قد وصلتُ إلى الطريق الرئيسي الذي يوصلُ بين فرانسيس تاون وغابورون. وقد كان يوماً حاراً، وكنتُ جالساً تحت إحدى الأشجارِ بجانبِ الطريق أنتظرُ الحافلةَ التي كانت ستسيرُ في ذلك الاتجاه لاحقاً. فاستغرقتُ في النوم بسببِ الحرارة، واستيقظتُ بسببِ صوتِ إحدى السيارات وهي تتوقف.

كانت سيارةً كبيرةً أمريكية كما أعتقد. وكان هناك رجلٌ يجلسُ في الخلف. وجاء السائقُ إلي وتحدثَ معي بلغة السيتسوانا رغم أن رقمَ لوحةِ السيارة كان من جنوبِ أفريقيا. وقال السائقُ إنه حدثَ تسربٌ في المشعاع، وسألني فيما إذا كنتُ أعرفُ أين يمكنهما أن يعثرا على شيءٍ من الماء. وصدفَ أنه كان هناك حوضُ ريٍّ للماشيةِ على طولِ الطريقِ إلى مركزِ ماشيتي. لذا ذهبتُ مع السائقِ وملأنا علبةً من الصفيحِ بالماء.

وعندما عدنا لنضعَ الماءَ في المشعاع، كان الرجلُ الذي كان جالساً في الخلفِ قد خرجَ، وكان واقفاً ينظرُ إليَّ. وابتسمَ ليُظهرَ لي أنه كان ممتناً لمساعدتي، فابتسمتُ له. ثم أدركتُ أنني كنتُ أعرفُ من كان ذلك الرجلُ، وأنه كان الرجلَ الذي يديرُ كلَّ تلك المناجم في جوهانسبرغ، وهو أحدُ رجال السيد "أوبينهايمر".

ذهبتُ إلى ذلك الرجلِ وأخبرتُه أن اسمي هو راموتسوي، وأنني كنتُ قد عملتُ في مناجمِه. وأنني كنتُ آسفاً أنه كان عليَّ أن أغادرَ باكراً ولكن ذلك قد حدثَ بسببِ ظروفٍ خارجةٍ عن سيطرتي.

فضحكَ، وقال إنه كان من الجيدِ لي أن أكونَ قد عملتُ في المناجم لسنواتٍ عديدةٍ إلى هذا الحد. وقال إنه كان يمكنني أن أركبَ في مؤخرةِ السيارةِ، وإنه كان سيأخذني إلى موتشودي.



وهكذا، وصلتُ عائداً إلى موتشودي في تلك السيارة، فدخلَ ذلك الرجلُ المهمُّ إلى منزلي. وعندئذٍ، بعد أن شربَ بعضَ الشاي، نظرَ إلى ساعته.

وقال: "عليَّ أن أعودَ الآن إلى جوهانسبرغ".

فقلتُ له إن زوجتَه ستغضب إن لم يعدْ في الوقتِ المحدد لتناول الطعامِ الذي كانت قد طهتْه من أجله. فقال إن الأمرَ كان كذلك على الأرجح.

وخرجنا. فمدَّ رجلُ السيد أوبينهايمر يدَه إلى جيبه وأخرجَ محفظتَه. فاستدرتُ بعيداً وهو يفتحُها إذ إنني لم أكن أريدُ مالاً منه. ولكنه أصرَّ على ذلك. وقال إنني كنتُ واحداً من رجال السيد أوبينهايمر، وأن السيد أوبينهايمر كان يحبُّ أن يعتني برجاله. ثم أعطاني مائتي "راند". فقلتُ إنني سأستخدمُها لأشتريَ ثوراً لأنني كنتُ قد فقدتُ واحداً لتوي.

فسرَّ لسماع ذلك. ثم ودعته، وودعني. وهكذا، فارقَ واحدُنا الآخر، ولم أعدْ أرى صديقي مجدداً رغم أنه موجودٌ دائماً في قلبي.

# الفصل الثالث

## دروسٌ عن الصبية والماعز

أســكنَ أوبيد راموتسوي ابنةَ عمه في غرفةٍ في مؤخرةِ المنزلِ الــصغيرِ الــذي كان قد بناهُ لنفسه عند طرفِ القريةِ عندما عادَ من المــناجم. وكان قد خططَ لهذه الغرفةِ أولَ الأمرِ لتكونَ مخزناً يُحتفظُ فــيه بــصناديقِ الــصفيح ومــلاءاتِ الأسرّةِ الإضافيةِ ومؤنِ زيتِ البارافــين الــذي كان يستخدمُه للطهو، ولكن كان يوجدُ مكانٌ آخر لوضعِ تلك الأشياء. وبإضافةِ سريرٍ وخزانةٍ صغيرة، وبطبقةٍ من ماء الكلسِ طُليتْ بها الجدران، سرعان ما أصبحت الغرفةُ لائقةً للإقامة. فكانــت من وجهةِ نظرِ ابنةِ العمِ رفاهيةً تفوقُ الخيالَ تقريباً. إذ إنها بعــد أن غادرهــا زوجُهــا قبل ست سنوات عادت لتعيشَ مع أمها وجدتها. فكانتا قد طلبتا منها أن تنامَ في غرفةٍ لها ثلاثةُ جدران فقط، إذ إن أحــدَ جدرانها لم يكنْ يصلُ تماماً إلى السقف. وكانتا تتعاملان معهــا بــازدراءٍ تــام لكونهما من الناسِ القديمي الطرازِ الذين كانوا يعــتقدون أن المــرأةَ التي يتركُها زوجُها تستحق قدرَها تقريباً دائماً. وكان عليهما أن تقوما بإيوائها بالطبع. ولكنّ الشعورَ بالواجبِ وليس العاطفةَ هو ما فتحَ بابهما لها.

وكان زوجُها قد تركَها لأنها كانت عاقراً. وهو قدرٌ لا مفرٌ منه تقــريباً للمــرأةِ التي لا تنجب. وكانت قد أنفقتْ كل مالٍ قليلٍ كانت تملكُــه علــى الاستشاراتِ من المعالجين التقليديين. وكان أحدُهم قد وعدَها أنها كانت ستحملُ خلالَ أشهرٍ من معالجته. وكان قد أعطاها مجمــوعةً متــنوعةً من الأعشابِ ومسحوقَ لحاءِ الشجر. وعندما لم تــنفعْ تلــك الأمــور، الــتفتَ إلى السحر. وقد جعلتها عدة جرعاتٍ

مريضةً، وكادت إحداها تقتلُها، الأمرُ الذي لم يكن مفاجئاً باعتبارِ محتوياتها. ولكنها بقيتْ تعاني من العقم. وكانت تعلمُ أن زوجها كان يفقدُ صبرَه. وبعد أن غادرَها بوقتٍ قصير كتبَ إليها من لوبيتس وأخبرَها بفخرٍ أن زوجتَه الجديدةَ كانت حاملاً. وبعد سنة ونصف، وصلتْ منه رسالةٌ قصيرةٌ مع صورةٍ لطفله، ولم يرسلْ أي مال. فكانت تلك المرةَ الأخيرةَ التي تسمعُ فيها منه.

أمـا حينئذٍ وهي تحمل بريشس بين ذراعيها وتقفُ في غرفتها الخاصة بجدرانها الأربعة القوية المبيضة بماء الكلس، فقد كانت سعادتُها مكتملةً. وقد كانت تدعُ بريشس، وعمرها أربعةُ أعوام، تنامُ معها في سريرها وهي متمددةٌ ليلاً لساعاتٍ طويلةٍ تصغي لصوتِ تنفسِ الطفلة. وكانت تربتُ على بشرةِ الطفلة وتمسكُ بيدها الصغيرةِ بين أصابعها، وتتعجبُ من اكتمالِ جسدِ الطفلة. وعندما كانت بريشس تنامُ خلال فترةِ العصرِ في الحرارة، كانت تجلسُ بجانبها وهي تحيكُ وتخيطُ سترات صغيرةٍ وجواربَ بألوانٍ حمراءَ وزرقاءَ زاهية وتصرفُ الذبابَ عن الطفلة النائمة.

وكان أوبيد أيضاً راضياً، فكان يُعطي ابنةَ عمه مالاً كل أسبوعٍ لتشتري طعاماً للمنزلِ وبعضَ المال زيادةً كل شهرٍ لها. فكانت تدّخرُ مصادرَها جيداً. وكان هناك دائماً مالٌ فائضٌ لتنفقه على شيءٍ ما من أجلِ بريشس. ولم تحدث أيةُ مناسبةٍ أبداً أن وبخها أو وجدَ عيباً في تربيتها لابنته. فكان كلُ شيءٍ مثالياً.

كانت ابنةُ العم تريدُ لبريشس أن تكونَ ذكيةً، وكانت هي نفسُها قد حظيتْ بالقليلِ من التعليم، ولكنها أجهدَت نفسَها في القراءة وثابرت. أما عندئذٍ فقد أحستْ بإمكانيةِ التغيير. فقد كان هناك حزبٌ سياسي من الممكنِ للنساءِ في ذلك الوقت الانضمامُ إليه رغمَ أن بعضَ الرجالِ قد تذمّروا من ذلك وقالوا إنه حماقة. وكانت النساءُ قد بدأن يتحدثن بين بعضهن البعض عن قدرهن. وبالطبع، لم تتحدَّ أيُّ



منهن الرجالَ صراحةً. ولكن عندما كانت النساءُ في ذلك الوقت يتحدثن بين بعضهن البعض، كانت هناك همساتٌ ونظراتٌ يتم تبادلُها. ففكرت بحياتها وزواجها المبكر من رجلٍ بالكاد التقتْ به وبعارِ عدم قدرتِها على إنجابِ الأطفال. وتذكرت السنين التي عاشتها في غرفةٍ بثلاثةِ جدرانٍ والمهامَ التي كانت قد فُرضتْ عليها دون أن يُدفعَ لها مقابلها. ويوماً ما، كانت النساءُ ربما ستصبحن قادراتٍ على أن يُطلقن أصواتهن ويشرن إلى الخطأ. لكنهن كنّ سيحتجن إلى أن يكنّ قادراتٍ على القراءة ليفعلن ذلك.

بدأت بتعليم بريشس الحساب. فكانتا تقومان بعدِّ الماعزِ والماشية. وكانتا تقومان بعدِّ الصبيةِ الذين يلعبون بالتراب. وكانتا تقومان بعدِ الأشجارِ، وتعطيان كلَّ شجرةٍ اسماً، فواحدة منحنيةٌ وواحدةٌ ليستْ لها أوراق وواحدةٌ حيث تحبُ الديدانُ أن تختبئ وواحدةٌ حيث لا يذهبُ أي طير. ثم كانت تقولُ: "إذا قطعنا الشجرةَ التي تشبهُ الرجلَ العجوز عندئذٍ كم شجرةً يكونُ قد تبقى؟" وكانت تجعلُ بريشس تتذكرُ قوائمَ من الأشياء مثل أسماء أفرادِ من العائلة أو أسماء الماشيةِ التي كان جدُها يملكُها أو أسماءِ الزعماء. وكانتا أحياناً تجلسان خارج المتجر القريب، وهو متجر "ذا سمول أبرايت جنرال ديلر" وتنتظران إحدى السياراتِ أو الشاحناتِ لتشقَ طريقَها متخبطةً مروراً بالطريق المحفورِ بالأخاديد. فكانت ابنةُ العم تصرخُ بالرقمِ على لوحة تسجيلِ السيارة. وكان على بريشس أن تتذكرَه في اليوم التالي عندما تُسألُ عنه وربما حتى في اليومِ الذي يليه. وكانتا أيضاً تلعبان تنويعاً بلعبة "كيم"، فكانت تضعُ سلةً وفيها أشياءُ مألوفةٌ وتنشرُ عليها ملاءةً بعد أن تزيلَ منها شيئاً واحداً.

"ما الذي قد أُخذَ من الصينية؟"

"بذرةٌ قديمةٌ مشوّهةٌ وممضوغةٌ بأكملها".

"وماذا أيضاً؟"

"لا شيء".

لم تكن تلك الطفلةُ تخطئ أبداً عندما كانت تراقبُ كلَّ شخصٍ وكلَّ شيء بعينيها الواسعتين الرزينتين. وببطء وبدون أن يكونَ أحدٌ قد نوى حدوثَ ذلك، نمتْ صفاتُ الفضولِ واليقظةِ في ذهن الطفلة.

وبحلول الوقت الذي ذهبتْ فيه بريشس إلى المدرسة بعمرِ السادسة كانت تعرفُ أحرفَ الأبجدية والأرقامَ حتى المائتين، وكان بإمكانها أن تسمّعَ الفصلَ الأول بكامله من سفر التكوين بالترجمة السيتسوانية. وكانت أيضاً قد تعلمتْ بعض الكلمات الإنكليزية، وكانت تستطيعُ أن تتذكرَ أربعةَ أبياتٍ من قصيدةٍ إنكليزيةٍ عن السفن والبحر. فكان المعلمُ متأثراً وأثنى على ابنة العم على ما فعلته. فكان ذلك عملياً المديحَ الأول الذي تلقّته على الإطلاق على أية مهمةٍ قد أدتها. وكان أوبيد قد شكرَها وفعلَ ذلك كثيراً وبسخاء، ولكنْ لم يكن قد خطرَ بباله أن يمدَحها لأنها من وجهة نظره كانت تقومُ بواجبها وحسب كامرأة، ولم يكن هناك أي شيءٍ مميزٍ حيال ذلك.

كانت قصيدةٌ سيتسوانية قديمة تقول: "نحن مَنْ حرثَ الأرض أولاً عندما خلقَها الربُّ. ونحن مَنْ يصنعُ الطعامَ، ونحن مَنْ يعتني بالرجالِ عندما يكونون صبيةً صغاراً وعندما يصبحون شباناً ثم شيوخاً على وشك الموت. إننا دائماً موجودات، ولكننا مجردُ نساء ولا أحدَ يرانا".

## دروس عن الصبية

فكرت السيدةُ راموتسوي محدثةً نفسها: لقد خلقنا الربُّ على هذه الأرض، فإذاً كنا جميعاً أفارقةً في البداية لأن البشرية بدأتْ في كينيا كما قد أثبتَ الدكتور ليكي ووالده. لذا، إذا فكرَ المرءُ بعناية





بالموضوع فنحن جميعاً إخوةٌ وأخوات. ومع ذلك، ماذا ترى أينما نظرت؟ قتال، قتال، قتال. الأغنياءُ يقتلون الفقراءَ والفقراءُ يقتلون الأغنياءَ في كلِّ مكانٍ ما عدا بتسوانا. وذلك بفضلِ "سير سيريتس خاما" الذي كان رجلاً صالحاً أوجدَ بتسوانا، وجعلها مكاناً جيداً. وهي ما زالتْ تبكي من أجله أحياناً عندما كانت تفكرُ به في مرضِه الأخير وبكلِ أولئك الأطباءِ الأذكياء في لندن وهم يقولون للحكومة: "إننا آسفون، ولكننا لا نستطيعُ أن نشفيَ رئيسكم".

وبالطبع، فالمشكلةُ هي أنَّ الناسَ لا يبدو عليهم أنهم يفهمون الفرق بين الصواب والخطأ. فهم بحاجةٍ لمن يذكّرُهم بشأن ذلك، لأن الأمرَ لو تُرك لهم ليفهموه بأنفسهم فإنهم لن يزعجوا أنفسهم أبداً. فهم يقومون بمجرد اكتشافِ ما هو أفضلُ لهم ثم يدعُونه الشيء الصواب. وهكذا يفكر معظمُ الناس.

كانت بريشس راموتسوي قد تعلمتْ عن الخيرِ والشرِ في مدرسة الأحد. فقد كانت ابنةُ العم قد أخذتْها إلى هناك عندما كانت في السادسةِ من عمرها. وكانت تذهبُ إلى هناك كلَّ أحد بشكلٍ دائم حتى أصبحتْ في سن الحادية عشرة. وكان ذلك وقتاً كافياً لها لتتعلمَ كلَّ شيء عن الصواب والخطأ، رغم إنها كانت قد ارتبكتْ – وبقيت هكذا – عندما كان الأمرُ يتعلق بنواحٍ محددةٍ أخرى من الدين. إذ إنها لم تستطعْ أن تصدقَ أن الربَّ قد مشى على الماء، إذ إن المرء ببساطة لا يستطيعُ ذلك. ولا كانت قد صدقت القصة التي تتعلقُ بإطعام خمسةِ آلافٍ التي كانت مستحيلةً بشكلٍ مماثل. فقد كانت واثقةً أنَّ تلك كانت أكاذيب. وكانت أكبرُ كذبةٍ على الإطلاق هي أن الربَّ لم يكن له والدٌ على هذه الأرض. فكان هذا غير صحيح لأنَّ حتى الأطفال يعرفون أن الأمرَ يحتاجُ إلى والد لإنجاب طفلٍ. وكانت تلك القاعدة تنطبقُ على الماشية والدجاج والناس، كلُّهم نفس الشيء. ولكنَّ الخطأ والصواب كان مسألة

أخرى، فلم تكنْ قد واجهتْ أيةَ صعوبةٍ في فهمِ أنه من الخطأ الكذبُ والسرقةُ وقتلُ الناسِ الآخرين.

وإذا كانَ الناسُ بحاجةٍ لإرشاداتٍ واضحةٍ لم يكن هناك أحدٌ يفعلُ ذلك أفضلَ من السيدة موتهيبي التي كانت تديرُ مدرسةَ الأحد في موتشودي لأكثر من اثنتي عشرة سنة. وقد كانت سيدةً قصيرةَ القامةِ ومستديرةً كلياً تقريباً. وكانت تتحدثُ بصوتٍ عميقٍ بشكلٍ استثنائي. وكانت تعلّمُ الأطفالَ التراتيلَ بكلٍّ من لغة السيتسوانا والإنكليزية. ولأنهم قد تعلّموا غناءهم منها، فقد كانت جوقةُ الأطفالِ كلُّها تغني مقطوعة الثمانية بصوتٍ أخفضَ من الآخرين جميعاً وكأنها ضفادع.

كانَ الأطفالُ يجلسون وهم مرتدون أفضلَ ثيابهم مصطفين في مؤخرةِ الكنيسةِ عندما تكون الصلاةُ قد انتهت. وكانت السيدة موتهيبي تعلمُهم، فكانت تقرأُ لهم الإنجيلَ وتجعلُهم يسمّعون الوصايا العشر مرة بعد مرة، وتقصُّ عليهم قصصاً دينيةً من كتاب أزرق صغير قالت إنه قد جُلِبَ من لندن ولم يكن متوفراً في أي مكانٍ آخر في البلاد.

وكانت ترتلُ قائلةً: "هناك قواعدُ ليكونَ المرءُ صالحاً، إذ يجبُ على الصبي دائماً أن ينهضَ باكراً ويتلو صلواته، ثم يجبُ عليه أن ينظفَ حذاءَه ويساعدَ والدَته في تحضيرِ وجبةِ فطورِ العائلة، إذا كانوا يتناولون الفطور. إذ إن بعضَ الناسِ لا يتناولون الفطور لأنهم فقراء، ثم يجبُ عليه أن يذهبَ إلى المدرسةِ ويقومَ بكلِّ شيءٍ يخبرُه به معلّمُه. وبتلك الطريقة، سيتعلمُ كيف يكونُ صبياً مسيحياً ذكياً يذهبُ إلى الجنة فيما بعد عندما يتوفاه الرب. أما بالنسبة للفتيات فالقواعدُ هي ذاتها ولكن يجبُ عليهن أيضاً أن يكنَّ حذراتٍ من الصبية، ويجب أن يكن مستعداتٍ لأن يخبرن الصبيةَ أنهن مسيحيات. فبعضُ الصبيةِ لا يفهمون هذا..."





وفكرتِ السيدةُ راموتسوي محدثةً نفسها: نعم، لم يكن بعضُ الصبيةِ يفهمون هذا. وحتى هناك في مدرسةِ الأحدِ كان هناك صبيٌّ من هذا النوع، وهو ذلك الصبيُّ الذي يُدعى "جوزيا" والذي كان صبياً شريراً رغم أنه كان في التاسعةِ من عمرِه فقط. فقد كان يُصرُّ على الجلوسِ بجانب بريشس في مدرسة الأحد حتى عندما كانت تحاولُ أن تتجنبه. وكان دائماً ينظرُ إليها ويبتسمُ مشجعاً رغم أنها كانت تكبرُه بعامين. وكان أيضاً يحاولُ أن يتأكدَ من أن تلمسَ ساقُه ساقَها مما أغضبَها وجعلَها تغيرُ مقعدَها مبتعدةً عنه.

ولكنَّ الأسوأ من كلِّ شيء هو أنه كان يفكُّ أزرارَ سرواله ويشيرُ إلى ذلك الشيء الذي يملكه الصبية ويتوقعُ منها أن تنظرَ. ولكنَّ ذلك لم يكن يعجبُها لكونه شيئاً لا ينبغي أن يحدثَ في إحدى مدارسِ الأحد. وما هو الشيءُ المميزُ حيال ذلك على أية حال؟ فكلُّ الصبيةِ يملكون ذلك الشيء.

وفي النهاية، أخبرتِ السيدةَ موتهيبي بالأمر فأصغتِ المعلمةُ بجدية.

وقالت: "إنَّ الصبيةَ والرجالَ هم جميعاً نفسُ الشيء. فهم يعتقدون أن هذا الشيءَ هو شيءٌ مميزٌ، وهم جميعاً فخورون جداً به، ولا يعلمون أن هذا أمرٌ سخيف".

وقالت لبريشس أن تخبرَها في المرة التالية التي يحدثُ فيها ذلك. فكان عليها فقط أن ترفعَ يدَها قليلاً، وكانت السيدة موتهيبي ستراها. فكانت تلك هي العلامة.

وحدثَ الأمرُ في الأسبوع التالي. وبينما كانت السيدةُ موتهيبي في مؤخرة الصف تنظرُ إلى كتب مدرسةِ الأحد التي كان الأطفالُ قد فتحوها أمامهم، فتحَ جوزيا أحدَ الأزرار وهمسَ لبريشس لكي تنظرَ نحو الأسفل. فأبقت نظرَها موجهاً نحو كتابها، ورفعتْ يدها اليسرى بعضَ الشيء. فلم يستطعْ أن يرى هذا بالطبع. ولكنَّ السيدةَ موتهيبي

استطاعت ذلك. فتسللتْ من خلف الصبي ورفعتِ الإنجيل إلى الأعلى، ثم هوت به على رأسه بضربةٍ مدوّيةٍ جعلتِ الأطفال يجفلون.

انثنى جوزيا تحت الضربة. فاستدارت السيدة موتهيبي حينئذ أمامه، وأشارت إلى فتحةِ سرواله المفتوحة، ثم رفعت الإنجيل مجدداً وضربته على أعلى رأسِه حتى أقوى من ذي قبل.

كانت تلك المرة الأخيرة التي أزعج فيها جوزيا بريشس راموتسوي أو أية فتاة أخرى بسبب ذلك. أما من جهتها، فقد تعلمتْ بريشس درساً مهماً عن كيفية التعامل مع الرجال. وبقي هذا الدرسُ معها لسنواتٍ عدة. وأثبتَ لاحقاً أنه درسٌ مفيدٌ جداً، كما كانت كل دروسِ مدرسةِ الأحد.

## رحيل ابنة العم

اعتنتْ ابنةُ العم ببريشس طوال السنواتِ الثماني الأولى من حياتها. وربما كانت لتبقى إلى ما لا نهاية، الأمرُ الذي كان ليناسب أوبيد لأن ابنةَ العم كانت تعتني بالمنزلِ من أجله ولم تشتكِ أبداً أو تطلبْ منه مالاً. ولكنه أدركَ عندما حان الوقتُ أنه قد توجدُ هناك أمورٌ تتعلق بالكبرياء وأن ابنة العم قد ترغبُ أن تتزوّجَ ثانيةً رغم ما حدثَ في المرةِ الماضية. وهكذا، فقد منحَ موافقته عن طيب نفس عندما أعلنت ابنةُ العم أنها كانت تقابلُ أحدَهم وأنه كان قد طلبَ يدَها وأنها كانت قد وافقت.

وقالت: "كان بإمكاني أن آخذَ بريشس معي. فأنا أشعرُ الآن أنها ابنتي، لولا وجودُك أنت..."

فقال أوبيد: "نعم، إنني موجودٌ، هلا تأخذينني معك أيضاً؟"

فضحكت ابنةُ العم، وقالت: "إن زوجي الجديد رجلٌ غني، ولكنني أعتقدُ أنه يريدُ أن يتزوجَ شخصاً واحداً فقط."





أعدَّ أوبيد الإجراءاتِ من أجل الزفافِ لأنه كان أقربَ أقاربِ ابنةِ العم. فكان عليه القيام بهذا، وقام به عن طيبِ نفس رغم ذلك بسبب كل ما كانت قد فعلتْه من أجله. فأعدّ الترتيبات لذبح رأسين من الماشية وإعداد مشروب مفضل كافٍ لمائتي شخص. وبعد ذلك، دخل الكنيسةَ وابنةُ العم ممسكةٌ بذراعه ورأى الزوجَ الجديد وأهلَه وأبناءَ أعمامٍ آخرين وأصدقاءَهم وأناساً من القريةِ مدعوين وغير مدعوين. فكانوا جميعاً ينتظرون ويشاهدون.

بعد مراسم الزفاف، عادوا إلى المنزل حيثُ كانت الخيامُ قد عُلّقتْ عالياً بين أشجارِ الشوك والكراسي المُقترضة الموضوعة خارجاً. فجلسَ الشيوخ بينما كان الشبانُ يتجولون في الأنحاء ويتحدثون إلى بعضهم البعض ويتنشقون الهواءَ عند كمياتِ اللحم الكبيرة التي كانت تئزُّ على النار المكشوفة، ثم تناولوا الطعام. وقد ألقى أوبيد خطابَ شكرٍ لابنة عمه وزوجها الجديد، فأجابَ الزوجُ أنه كان ممتناً لأوبيد لعنايته بهذه المرأة جيداً.

كان الزوجُ الجديدُ يملكُ حافلتين جعلتاه ثرياً. وكانت إحداهما قد وُضعَت في الخدمة من أجل الزفاف وزُيّنت من أجل المناسبة بقماشٍ أزرقَ زاهٍ. أما الأخرى فقد انطلقا فيها بعد الحفلة والزوجُ عند المقود والعروس الجديدةُ جالسةٌ في المقعد الذي خلفه تماماً. فأطلقتْ صيحاتٌ مستثارةٌ وعويلٌ من النساء، وانطلقتِ الحافلةُ نحو السعادة.

أسسا بيتاً على بُعد عشرة أميالٍ جنوبَ غابورون في منزلٍ مكسو بالطين كان شقيقُ الزوج الجديد قد بناه من أجله. وكان له سطحٌ أحمرُ وجدرانٌ بيضاءُ وباحةٌ مسوّرةٌ على الطريقة التقليدية بحديقة مسوّرةٍ في الأمام. وكان يوجدُ في المؤخرةِ كوخٌ صغيرٌ يعيش فيه أحدُ الخدم، ومرحاضٌ صغيرٌ ملحق به ومصنوعٌ من الصفيح المطلي بالزنك. وكانت ابنةُ العم تملكُ مطبخاً ذا مجموعة جديدة

لماعـة مـن المقالي وفرنين منزليين. وكانت لديها ثلاجةٌ كبيرةٌ من جنوب أفريقيا تعملُ بالبرافين. فكانت تُصدرُ صوتاً هادئاً طوال الليل وتحفـظُ كل شيءٍ بارداً مثلجاً بداخلها. وفي كل أمسيةٍ، كان زوجها يعـودُ إلى البيتِ بإيراداتِ اليوم للحافلتين، فكانت تساعدُه بعدِّ المال. فأثبتـت نفسَها على أنها محاسبةٌ ممتازةٌ، وسرعان ما أصبحتْ تديرُ ذلك الجزء من العمل بنجاحٍ رائع.

جعلتْ زوجَها الجديدَ سعيداً من نواحٍ أخرى. فعندما كان صبياً كـان قـد عـضَّه ابن آوى، فترك ندباتٍ في وجهه حيث كان أحدُ الأطـباء المتمـرنين فـي المستـشفى التبشيري الاسكتلندي في مولـبولول قد خاطَ الجرحَ بشكلٍ غير بارع. ولم تقلْ له امرأةٌ من قبل إنه وسيم. ولم يكن قد حلمُ قطّ أن أي امرأةٍ ستفعلُ ذلك لكونه معـتاداً أكثـر على إجفالِ التعاطف. ورغم ذلك، فقد قالت له ابنةُ العـم إنـه كـان أحـسنَ الرجالِ الذين قابلتهم في حياتها مظهراً وأكثـرَهم رجـولة. ولـم يكن ذلك مجردَ إطراءٍ بل كانت تقولُ الحقـيقةَ كمـا كانـت تراها. فامتلأ قلبُه بالدفء الذي يتدفقُ من المجاملةِ المعبِّرِ عنها بشكلٍ بارع.

كتبت ابنةُ العم لبريشس تقول لها:

"أعـرفُ أنك تفتقدينني. ولكنني أعرفُ أنك تريدينني أن أكون سعيدة. وأنا سعيدةٌ جداً الآن. فلديَّ زوجٌ لطيفٌ جداً وقـد أحضرَ لي ثياباً رائعةً، وهو يجعلني سعيدةً كلَّ يوم. ويوماً ما، ستأتين وتمكثين معنا، ويمكننا أن نعدَّ الأشجارَ مجـدداً وأن نغني التراتيل معاً كما اعتدنا أن نفعل دائماً. والآن يجبُ أن تعتني بوالدك لأنك كبيرةٌ كفايةً لتفعلي هذا، وهـو رجلٌ طيبٌ أيضاً. إنني أريدُ لك أن تكوني سعيدةً، وهـذا هـو مـا أصلي من أجله كلَّ ليلة: اعتنِ ببريشس راموتسوي، يا رب. انتبهْ لها الليلةَ وإلى الأبد. آمين".



## الماعز

كانـت بريـشس وهي فتاةٌ صغيرةٌ تحبُّ الرسم، وهو نشاطٌ كانت ابنةُ العم قد شجَّعتها عليه منذ سنٍ مبكرة. فأعطيتْ مجموعةَ أوراقٍ للرسـم ومجموعةً من الأقلامِ الملونةِ بمناسبة عيد ميلادها العاشـر. وسـرعان مـا أصـبحتْ موهبتُها ظاهرةً. وكان أوبيد راموتـسوي فخوراً بقدرتها على ملء الصفحات من دفترِ الرسم بمناظـرَ من الحياة اليومية في موتشودي. فهنا كانت لوحةٌ تُظهرُ البحيرة أمام المستشفى، وكانت جديرةً بالتقدير تماماً. وهناك كانت صـورةٌ لقيِّمة المستشفى وهي تنظرُ إلى أحد الحمير. وكانت على هذه الصفحة صورةٌ لدكان "ذا سمول أبرايت جنرال ديلر" وأمامَه أشياءُ قد تكونُ أكياساً من الذرة أو ربما أناساً جالسين، إذ لا يمكن لأحـدٍ أن يعرف. ولكنها كانت رسوماتٍ ممتازةً. وكان مسبقاً قد علَّـق بـضعة منها على جدران غرفةِ المعيشةِ في منزلهما عالياً قربَ السقفِ حيث كان الذبابُ يحطّ.

علمَ المدرسون بشأنِ موهبتها، وأخبروها أنها قد تصبحُ يوماً ما فـنانةً عظـيمةً وصـورُها على غلافِ مجلة "بتسوانا كالِيندَر". وقد شجَّعها هذا، فتبعتْ لوحةٌ لوحةً أخرى. لوحاتٌ لماعزٍ وماشيةٍ وتلالٍ ويقطـين ومـنازل. فقـد كـان هناك الكثيرُ لعينِ الفنانِ في أنحاء موتشودي، ولم يكن هناك احتمالٌ أن تنفذَ منها المواضيع.

علمتِ المدرسة عن منافسة فنية للأطفال، فقد كان المتحفُ في غابـورون قد طلبَ من كل مدرسةٍ في البلاد أن تقدِّمَ لوحةً من رسم أحـدِ تلامـيذِها بموضوع "الحياة في بتسوانا اليوم". وبالطبع لم يكن هـناك شكٌ حيالَ من سيقدِّم هذا العمل. فطُلبَ من بريشس أن ترسمَ لـوحةً خاصـةً، وأن تأخذَ وقتها في العمل بها. ثم كانت هذه اللوحة سترسَلُ إلى غابورون على أنها الاشتراكُ من موتشودي.

رسمتْ لوحتَها في أحدِ أيام السبت، فخرجتْ باكراً مع دفترِ رسمِها، وعادت بعد بضعِ ساعات لتملأها بالتفاصيلِ داخلَ المنزل. فاعتقدتْ أن ذلك كان رسماً جيداً. وكانت معلمتُها متحمسةً عندما رأتها إياهُ يوم الاثنين التالي.

فقالت لها: "ستفوزين بالجائزة لموتشودي، وسيكونُ الجميعُ فخورين".

وُضعتْ اللوحةُ بعنايةٍ بين قطعتين من الورقِ المقوى المجعد، وأرسلتْ في البريدِ المسجّلِ إلى المتحف. ثم حدثَ انقطاعٌ لمدة خمسة أسابيع، فنسي الجميعُ في غضون ذلك الوقت أمرَ المنافسة. وتذكروا فقط عندما وصلتِ الرسالةُ للمديرِ فقرأها وهو يبتسمُ لبريشس بابتهاج.

وقال: "لقد فزتِ بالجائزةِ الأولى، ويتوجبُ عليك الذهابُ إلى غابورون معي ومع معلمتِك ووالدِك لتتسلّمي الجائزةَ من وزيرِ التربيةِ في حفلٍ خاص".

كان ذلك كثيراً بالنسبة لها فبكتْ، ولكنها سرعان ما توقفت عن البكاء. وقد سُمح لها أن تُغادرَ المدرسة باكراً لتعودَ مسرعةً إلى البيت وتبلغ والدَها بالخبر.



سافروا مع المديرِ في شاحنته فوصلوا في وقتٍ أبكرَ بكثيرٍ من وقتِ مراسم الاحتفال. فأمضوا بضعَ ساعاتٍ وهم جالسون في حديقةِ المتحفِ منتظرين أن تُفتحَ الأبواب. ولكنها أخيراً فُتحت وجاء الآخرون، ومنهم مدرسون وأناسٌ من الصحفِ وأعضاء في الهيئة التشريعية. ثم وصلَ الوزيرُ في سيارةٍ سوداء. فوضعَ الناسُ كؤوسَ عصيرِ البرتقال، والتهموا آخرَ سندويشاتهم.

شاهدتْ لوحتَها معلقةً في مكانٍ مميزٍ على حاجزِ الغرفة، وكانت هناك بطاقةٌ صغيرةٌ معلقةٌ تحتها. فذهبتْ مع معلمتها لتنظرا إليها. فشاهدتْ، وقلبُها يقفزُ، اسمَها مطبوعاً بأناقةٍ تحت اللوحة:



بريشس رلموتسوي (10 سنوات) (مدرسة موتشودي الإعدادية الحكومية) وكان مطبوعاً تحت ذلك أيضاً العنوانُ الذي أعطاهُ المتحفُ للوحة، وهو: "الماشيةُ بجانب السد".

فوقفتْ متصلبةً وهي مرعوبةٌ فجأة، إذ أنّ ذلك لم يكن صحيحاً. فقد كانت صورةَ ماعز، ولكنهم اعتقدوا أنها ماشية. فكانت تحصل على جائزة لصورةِ ماشيةٍ بالادعاءِ الكاذب.

وسألها والدُها قائلاً: "ما الخطب؟ يجبُ أن تكوني مسرورةً جداً، فلماذا تبدين حزينةً هكذا؟"

فلم تستطعْ أن تقولَ شيئاً. إذ كانت على وشك أن تصبحَ مجرمةً مرتكبةً للخديعة. ولم يكن باستطاعتِها ربما أن تتسلمَ جائزةً لصورةِ ماشيةٍ في حين أنها لم تكنْ بكل بساطةٍ تستحقُ ذلك.

ولكنَ الوزيرَ كان حينئذٍ واقفاً بجانبها، وكان يستعدُ ليلقيَ خطاباً. فنظرتْ عالياً إليه، فابتسمَ بدفء.

وقال: "إنكِ فنانةٌ بارعةٌ جداً، ولا بدّ أن موتشودي فخورةٌ بك".

فنظرتْ إلى حذائها. وكان عليها أن تعترف.

فقالت: "إنها ليست لوحة لماشية، بل هي لوحةُ ماعز. ولا يمكنكم أن تمنحوني جائزةً من أجل خطأ".

فعبسَ الوزيرُ ونظرَ إلى المادة المكتوبة، ثم التفتَ إليها، وقال: "هم الذين ارتكبوا خطأ، فأنا أيضاً أعتقدُ أن هذه ماعزٌ وليست ماشية".

تنحنح، وطلبَ مديرُ المتحفِ الصمت.

وقال الوزيرُ: "إن هذه اللوحةَ الممتازةَ للماعزِ تظهرُ كم هم موهوبون شبابنا في هذه البلاد. وهذه السيدةُ الصغيرةُ ستكبرُ لتصبحَ مواطنةً صالحةً وربما فنانةً مشهورة. وهي تستحقُ جائزتَها، وأنا أمنحُها إياها الآن".

أخــذتْ عليــتَها الملفوفةَ التي أعطاها إياها، وشعرتْ بيدِه على كتفِها، وسمعتْه يهمسُ قائلاً:

"إنكِ أصدقُ طفلةٍ قابلتُها على الإطلاق. أحسنتِ صنعاً".

ثــم انتهت المراسمُ. وبعدَ ذلك بقليل، عادوا إلى موتشودي في شاحنةِ المديرِ المتخبطة في طريق وعرة، فكانت بطلةً عائدةً وحاملةً للجوائز.



# الفصل الرابع

## العيشُ مع ابنة العم
## وزوج ابنة العم

تـركتِ السيدةُ راموتسوي المدرسةَ عندما بلغت سن السادسة عشرة. وقد أعلنَ عنها مديرُ المدرسة قائلاً: إنها الفتاةُ الأفضلُ في هـذه المدرسـة، وإحدى أفضلِ الفتياتِ في بتسوانا. وكان والدُها يـريدُها أن تبقـى فـي المدرسةِ وأن تحصل على شهادة مدرسة كامبـردج وأن تصلَ حتى لأبعدَ من ذلك. ولكن السيدة راموتسوي كانت سئمةً مـن موتشودي، وسئمةً أيضاً من العملِ في محل "سـمول أبرايت جنرال ديلر" حيث كانت تقومُ كلَّ يوم سبت بجردِ المحـتويات وتمـضي الساعاتِ وهـي تسجل أشياء على قوائم مخـزونِ البضائع المثنية الزوايا. فأرادت أن تذهبَ إلى مكانٍ ما، وأرادتْ لحياتها أن تبدأ.



فقـال والـدُها: "يمكـنكِ أن تذهبي إلى ابنةِ عمي، فذلك مكانٌ مخـتلفٌ جداً. وأعتقدُ أنكِ ستجدين الكثيرَ من الأمورِ التي تحدثُ في ذلك المنزل".

وقـد كلّفه الأمرُ الكثيرَ من الألمِ ليقول ذلك. فقد كان يريدُها أن تبقى لتعتني به. ولكنّه كان يعلمُ أنه سيكونُ من الأنانيةِ أن يتوقعَ من حـياتِها أن تدورَ حولَ حياته. فقد كانت تريدُ الحريةَ وتريدُ أن تشعرَ أنهـا كانـت تفعلُ شيئاً ما في حياتِها. وبالطبع، كانت فكرةُ الزواجِ موجـودةً في عقلِه الباطن. فقد كان يعلمُ أنه في غضونِ وقتٍ قصيرٍ جداً سيكونُ هناك رجالٌ يريدون الزواجَ منها.

وهو بالطبع لم يكن أبداً لينكرَ عليها ذلك. ولكن ماذا لو كان الرجلُ الذي أرادَ الزواجَ بها متنمراً أو سكيراً أو زير نساء. إذ إن كلَّ هذا ممكنٌ، ويوجدُ عددٌ من الرجالِ كهؤلاء ينتظرون فتاةً جذابةً يمكنهم أن يتشبثوا بها ويدمروا حياتَها ببطء. فهؤلاء الرجالُ هم كالعلقِ يمتصون الطيبةَ من قلبِ المرأةِ حتى يجف، فيكونُ كلُّ حبها قد استنفدَ. وقد كان يعلمُ أن ذلك يستغرقُ وقتاً طويلاً لأنه يبدو على النساء أنهن يملكن احتياطاً ضخماً من الطيبة داخلهن.

وإذا طلبَ أحدُ أولئك الرجالِ يدَ بريشس ماذا كان بإمكانه كوالد أن يفعل؟ كان يمكنه أن يحذِّرَها من المجازفة. ولكن مَنْ ذلك الذي يُصغي للتحذيرات بشأنِ أحد يحبُّه. فقد رأى ذلك الأمرَ غالباً من قبل. والحبُّ هو شكلٌ من العمى يغلقُ العيونَ عن أكثرِ العيوب وضوحاً. فيمكنُ للمرءِ أن يحبَّ قاتلاً ولا يصدق ببساطةٍ أن من يحبُّه قد يفعلُ شيئاً مثل سحقِ قُرادةٍ ناهيك عن قتلِ أحدِهم. ولن تكون هناك فائدةٌ من ثنيها عن ذلك.

كان منزلُ ابنةِ العم سيكونُ آمناً كأيِّ مكانٍ حتى إن لم يستطعْ حمايتَها من الرجال. وعلى الأقل، كانت ابنةُ العم ستتمكنُ من أن تعتني بابنته، وقد يكونُ زوجُها قادراً على أن يطردَ أكثرَ الرجالِ غيرِ المناسبين بعيداً. إذ إنه كان رجلاً غنياً عندئذ ولديه أكثرُ من خمسِ حافلات. وقد يملكُ السلطةَ التي كان الرجالُ الأغنياءُ يملكونها. وقد يكونُ قادراً على أن يرسلَ بعضَ الشبانِ لحزمِ الأمتعة.

كانت ابنةُ العم مسرورةً لإقامةِ بريشس في المنزل. فزينتْ إحدى الغرفِ لها، وعلقتْ ستائرَ جديدةً من قماشٍ سميك أصفرَ كانت قد اشترته من سوق "أوكيه بازارز" في رحلةِ تسوقٍ إلى جوهانسبرغ. ثم ملأت صندوقاً ذا أدراجٍ بملابس، ووضعت على قمته صورةً محاطةً بإطارٍ للبابا. وكانت الأرضيةُ مغطاةً بحصيرةٍ منقوشةٍ بشكلٍ بسيط. فكانت غرفةً مريحةً زاهية.



سرعان ما استقرتْ بريشس في روتينها الجديد. فمُنحت وظيفةً في مكتبِ شركةِ الحافلاتِ حيث كانت تجمعُ الفواتيرَ وتتفقدُ الأرقامَ في سجلاتِ السائقين. وكانت سريعةً في هذا العمل، ولاحظَ زوجُ ابنةِ العم أنها كانت تقومُ بعملٍ يعادلُ عملَ الموظفين الأكبرِ منها مجتمعين. فقد كانا يجلسان عند طاولتيهما ويثرثران طوال اليوم. ومن حين لآخر، كانا يحركان الفواتيرَ على المكتبِ أو ينهضان ليُعِدا إبريقَ الشاي.

كان أمراً سهلاً على بريشس بذاكرتها أن تتذكرَ كيف تقومُ بأشياءَ جديدةٍ وكيف تطبقُ المعرفةَ بدون خطأ. وكانت أيضاً راغبةً بالإدلاء بالاقتراحات. فبالكاد كان يمضي أسبوعٌ تفشلُ فيه في الإدلاء باقتراحٍ ما للطريقةِ التي يمكنُ فيها للمكتبِ أن يكون أكثرَ فعالية.

وقال أحدُ الموظفين لها: "إنكِ تعملين بجهدٍ فوق الحد، وتحاولين أن تستولي على وظيفتنا".

فنظرتْ بريشس إليه بنظرةٍ خاليةٍ من التعبير. فلطالما كانت تعملُ بأقصى جهدٍ تستطيعُه في كلِّ ما كانت تفعلُه. ولم تكن ببساطةٍ تفهمُ كيف يمكنُ لأحدٍ ما أن يقومَ بالأمرِ المعاكس. فكيف كان بإمكانهما الجلوسُ هناك كما كان يفعلان والتحديقُ في الفضاء أمام مكتبيهما عندما يكونُ بإمكانهما أن يجمعا الأرقامَ أو أن يتفقدا عائدات السائقين؟

وقد كانت تقومُ بتفقدها بنفسها غالباً دون أن يُطلبَ منها ذلك. ورغم أن كلَّ شيءٍ كان يُجمَعُ عادةً، كانت بين الحين والآخر تجدُ تناقضاً صغيراً. وكان هذا يحدثُ نتيجةَ إعطاءِ فكةِ النقودِ الخاطئة كما كانت ابنةُ العم تشرح. وكان حدوثُ ذلك سهلاً في حافلةٍ مزدحمة. وطالما لم يكن ذلك مهماً كثيراً كانوا يتجاهلونه وحسب. ولكنَّ بريشس اكتشفتْ أكثرَ من ذلك. فقد اكتشفتْ تناقضاً بأكثرَ بقليلٍ من ألفي "بولا" في فواتيرِ الوقود. فلفتت انتباهَ زوج ابنة عمها له.

فسأل: "هل أنتِ واثقة؟ كيف يمكنُ لألفي بولا أن تكون مفقودة؟"

فقالت: "مسروقة؟"

فهزَّ زوجُ ابنة العم رأسه. إذ إنه كان يعتبرُ نفسَه صاحبَ عمل نموذجي. وقد كان ذا رعايةٍ أبوية. ولكن ذلك هو ما يريده الرجال، أليس كذلك؟ فلم يستطع أن يصدقَ أن أيّاً من موظفيه سيغشُه. وكيف كان يمكنهم ذلك في حين أنه كان طيباً جداً معهم وفعلَ الكثيرَ من أجلهم؟

أرته بريشس كيف كان المالُ قد أُخذ. فاكتشفا معاً كيف نُقلَ من حسابٍ صحيحٍ إلى آخر ثم اختفى كلُّه في نهاية المطاف. وكان واحدٌ فقط من الموظفين يستطيعُ الوصولَ إلى تلك الصناديق. ولذلك، لا بدَّ أنه كان هو الفاعل؛ فلم يكن من الممكنِ أن يكون هناك تفسيرٌ آخرُ.

لم ترَ بريشس المواجهاتِ ولكنها سمعتها من الغرفة الأخرى. وكان الموظفُ ساخطاً ويصرخُ بإنكاره بأعلى صوته. ثم كان هناك صمتٌ للحظة وصوتُ خبْطِ أحدِ الأبواب.

فكانت هذه قضية السيدة راموتسوي الأولى وبداية مهنتها.



## وصول نوت موكوتي

عملتْ بريشس مدة أربع سنواتٍ في مكتبِ الحافلات. فأصبح ابنةُ العم وزوجُها معتادَين على وجودِها، وبدأ يدعوانها ابنتَهما. ولم تكن تمانعُ بذلك، فقد كانا أهلاً لها وكانت تحبُهما. وكانت تحبُ ابنةَ العم حتى لو كانت لا تزالُ تعاملُها كطفلة وتوبخُها علناً. وكانت تحبُّ زوجَ ابنةِ العمِ بوجهِه الحزينِ ذي الندبات ويديه الكبيرتين الشبيهتين بيدي الميكانيكي. وكانت تحبُّ المنزلَ وغرفتَها وستائرَها الصفراء. فكانت تلك حياةً جديدةً أوجدتْها لنفسِها.

كانت في كلِّ عطلةٍ أسبوعية تسافرُ إلى موتشودي في إحدى حافلاتِ زوج ابنةِ العم، وتزورُ والدَها. وكان والدُها ينتظرُها خارجَ



المنزلِ جالساً على كرسيه. فكانت تنحني احتراماً أمامَه على الطريقةِ التقليدية وتصفقُ بيديها.

وعندئذٍ، كانا يتناولان الطعامَ معاً وهما جالسان في ظلِ الشرفةِ ذات السقفِ المائلِ التي كان قد نصبَها إلى جانبِ المنزل. فكانت تخبرُه عن نشاطِ الأسبوع في مكتبِ الحافلاتِ. وكان يأخذُ كل التفاصيل، فيسألُ عن الأسماءِ التي كان يربطُها بسلالاتٍ مفصلة. وكان كلُّ واحدٍ مرتبطاً بطريقةٍ ما. فلم يكن يوجدُ أحدٌ لا يمكن أن ينطبقَ على الزوايا البعيدةِ من العائلة.

وكان الأمرُ ذاته مع الماشية، فقد كانت توجدُ عائلاتٌ للماشية. وبعد أن تكونَ قد انتهتْ من الحديث، كان يخبرُها عن أخبارِ ماشيتِه. ورغم أنه نادراً ما كان يذهبُ إلى محطةِ الماشية، فقد كانت تصله الأخبارُ كلَّ أسبوع، وكان يستطيعُ أن يديرَ حياةَ الماشيةِ عن طريقِ الصبيةِ الرعاة. وقد كان يملكُ بصيرةً نافذةً فيما يتعلقُ بالماشيةِ وقدرةً ممتازةً على كشفِ السماتِ في العجولِ التي قد تتطورُ عندما تنضج. فكان يستطيعُ أن يعرفَ من نظرةٍ فيما إذا كان أحدُ العجولِ الذي يبدو ضعيفاً، ولهذا السبب يكونُ رخيصاً، يمكنُ أن يُجلبَ ويسمَن. وكان يراهنُ على هذا الحكمِ ويشتري حيواناتٍ كتلك، فيحولُها إلى ماشيةٍ جيدةٍ لصنعِ سمنِ الحليب إذا كانت الأمطارُ جيدة.

وكان يقولُ إن الناسَ يشبهون ماشيتهم. فالماشيةُ النحيلةُ التعيسة لها مالكونَ نحيلون تعساء. والماشيةُ الكسولةُ التي كانت تتجول بلا هدف يملكُها أناسٌ تفتقرُ حياتهم إلى التركيز. وكان يؤكدُ أن الناسَ غير الشرفاء لهم ماشيةٌ غيرُ شريفة. وهي ماشيةٌ تخدعُ الماشيةَ الأخرى في الطعام وتحاولُ أن تتسللَ إلى قطعانِ الآخرين.

كان أوبيد راموتسوي حكماً صارماً على الرجالِ والماشية. فوجدتْ بريشس نفسَها تفكرُ قائلة: ماذا سيقولُ عندما يكتشفُ أمرَ نوت موكوتي؟

كانــت قــد التقتْ نوت موكوتي على متنِ إحدى الحافلاتِ في طريقِ عودتها من مونتشودي. وكان هو مسافراً من فرانسيس تاون. وقد كان جالساً في الأمام، وحقيبةُ بوقه على المقعدِ بجانبه. فلم يسعْها إلا أن تلاحظه بقميصه الأحمر وبنطاله ذي القماشِ القطني المخطط، ولــم تخفقْ في رؤيةِ عظمتي وجنتيه المرتفعتين وحاجبيه المقوسين. فكــان وجهــاً متكبــراً، وجه رجلٍ اعتادَ أن يُنظرَ إليه ويُعجَب به. فأخفضتْ عينيها مباشرة، إذ إنها لم تكن تريدُ منه أن يظنّ أنها كانت تنظــرُ إليه حتى لو استمرتْ بإلقاءِ نظراتٍ خاطفةٍ عليه من مقعدِها. مَنْ هو ذلك الرجل؟ أهو موسيقيٌ بتلك الحقيبةِ بجانبه، أم أنه شخصٌ ذكيٌ من الجامعة ربما؟

تــوقفتِ الحافلةُ في غابورون قبل أن تنطلقَ جنوباً في الطريقِ إلى لوبيتس. فبقيتْ في مقعدِها ورأته ينهض. فوقفَ وسوّى تجعداتِ بــنطاله، ثم التفتَ ونظرَ نحو الحافلة، فشعرتْ بقلبِها يقفز. لقد نظرَ إليها. كلا، لم يفعل. بل كان ينظرُ من خلال النافذة.

فجــأةً، وبدون تفكيرٍ، نهضتْ على قدميها، وأخذتْ حقيبتها من علــى الرف. وكانت ستنزلُ ليس لأنه كان لديها أيُ شيء تفعله في غابورون ولكن لأنها أرادتْ أن ترى ما كان سيفعل. وكان قد غادرَ الحافلة عندئذٍ، فأسرعتْ متمتمةً تفسيراً سريعاً للسائق وهو أحدُ رجالِ زوج ابنة عمها. وكان المكانُ خارجاً المزدحمُ بالحشدِ في شمسِ فترةِ العــصرِ المتأخر عابقاً بالغبارِ والمسافرين الحرّانين. فنظرتْ حولَها ورأته. ولم يكن واقفاً بعيداً. وكان قد اشترى كوزَ ذرةٍ مشوياً من بائعٍ متجول. فكان يأكله حينئذٍ ويُحدثُ خطوطاً فيه. فشعرتْ مجدداً بذلك الإحساسِ غيرِ المستقرِ. وتوقفتْ حيث كانت واقفةً وكأنها غريبةٌ غيرُ متأكدةٍ أين تذهب.

كــان ينظــرُ إليها فاستدارت بعيداً بارتباك. هل رآها تراقبُه؟ ربما. ونظرتْ إلى الأعلى مجدداً ملقيةً نظرةً خاطفةً بسرعةٍ باتجاهه،





فابتــسمَ لها هذه المرة ورفعَ حاجبيه. ثم التقطَ حقيبةَ البوقِ وهو يلقي بكوزِ الذرة بعيداً ومشى نحوها. فتسمرتْ في مكانِها غيرَ قادرةٍ على السيرِ بعيداً وكانت كالفريسة أمام الأفعى.

قــال: "لقــد رأيتُك على متنِ تلك الحافلة، فظننتُ أنني كنت قد رأيتُك من قبل، ولكنني لم أفعل".

فنظرتْ إلى الأسفلِ نحو الأرض، وقالت: "إنني لم أركَ من قبل أبداً".

فابتسمَ، واعتقدتْ أنه لم يكن مخيفاً، فزالَ بعضُ ارتباكِها.

وقال: "إنك ترين معظمَ الناسِ في هذه البلادِ مرة أو مرتين، فهم ليسوا غرباء".

فأومأتْ برأسِها، وقالت: "هذا صحيح".

وصــمتا، ثم أشارَ إلى الحقيبة عند قدميه قائلاً: "هذا بوقٌ، فأنا موسيقيٌ".

فنظرتْ إلى الحقيبة، وكانت عليها صورةٌ ملصقةٌ لرجلٍ يعزفُ الغيتار.

وسأل: "هل تحبين الموسيقى، كالجاز أو الكويلا".

فنظرتْ إلى الأعلى، ورأتْ أنه كان ما يزالُ يبتسمُ لها.

"نعم، إنني أحبُ الموسيقى".

فقال: "إنني أعزفُ مع إحدى الفرقِ. ونحن نعزفُ في الحاناتِ فــي فــندق "بريزيدنت". ويمكنك أن تأتي وتستمعي، فأنا ذاهبٌ إلى هناك الآن".

ســارا إلى الحانة التي كانت على بعدِ عشرِ دقائق أو نحو ذلك مــن محطــة الحافلــة. فاشترى لها شراباً وأجلسَها عند طاولةٍ في المؤخرة لها مقعدٌ واحدٌ ليثنيَ الآخرين عن الجلوس. ثم قام بالعزفِ، وأصغتْ وهي مستغرقةٌ بالموسيقى التي تنسابُ بغموضٍ وفخورةٌ أنها

كانت تعرفُ ذلك الرجل وأنها كانت ضيفته. وقد كان الشرابُ غريباً ومرُّ الطعم، ولكن الشربَ كان شيئاً يفعلُه الناسُ في الحانات. وقد كانت قلقةً من أن تبدو في غير مكانها أو صغيرةً جداً وأن يلاحظها الناس.

وبعد ذلك، عندما كانت الفرقةُ تأخذُ استراحةً، جاءَ لينضمَّ إليها ورأت أن جبينَه كان يلمعُ بسبب الجهد الذي بذلَه في العزف.

وقال: "إنني لا أعزفُ جيداً اليوم، إذ يمكنُ للمرءِ أن يعزفَ جيداً في بعضِ الأيام، ولا يمكنُه ذلك في أيامٍ أخر".

"ولكنني أعتقدُ أنك كنتَ جيداً جداً، وقد عزفتَ على نحوٍ جيد".

"لا أعتقدُ ذلك، إذ يمكنني أن أعزفَ بشكلٍ أفضل. فهناك أيامٌ يتحدثُ البوقُ وحسب إلي فيها. ولا يكونُ عليَّ أن أفعلَ أيَّ شيء عندئذ".

رأتْ أن الناسَ كانوا ينظرون إليهما وأن امرأةً أو اثنتين كانتا تحدّقان بهما بانتقاد. وكان بإمكانها أن تعرفَ أنهما كانتا تريدان أن تكونا حيث كانت، مع نوت.

أركبَها في الحافلة المتأخرة بعد أن غادرا الحانةَ، ووقفَ ولوّحَ لها بينما كانت الحافلةُ تبتعدُ. فلوحتْ له وأغلقتْ عينيها. فقد أصبحَ لديها صديقٌ حينئذ، وهو عازفُ جاز. وكانت ستراهُ مجدداً بناءً على طلبه في ليلةِ الجمعة التالية عندما تعزفُ فرقتُه في حفلِ شواء في نادي غابورون. وقال إن أعضاءَ الفرقة دائماً يأخذون صديقاتهم، فكانت ستقابلُ بعضَ الناسِ المثيرين للاهتمام هناك، وهم أناسٌ من نوعيةٍ جيدة لا تقابلُهم في الأحوالِ العادية.

وكان ذلك هو المكانَ الذي طلبَ فيه نوت موكوتي يد بريشس راموتسوي وحيث قبلَها بطريقة غريبة دون أن تقولَ أيَّ شيء. وكان ذلك بعد أن انتهت الفرقةُ من العزف، وكانا جالسين في الظلام بعيداً عن ضجةِ الشاربين في الحانة. فقال: "إنني أريدُ أن أتزوجَ قريباً، وأريدُ أن أتزوجَك، فأنت فتاةٌ لطيفةٌ وستنفعين جيداً كزوجة".





فلم تقلْ بريشس شيئاً لأنها لم تكن متأكدةً. فاعتبرَ صمتَها موافقة.

وقال نوت: "سأتحدثُ إلى والدك بهذا الخصوص. وآملُ ألا يكونَ رجلاً عتيقَ الطراز وألا يطلبَ الكثيرَ من الماشيةِ مقابلك".

لقد كان أبوها كذلك، ولكنها لم تقلْ شيئاً. ففكرتْ أنها لم تكن قد وافقتْ بعد. ولكن ربما كان الأوانُ قد فات عندئذ.

ثم قال نوت: "والآن بما أنك ستصبحين زوجتي يجبُ أن أعلّمَك ما هي وظيفةُ الزوجات".

فلم تقلْ شيئاً، واعتقدتْ أن ذلك ما كان يحدث، فهؤلاء الرجال هم تماماً كما كانت صديقاتُها في المدرسةِ قد أخبرنَها، أولئك اللواتي كنَّ سهلاتِ المنالِ بالطبع.

ووضعَ ذراعَه حولَها وحركَها إلى الوراء على العشبِ الناعم. وقد كانا في الظلّ، ولم يكن هناك أحدٌ قريباً، بل كانت هناك فقط ضجةُ الشاربين وهم يصرخون ويضحكون. فأخذَ بيدِها ووضعَها على معدتِه حيثُ تركَها وهو لا يدري ما يفعل. وعندئذ، بدأ يقبّلُها على عنقِها وعلى خدِّها وعلى شفتيها. وكلُّ ما استطاعتْ أن تسمعَه كان خفقَ قلبِها وأنفاسَها القصيرة.

وقال: "يجبُ أن تتعلمَ الفتياتُ هذا الشيء، هل علمك أحدٌ؟"

فهزتْ رأسَها، إذ إنها لم تكنْ قد تعلمتْ. وشعرتْ حينئذ أن الأوان قد فات وأنها لن تعرفَ ماذا تفعل.

وقال: "يسرُّني ذلك. فقد عرفتُ على الفورِ أنك عذراء، وهو أمرٌ جيدٌ جداً بالنسبة للرجل. ولكنَّ الأمورَ ستتغيرُ الآن. حالاً هذه الليلة".

وأخذَ يؤذيها، فطلبتْ منه أن يتوقفَ. ولكنه وضع رأسَها في الخلف، وضربَها مرةً على وجنتِها. ولكنه قبّلها مباشرةً في مكان الضربة قائلاً إنه لم يكن قد تعمدَ فعلَ ذلك. وكان طوال الوقتِ يدفعُ

بنفسه عليها ويخدشها أحياناً على ظهرها بأظافره. ثم جعلها تستدير وآذاها مجدداً، وضربها على ظهرها بحزامه.

وقفت، وجمعت ثيابها المجعدة معاً. وكانت قلقة حتى لو لم يكن هو كذلك أنه قد يأتي أحدهم خارجاً في الليل ويراهما.

ارتدت ثيابها. وبينما كانت ترتدي بلوزتها، بدأت تبكي بصمت لأنها كانت تفكر بوالدها الذي كانت ستراه في اليوم التالي على شرفته. فكان سيخبرها أخبار الماشية، ولن يتخيل أبداً ما كان قد حدث لها في تلك الليلة.

زار نوت موكوتي والدها بعد ثلاثة أسابيع بنفسه، وطلب منه يد بريشس. فقال له أوبيد إنه كان سيتحدث مع ابنته، الأمر الذي فعله عندما أتت لرؤيته في المرة التالية. فجلس على كرسيه، ونظر عالياً إليها. وقال لها إنه لن يكون عليها أبداً أن تتزوج أحداً لا تريد أن تتزوجه. فقد انقضت تلك الأيام منذ وقت طويل. ولم يكن ينبغي عليها أيضاً أن تشعر أنه عليها أن تتزوج على الإطلاق. إذ كان من الممكن للمرأة أن تعيش بنفسها في تلك الأيام. ويوجد الكثير والكثير من النساء كهؤلاء.

كان بإمكانها أن ترفض في تلك اللحظة، الأمر الذي كان والدها يريدها أن تقوله. ولكنها لم تكن تريد أن تقول ذلك، فقد كانت تعيش من أجل لقاءاتها مع نوت موكوتي، وكانت تريد أن تتزوجه. وقد كان بإمكانها أن تعرف أنه لم يكن رجلاً صالحاً، ولكنها قد تغيّره. وعندما قيل وفعل كل شيء، بقيت هناك تلك اللحظات المظلمة من الاتصال وتلك المتع التي انتزعها منها والتي كانت شبيهة بالإدمان. وقد كانت تحب ذلك، وشعرت بالخجل حتى للتفكير بالأمر. ولكنها أحبت ما فعله بها من الإذلال والإلحاح. وأرادت أن تكون معه، وأرادت أن يمتلكها. فكان الأمر كشراب مر يأمر المرء بالعودة إليه. وبالطبع، أحست أنها كانت حاملاً. وكان الوقت باكراً جداً لتعرف ذلك، ولكنها



شعرت أن طفل نوت موكوتي كان كطير صغير مرفرف في مكان عميق داخلها.

تزوجا عصر أحد أيام السبت في الساعة الثالثة في كنيسة موتشودي. وكانت الماشية خارجاً تحت الأشجار لأن الوقت كان أواخر تشرين الأول/أكتوبر، وكانت الحرارة في أسوأ حالاتها. وكان الريف جافاً تلك السنة لأن أمطار الموسم الماضي لم تكن جيدة. فكان كل شيء جافاً وذابلاً. ولم يكن هناك سوى القليل من العشب باق. وكانت الماشية جلداً وعظماً، فكان وقتاً يوحي بالكسل.

زوّجهما كاهن الكنيسة البروتستانتية وهو يلهث في عباءته الإكليركية السوداء ويمسح جبينه بمنديل أحمر كبير.

وقال: "إنكما تتزوجان هنا تحت أنظار الرب. ويفرض الرب عليكما واجبات محددة. إن الرب يعتني بنا ويحفظنا في هذا العالم القاسي، والرب يحب عباده. ولكن يجب علينا أن نتذكر تلك الواجبات التي يطلبها منا. هل تدركان أيها الشابان ما أقوله؟"

فابتسم نوت قائلاً: "أدرك ذلك".

وقال وهو يلتفت نحو بريشس: "وهل تدركين أنت؟"

فنظرت إلى الأعلى نحو وجه الكاهن صديق والدها. وكانت تعلم أن والدها كان قد تحدث معه بشأن الزواج ومدى تعاسته حياله. ولكنه كان قد قال له إنه لم يكن قادراً على التدخل. وفي ذلك الوقت، كانت نبرته لطيفة. فضغط على يدها، وأخذها ليضعها في يد نوت. وبينما كان يفعل ذلك، تحرك الطفل داخلها. فأجفلت لأن الحركة كانت مفاجئة جداً وقوية جداً.

بعد يومين في موتشودي حيث مكثا في منزل أحد أبناء عم نوت، حزما ممتلكاتهما في مؤخرة إحدى الشاحنات وذهبا إلى غابورون. وكان نوت قد عثر على مكان للإقامة، وهو عبارة عن

غرفتين ومطبخ في منزلِ أحدِهم قربَ مدينةِ تلوكوينغ. وكان من الرفاهيةِ أن تملك غرفتين. فكانت إحداها، وهي غرفةُ نومهما، مفروشةً بفراشٍ مزدوجٍ وخزانةٍ قديمة. وكانت الأخرى غرفةَ معيشةٍ وطعامٍ فيها طاولةٌ وكرسيان وبوفيه. وكانت الستائرُ الصفراءُ القديمةُ من غرفتِها في منزلِ ابنةِ العم معلقةً في تلك الغرفة، فجعلتْها مضيئةً ومبهجةً.

احتفظَ نوت هناك ببوقِه ومجموعةِ أشرطةِ الكاسيت الخاصة. وكان يتمرّنُ لمدةِ عشرين دقيقة في كلِ مرة. وبينما تستريحُ شفتاه، كان يُصغي إلى أحدِ الأشرطةِ ويختارُ الألحانَ على غيتارِه. وقد كان يعرفُ كلَّ شيءٍ عن الموسيقى الريفية، مثل من أين أتت ومن غنى ماذا ومن عزفَ أيَّ جزءٍ مع من. وكان قد سمعَ للعظماءِ أيضاً مثل: هيو ميسكيلا على البوق، ودولار براند على البيانو وسبوكس ماتشوبين يغني. وكان قد سمعَهم شخصياً في جوهانسبرغ، وكان يعرفُ كلَّ اسطوانةٍ عملوها على الإطلاق.

وكانت تراقبُه وهو يأخذُ البوقَ من حقيبته ويثبتُ القطعةَ التي توضعُ على الفم، وتراقبُه بينما يرفعُه إلى شفتيه. ثم فجأة، كان الصوتُ يندفعُ خارجاً من ذلك الكأسِ المعدني الضئيلِ على شفتيه كسكينٍ لامعةٍ متألقةٍ تشقُّ الهواء. وكانت الغرفةُ الصغيرةُ تهتزُّ. وكان الذبابُ الذي يكونُ قد ارتجَّ من سباتِه يئزُّ في الأنحاء وكأنه يمتطي النغماتِ التي تدورُ كالدوامة.

كانت تذهبُ معه إلى الحانات، وكان لطيفاً معها هناك. ولكن كان يبدو عليه أنه عالقٌ في دائرته الخاصة. وشعرتْ أنه لم يكن فعلاً يريدُها هناك. وكان يوجدُ هناك أناسٌ لا يفكرون بشيء سوى الموسيقى. فكانوا يتحدثون بلا نهاية عن الموسيقى. وكم يمكنُ للمرءِ أن يقولَ عن الموسيقى؟ وقد اعتقدت أنهم لم يكونوا يريدونها هناك أيضاً. لذا، توقفتْ عن الذهابِ إلى الحاناتِ، وبقيتْ في البيت.



جاءَ يوماً إلى البيتِ متأخراً، وكانت تفوحُ منه رائحةُ المشروب المفضل. وكانت رائحةً كريهةً كرائحة الحليب الفاسد. فأدارتْ رأسَها بعيداً عنه بينما دفعها على السرير وشدَّ ثيابها.

"لقد شربتَ الكثيرَ من المشروب المفضل، وأمضيتَ أمسيةً طيبةً".

فنظرَ إليها وعيناه غيرُ مركَّزتين بعضَ الشيء.

"يمكنني أن أشربَ إن أردتُ ذلك. هل أنتِ إحدى أولئك النساءِ اللواتي يبقين في البيتِ ويتذمّرن؟"

"لستُ كذلك، لقد عنيتُ فقط أن أقولَ إنك أمضيتَ أمسيةً طيبةً".

ولكن استياءَه ما كان ليهدأ، فقال: "إنك تجعلينني أعاقبُك يا امرأة. إنك تجعلينني أفعلُ هذا بك".

فصرختْ وحاولت أن تقاومَه وأن تدفعَه بعيداً عنها ولكنه كان قوياً جداً بالنسبة لها.

"لا تؤذِ الطفل".

"طفل! لماذا تتحدثين عن هذا الطفل. إنه ليس طفلي، لستُ والداً لأي طفل".

يدا رجلٍ من جديد، ولكنهما هذه المرةَ كانتا في قفازين مطاطيين رقيقين جعلاهما تبدوان شاحبتين وغير مكتملتين كيدي الرجلِ الأبيض.

"هل تشعرين بأي ألم هنا؟ كلا؟ وهنا؟"

فهزّتْ رأسَها.

"أعتقدُ أن الطفلَ على ما يرام. وفي الأعلى هناك، حيثُ توجدُ هذه العلامات. هل هناك ألمٌ من الخارجِ فقط أم أنه عميقٌ في الداخل؟"

"بل هو فقط من الخارج".

"فهمت، سيكون عليّ أن أضعَ قطباً هنا عبرَ كلِّ هذا المكان لأن الجلدَ قد تفرّق بشكلٍ سيء جداً. وسوف أرشُّ شيئاً لأمنعَ الألمَ. ولكن ربما من الأفضلِ لك ألا تراقبيني وأنا أخيط. فبعضُ الناسِ يقولون إن الرجالَ لا يجيدون الخياطةَ، ولكننا نحن الأطباءَ لسنا سيئين جداً في هذا".

أغلقتْ عينيها، وسمعتْ صوتَ هسيس. وشعرتْ برذاذٍ باردٍ على جلدِها ثم أحستْ بالتخدرِ بينما كان الطبيبُ يعملُ على الجرح.

"هذا من فعلِ زوجِك؟ هل أنا محق؟"

ففتحتْ عينيها. وكان الطبيبُ قد أنهى الخياطةَ، وأعطى شيئاً للممرضةِ. وكان ينظرُ إليها عندئذٍ وهو ينزعُ القفازين.

"كم مرةً حدثَ هذا من قبل؟ هل هناك أيُّ شخصٍ ليعتني بك؟"

"لا أدري، لا أدري".

"أعتقدُ أنك ستعودين إليه؟"

ففتحت فمها لتتكلّم، ولكنّه قاطعها قائلاً: "بالطبع ستفعلين ذلك. فالأمرُ ذاته يحدثُ دائماً، وتعودُ المرأةُ من أجلِ المزيد".

وتنهّدَ وقال: "سأراكِ مجدداً على الأرجح. ولكنني آملُ ألا يحدثَ ذلك. كوني حذرةً وحسب".

عادتْ في اليوم التالي، وكان هناك وشاحٌ مربوطٌ حول وجهها لإخفاء الكدمات والجروح. وكانت ذراعاها ومعدتُها تؤلمُها. وكان الجرحُ المخيطُ يخزُها بحدة. وكانوا قد أعطوها حبوباً في المستشفى. فتناولتْ واحدةً قبل أن تغادرَ على متنِ الحافلة للتو، وكان يبدو أنها تساعدُ على تخفيفِ الألم، فأخذتْ واحدةً أخرى أثناء الرحلة.

كان البابُ مفتوحاً، فدخلتْ. وكان قلبُها يضربُ داخل صدرِها، ورأت ما كان قد حدث. وكانت الغرفةُ فارغةً عدا عن الأثاث. فكان قد أخذَ أشرطتَه وصندوقَه المعدني الجديد والستائرَ الصفراءَ أيضاً. وفي غرفة النوم، كان قد شطرَ الفراشَ بسكين.





وكانت حشوةُ الفراشِ منثورةً في الأنحاءِ، فجعلتِ المكانَ يبدو كغرفةٍ لجزِّ الخراف.

جلستْ على السرير. وكانت ما تزالُ جالسةً هناك تحدّقُ بالأرضِ عندما دخلتْ إحدى الجارات وقالتْ إنها ستحضرُ أحداً ليأخذَها على متنِ شاحنةٍ لتعودَ إلى موتشودي، إلى والدِها أوبيد.

وهناك مكثتْ لتعتني بوالدِها مدة الأربعة عشر عاماً التالية. وقد توفي بعد وقتٍ قصيرٍ من عيد ميلادِها الرابع والثلاثين. وكانت تلك اللحظةُ التي أصبحتْ فيها بريشس راموتسوي، وهي حينئذٍ يتيمةٌ ومحنّكةٌ في زواجٍ كالكابوس ووالدةٌ لخمسةِ أيامٍ قصيرةٍ جميلة، التحريةَ الخاصةَ الأولى في بتسوانا.

# ما يحتاج إليه المرءُ ليفتتحَ وكالة تحريات

كانت قد اعتقدت السيدةُ راموتسوي أنه لن يكونَ أمراً سهلاً أن تفتتحَ وكالةَ تحريات. إذ لطالما كان الناسُ يخطئون باعتقادِهم أن البدءَ بمشروعٍ ما أمرٌ بسيطٌ ثم يكتشفون بعد ذلك أن هناك جميعَ أنواعِ المشاكلِ المخبأة والمتطلباتِ غير الواردة بالحسبان. وكانت قد سمعت عن أناسٍ يفتتحون مشروعاتٍ استمرتْ لمدة أربعةِ أو خمسة أسابيع قبل أن ينفذَ منهم المالُ أو الموادُ أو كلاهما.

ذهبتْ إلى المحامي في مدينة بيلين، وهو الذي كان قد أعدَّ الإجراءاتِ لها لتستلمَ أموالَ والدِها. وكان قد نظمَ بيعَ الماشيةِ وحصلَ على سعرٍ جيدٍ لها.

وقال: "لديَّ الكثيرُ من المالِ لك، فقد نما قطيعُ والدِك جيداً".

أخذتِ الشيكَ والورقةَ التي سلّمَها إياها. فكان المبلغُ أكثرَ مما كانت قد تخيّلته ممكناً. ولكنه كان أمامَها – كلُّ ذلك المال يدفعُ إلى بريشس راموتسوي عند حضورِها إلى مصرفِ "باركليز" في بتسوانا.

وقال المحامي: "يمكنك بتلك الأموالِ أن تشتري منزلاً أو مشروعاً".

"سأشتري كليهما".

فبدا على المحامي الاهتمامُ، وقال: "أيُّ نوعٍ من المشاريع؟ متجر؟ يمكنني أن أقدمَ لك النصيحةَ كما تعلمين؟"

"إنها وكالةُ تحريات".

فبدا وجهُ المحامي خالياً من التعبير، وقال "ليست هناك أيٌ منها للبيع، إذ لا توجدُ أيٌ من هذه".

أومأتِ السيدةُ راموتسوي برأسِها، وقالت: "أعلمُ هذا، وسوف يكونُ عليّ أن أبدأ من لا شيء".

وأجفلَ المحامي وهي تتكلم، وقال: "من السهلِ أن تخسري المالَ في المشاريع، وخاصةً عندما لا تكونين تعلمين أيَّ شيء عما تفعلينه". وحدّق فيها بشدة، وقال: "على أية حال، هل يمكنُ للنساءِ أن يكنَّ تحريات؟ هل تظنين أنه يمكنُهن ذلك؟"

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "لم لا؟" وكانت قد سمعتْ أن الناسَ لم يكونوا يحبون المحامين. فاعتقدتْ أنه كان يمكنُها أن تفهم السبب. فقد كان ذلك الرجلُ متأكداً جداً من نفسه ومقتنعاً كلياً. وما علاقته هو بما تفعله؟ لقد كانت تلك نقودُها ومستقبلُها. وكيف يجرؤ أن يقولَ ما قاله عن النساءِ في حين أنه لم يكن حتى يعرفُ أن سحّابَ بنطاله كان نصفَ مفتوح؟ هل كان ينبغي عليها أن تخبرَه؟

وقالت بهدوء: "إنّ النساءَ هن من يعرفن ما يجري. إنهن من يملكن البصيرة. ألم تسمعْ عن آغاثا كريستي؟"

وبدا على المحامي أنه قد فوجئ، فقال: "آغاثا كريستي؟ بالطبع أعرفُها. نعم، هذا صحيح. فالمرأة ترى أكثرَ مما يرى الرجلُ، وهذا الأمرُ معروفٌ تماماً".

وقالت السيدة راموتسوي: "وهكذا، عندما يرى الناسُ لافتةَ كُتبَ عليها: وكالةُ التحرياتِ النسائيةِ الأولى، فماذا سيعتقدون؟ سيعتقدون أن أولئك السيداتِ سيعرفن ما يجري، إذ إنهن من يعرف".

فمسحَ المحامي ذقنه قائلاً: "ربما".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "نعم، ربما". وأضافتْ قائلةً: "سحابُك، يا سيدي. أعتقدُ أنك لم تكن تلاحظ..."



وجدتِ المنزلَ أولاً في مفترقِ طرقٍ في منطقةِ زيبرا درايف. وقد كان باهظَ الثمن. فقررتْ أن تأخذَ سنداً بدينٍ على جزءٍ منه لكي تكونَ قادرةً مادياً أن تشتريَ في مكانٍ آخرَ من أجلِ المشروعِ أيضاً. فكان ذلك أكثرَ صعوبةً. ولكنها عثرتْ أخيراً على مكانٍ صغيرٍ قربَ تلةِ غيل هيل عند طرفِ البلدة حيث كان بإمكانها أن تؤسسَ عملَها. وكان مكاناً جيداً لأن الكثيرَ من الناسِ كانوا يمشون نزولاً في ذلك الطريقِ كل يوم، فكانوا سيرون اللافتة. فكان ذلك فعالاً كنشرِ إعلانٍ في صحيفةِ "ذا ديلي نيوز" أو "بتسوانا غارديان". وسرعان ما كان الجميعُ سيعرفون بشأنها.

وقد كان البناءُ الذي اشترتْه دكان تاجرٍ عام. ولكنه كان قد حُوّلَ إلى محلٍ للتنظيفِ الجاف وأخيراً إلى متجرٍ لبيع المشروبات. وكان قد بقي شاغراً لمدةِ عامٍ أو نحو ذلك. فأقامَ فيه محتلون. وكانوا قد أشعلوا ناراً. ففي كلٍ من الغرفِ كان هناك جزءٌ من الجدار حيث كان الجصُ متفحماً ومحروقاً. وكان المالكُ قد عادَ في نهاية المطاف من فرانسيس تاون وأخرجَ المحتلين ووضعَ البناءَ الذي تبدو عليه الكآبةُ للبيع. وقد كان هناك شاريان متوقعان ولكنهما نفرا من حالته فهبطَ سعرُه. وعندما عرضتِ السيدةُ راموتسوي مبلغاً نقدياً وافق البائعُ لعرضها. فاستلمتْ صكوكَ الملكيةِ في غضونِ أيام.

كان هناك الكثيرُ ليتمَّ فعلُه. فاستدعَي أحدُ البنائين ليستبدلَ الجصَ التالفَ وليصلحَ سطحَ الصفيحِ بعرضٍ من المالِ النقدي مجدداً. فتمّ إنجازُ ذلك في غضون أسبوع. ثم بدأتِ السيدة راموتسوي مهمةَ الطلاء. وسرعان ما أتمتْ طلاءَ خارجِ البناء باللونِ الأصفرِ المائلِ للبني وداخلِه بالأبيض. واشترت ستائرَ صفراءَ جديدةً للنوافذ. وفي لحظةٍ غيرِ معتادةٍ من التبذير، أنفقتْ الكثيرَ من النقود على مجموعةِ مكتبٍ جديدةٍ تماماً مؤلفةٍ من طاولتي مكتبٍ وكرسيين. وأعطاها صديقُها السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني مالكُ كراج "تلوكوينغ

رود سبيدي موتورز" آلةً كاتبةً قديمةً كانت فائضةً عن حاجته. وكانت تعمل على نحو جيد تماماً. وبذلك، أصبح المكتب جاهزاً ليُفتتح حالما تحظى لنفسها بسكرتيرة.

وكان هذا أسهل جزء من كل شيء. فأدت مكالمة تليفونية إلى كلية بتسوانا للمهارات السكرتارية والمكتبية إلى استجابة فورية. وقالوا إنه كانت لديهم المرأة المناسبة تماماً. فقد كانت السيدة ماكوتسي، وهي أرملة أحد المدرسين، والتي قد اجتازت لتوها امتحاناتهم العامة للسكرتارية والطباعة بمعدل علامات يساوي سبعة وتسعين بالمائة. فكانوا متأكدين من أنها كانت مثالية.

أحبتها السيدة راموتسوي على الفور. وقد كانت امرأة نحيلة لها وجه طويل إلى حد ما وشعر مجدول كانت قد فركت فيه كميات وافرة من الحناء. وكانت ترتدي نظارات بيضاوية الشكل ذات إطار بلاستيكي عريض. وكانت لها ابتسامة ثابتة ولكنها كانت تبدو صادقة تماماً.



افتتحتا المكتب في أحد أيام الاثنين. فجلست السيدة راموتسوي إلى مكتبها وجلست السيدة ماكوتسي إلى مكتبها خلف الآلة الكاتبة. ونظرت إلى السيدة راموتسوي، وابتسمت لها ابتسامة عريضة.

وقالت: "إنني جاهزة لأبدأ العمل".

فهمهمت السيدة راموتسوي قائلة: "ما زلنا في الأيام الأولى، فقد افتتحنا لتونا فقط. وسيكون علينا أن ننتظر ليأتي أحد الزبائن".

وكانت في أعمق أعماقها تعرف أنه لن يكون هناك زبائن. فقد كانت الفكرة برمتها خطأً فادحاً. إذ إن لا أحد يريد تحرية خاصة، وبالتأكيد، لا أحد يريدها. ومن كانت هي على أية حال؟ لقد كانت وحسب بريشس راموتسوي من موتشودي، ولم تذهب أبداً إلى لندن أو حيثما يذهب التحريون ليكتشفوا كيف يصبحون تحريين خاصين،



وهي حتى لم تذهب إلى جوهانسبرغ. وماذا إذا جاء أحدهم وقال: "إنك تعرفين جوهانسبرغ بالطبع؟" سيكون عليها أن تكذب أو ألا تقول شيئاً وحسب.

نظرت السيدة ماكوتسي إليها ثم نظرت إلى الأسفل نحو لوحة مفاتيح الآلة الكاتبة. وفتحت أحد الأدراج وأنعمت النظر في داخله، ثم أغلقته. وفي تلك اللحظة، دخلت دجاجة إلى الغرفة من الحديقة خارجاً ونقرت شيئاً ما على الأرض.

فصرخت السيدة ماكوتسي: "اخرجي، لا نريد دجاجاً هنا".

وفي الساعة العاشرة، نهضت السيدة ماكوتسي من على طاولتها وذهبت إلى الغرفة الخلفية لتعد الشاي. فقد كان قد طُلب منها أن تعد شاي الأعشاب الذي كان المفضل لدى السيدة راموتسوي. وسرعان ما غادرت وأحضرت فنجانين. وكانت لديها علبة معدنية من الحليب المكثف في حقيبة يدها، فأخرجتها وصبت كمية قليلة في كل فنجان. ثم شربتا شايهما وهما تراقبان صبياً صغيراً عند حافة الطريق يرمي الحجارة على كلب نحيل كهيكل عظمي.

وعند الساعة الحادية عشرة شربتا فنجانين آخرين من الشاي. وعند الساعة الثانية عشرة، نهضت السيدة راموتسوي على قدميها وقالت إنها كانت ستذهب نازلة في الطريق لتشتري لنفسها عطراً. وكان على السيدة ماكوتسي أن تبقى لتجيب على الهاتف وترحب بأي زبائن قد يأتون. وقد ابتسمت السيدة راموتسوي وهي تقول هذا. إذ إنه لن يكون هناك أي زبائن بالطبع، وسوف تُغلق وكالتها عند نهاية الشهر. هل كانت السيدة ماكوتسي تدرك أية وظيفة محفوفة بالخطر كانت قد اختارتها لنفسها؟ إن امرأة لديها معدل يساوي سبعة وتسعين بالمائة كانت تستحق أفضل من هذا.

كانت السيدة راموتسوي واقفة عند نضد المحل تنظر إلى زجاجة عطر عندما اندفعت السيدة ماكوتسي عبر الباب.

فقالت وهي تلهث: "يا سيدة راموتسوي. هناك زبونة في المكتب. إنها قضية كبيرة. هناك رجل مفقود. تعالي بسرعة، إذ ليس هناك وقت لنضيعه".

فكرت السيدة راموتسوي محدثة نفسها: إن زوجات الرجال المفقودين هن جميعاً متشابهات. ففي البداية، يشعرن بالقلق، ويكن مقتنعات أن شيئاً رهيباً قد حدث. ثم يبدأ الشك يتسلل إليهن، ويتساءلن فيما إذا كان قد رحل مع امرأة أخرى (وهو ما يكون قد فعله عادة) ثم أخيراً، يغضبن. وفي مرحلة الغضب، لا يريد معظمهن عودته بعد ذلك. وحتى وإن عُثر عليه، فهن يردن وحسب أن تسنح لهن فرصة جيدة للصراخ عليه.

وقد اعتقدت السيدة راموتسوي أن السيدة مالاتسي كانت في المرحلة الثانية. فقد بدأت تشك أنه بعيد في مكان ما يقضي وقتاً طيباً بينما هي مهجورة في البيت. وبالطبع، بدأ الأمر يعتمل في صدرها. إذ ربما تكون هناك ديون يجب دفعها حتى وإن كان يبدو عليها أنها ميسورة مادياً.

وبينما كانت السيدة مالاتسي تشرب شاي الأعشاب المركز الذي أعدته لها السيدة ماكوتسي، قالت لها السيدة راموتسوي: "ربما ينبغي أن تخبريني أكثر قليلاً عن زوجك".

قالت السيدة مالاتسي: "اسمه بيتر مالاتسي، وعمره أربعون عاماً. وكان لديه مشروع لبيع الأثاث، وهو مشروع جيد. وكان يبلي بلاءً حسناً. لذا، لم يكن قد هرب من أي دائنين".

فأومأت السيدة راموتسوي برأسها، وبدأت قائلة: "لا بد أن هناك سبباً آخر". ثم قالت بحرص: "إنك تعلمين كيف هم الرجال. ماذا عن امرأة أخرى؟ هل تعتقدين..."

فهزت السيدة مالاتسي رأسها بقوة، وقالت: "لا أعتقد ذلك. وربما كان هذا ليكون ممكناً قبل سنة. ولكنه بعد ذلك أصبح مسيحياً،



وانهمك مع كنيسة كانت دائماً تغني وتسير في أنحاء المكان بملابس بيضاء موحدة".

فدونت السيدة راموتسوي هذا: كنيسة. غناء. فقد يكون اكتسب الدين بشكل سيء، أو قامت بإغرائه إحدى الواعظات.

وقالت: "من كان هؤلاء الناس؟ أتعتقدين أنهم ربما يعرفون شيئاً عنه؟"

فهزت السيدة مالاتسي كتفيها، وقالت بانفعال بعض الشيء: "لست واثقة. وفي الواقع، لا أدري. فقد طلب مني أن أذهب معه مرة أو مرتين ولكنني رفضت. لهذا اعتاد وحسب أن يذهب وحده في أيام الأحد. وفي الواقع، لقد اختفى في يوم أحد. فاعتقدت أنه قد ذهب إلى كنيسته".

نظرت السيدة راموتسوي إلى السقف. إذ لم تكن هذه القضية صعبة كبعض القضايا. فقد كان واضحاً تماماً أن بيتر مالاتسي قد رحل مع إحدى المسيحيات. وكل ما كان عليها أن تفعله حينئذ هو أن تعرف أي مجموعة كانت وتذهب في أثره. فكانت هي القصة القديمة التي يمكن التكهن بها. وقد كانت واثقة من أنها ستكون مسيحية صغيرة السن.

بحلول نهاية اليوم التالي كانت السيدة راموتسوي قد جمعت قائمة لخمس مجموعات مسيحية قد ينطبق الوصف عليها. وطوال اليومين التاليين، تتبعت قادة ثلاث منها وشعرت بالرضا أن شيئاً لم يُسمع عن بيتر مالاتسي. وحاولت اثنتان منها تحويل ديانتها. وطلبت الثالثة مالاً فحسب وتلقت ورقة بخمسة بولا.

وعندما حددت موقع قائد المجموعة الرابعة الموقر "شادريك مابيلي"، علمت أن البحث قد انتهى. فعندما ذكرت اسم مالاتسي ارتجف الموقر وألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه خلسة.

وسأل: "هل أنت من الشرطة؟ أأنت شرطي؟"

فقالت: "شرطية!"

فقال بحزن: "آه، نعم".

وقالت بسرعة: "أعني أنني لستُ شرطية، بل أنا تحرية خاصة".

فظهرَ على الموقَّر أنه قد هدأ بعضَ الشيء، وقال "من أرسلك؟"

"السيدةُ مالاتسي".

فقالَ الموقَّرُ: "أوه، لقد أخبرَنا أنه ليستْ له زوجة".

وقالت السيدةُ راموتسوي: "حسناً، إنّ له زوجةً، وهي تتساءلُ عن مكانه".

فقال الموقَّرُ: "إنه ميت، لقد ذهبَ إلى الربّ". وشعرت السيدةُ راموتسوي أنه كان يقولُ الحقيقة وأن التحقيقَ قد وصلَ لهدفِه بشكل فعال. وكان كلُّ ما بقيَ حينئذٍ هو أن تكتشفَ كيفَ مات.

وقالت: "يجب أن تخبرَني. ولن أبوحَ باسمك لأيِّ شخص إذا لم تَرِد مني أن أفعلَ ذلك. أخبرْني وحسب كيف حدثَ ذلك".

قادا إلى النهرِ في سيارةِ السيدةِ راموتسوي الفانِ البيضاء الصغيرة. وقد كان موسماً ماطراً، وحدثتْ عدةُ عواصفَ مما جعل الطريقَ مستحيلاً تقريباً. ولكنهم وصلا أخيراً إلى حافةِ النهر. فركنا سيارةَ الفانِ تحت إحدى الأشجار.

وقال الموقَّرُ وهو يشيرُ إلى بركةٍ في مياه النهرِ الفائضة: "هذا هو المكانُ الذي نقومُ فيه بالمعمودية. وهذا هو المكانُ الذي أقفُ فيه. وهذا هو المكانُ الذي يدخلُ فيه العصاةُ الماء".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "كم عاصياً كان لديك؟"

"كلُّهم ستةُ عصاةٍ بمن فيهم بيتر. وذهبوا كلُّهم جميعاً بينما كنتُ أستعدُّ لأتبعَهم بصولجاني".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "نعم، وماذا حدثَ بعدئذٍ؟"





"كان العصاةُ واقفين في الماء، وكان يصلُ إلى هنا". وأشارَ الموقَّرُ إلى أعلى صدره. وتابعَ قائلاً: "واستدرتُ لأخبرَ الرعيةَ أن يبدأوا بالغناء. وعندئذٍ عندما استدرتُ عائداً لاحظتُ أنه كان هناك خطأ ما. فقد كان يوجدُ خمسةُ عصاةٍ فقط في الماء".

"هل اختفى أحدُهم؟"

فقال الموقَّرُ وهو يرتجفُ أثناء كلامه: "نعم، توفى الربُّ أحدَهم".

نظرت السيدةُ راموتسوي إلى الماء. ولم يكن نهراً كبيراً. ولوقتٍ طويلٍ من السنة، كان قد انخفضَ ليصبحَ بضعَ بركٍ راكدة. ولكنه في موسمٍ ماطرٍ جيدٍ كموسمِ ذلك العام، كان من الممكنِ له أن يكونَ جارفاً تماماً. ففكرتْ متأملةً أنه كان من الممكن لمن لا يجيدُ السباحةَ أن ينجرفَ بعيداً. ورغم ذلك، فإذا جُرِفَ أحدُهم بعيداً فإن جثتَه سيُعثرُ عليها بالتأكيد في اتجاهِ مجرى النهر. وهناك عددٌ وافرٌ من الناسِ الذين ينزلون النهرَ لغرضٍ أو لآخر، فمن المؤكد أنهم كانوا سيلاحظون الجثة. ومن الممكن أن تُستدعى الشرطةُ، وأن يكون هناك شيءٌ ما في الصحف عن جثةٍ مجهولةٍ عُثرَ عليها في نهر "نوتوين". إذ لطالما كانت الصحيفةُ تبحثُ عن قصصٍ كتلك. فما كانوا ليدعوا الفرصةَ تضيعُ منهم.

وفكرتْ للحظة. وكان هناك تفسيرٌ آخرُ جعلَها ترتجف. ولكن قبل أن تدخلَ فيه، كان عليها أن تكتشفَ لماذا بقي الموقَّرُ صامتاً عن الأمرِ برمّتِه.

وقالت محاولةً ألا تبدو اتهاميةً فوق الحد: "لِمَ لم تستدعِ الشرطة؟"

فنظرَ الموقَّرُ إلى الأسفلِ نحو الأرضِ التي كانت بحسبِ خبرتِها المكانَ الذي ينظرُ إليه الناسُ عندما يشعرون بالأسف. وقد كانت تجدُ أن غيرَ التائبين الذين لا يشعرون بالخجل ينظرون دائماً عالياً نحو السماء.

"أعلمُ أنه كان ينبغي عليّ أن أخبرَهم، وأن الربَّ سيعاقبُني على هـذا الأمر. ولكنني كنتُ قلقاً أن ألامَ من أجلِ حادثةِ بيترِ المسكين. فظنـنتُ أنهم كانوا سيأخذونني إلى المحكمة ويجعلونني أدفعُ العطلَ والضرر، فيجرُّون الكنيسة نحو الإفلاس ويضعون حداً لعملِ الربّ". وتوقـف ثـم قـال: "هل تدركين لماذا التزمتُ الصمتَ وأخبرتُ كل الرعية ألا يقولوا شيئاً؟"

فأومـأتِ السيدةُ راموتسوي برأسِها ومدّتْ يدَها لتلمسَ الموقّرَ على ذراعه بلطف.

وقالـت: "لا أعـتقدُ أنّ ما فعلتَه كان خطأً. وأنا واثقةٌ أن الربَّ أرادك أن تستمرَّ وأنه لن يكونَ غاضباً. فليسَ الذنبُ ذنبك".

فـرفعَ الموقّرُ نظرَه وابتسم قائلاً: "هذه كلماتٌ لطيفةٌ، يا أختاه، شكراً لك".

عـصر ذلـك الـيوم، سألتِ السيدةُ راموتسوي جارَها إن كان باستطاعتِها أن تستعيرَ أحدَ كلابه. فقد كانت لديه مجموعةٌ مؤلفةٌ من خمـسة كلاب. وقد كانت تكرهُ كلاً منها بسبب نباحِها المستمر. فقد كانـت تلـك الكلابُ تنبحُ في الصباح وكأنها ديكة وفي الليلِ عندما يكـونُ القمـرُ بازغاً في السماء. وكانت تنبحُ على الغربان وطيور الهامـركوب. وكانت تنبحُ على المارة. وكانت أحياناً تنبحُ فقط لأنها تشعرُ بالحرِّ الشديد.

وشـرحتْ قائلةً: "إنني بحاجةٍ لأحدِ كلابك ليساعدني في إحدى قضاياي، وسأعيدُه سالماً ومعافى".

وشعرَ الجارُ بالإطراء لأنها طلبتْ منه ذلك.

فقال: "سأعطيكِ هذا الكلب الذي أمامك. فهو الكلبُ الأكبرُ سناً، ويتمتعُ بحاسةِ شمٍ جيدةٍ جداً، وسيكونُ كلبَ تحرٍ جيد".

أخـذتِ الـسيدةُ راموتسوي الكلبَ بحذر. وكان مخلوقاً أصفرَ اللـونِ كبيـراً ذا رائحـةٍ غريبةٍ كريهة. وفي تلك الليلة بعدَ غروبِ



الشمسِ تماماً، وضعتْه في مؤخرةِ سيارتِها الفان رابطةً عنقَه إلى أحدِ المقـابضِ بحبل. ثم انطلقتْ نزولاً في الطريقِ الذي كان يؤدي إلى النهـر. وكانت أضواءُ سيارتِها الأمامية تُظهرُ أشكالَ أشجارِ الشوك وبـيوتِ الـنملِ في الظلام. وبطريقةٍ غريبة، شعرت بالسعادة لرفقة الكلب رغم كونها غير سارّة.

وعندما أصبحتْ بجانب البركةِ في النهر، أخذت وتداً ثخيناً من سـيارةِ الفـان وقادتهـا إلـى الأرضِ الطرية جانبَ حافةِ الماء. ثم أحضرتِ الكلبَ وقادتْه نحو البركة وربطتْه بإحكامٍ بالوتد. وأخرجتْ مـن حقـيـبة كانـت معهـا عظمةً كبيرةً ووضعتْها أمام أنفِ الكلبِ الأصـفر. فـشخر الحيوانُ شخرةَ سعادةٍ واستقرَّ على الفور ليقضمَ العظمة.

انتظـرت السيدةُ راموتسوي على بعد بضعةِ أمتار فقط وبطانيةٌ موضـوعةٌ على ساقيها لتمنعَ البعوضَ. وكانت بندقيتُها القديمةُ فوق ركبتـيها. وقد كانت تعلمُ أنها ستنتظرُ طويلاً، فأملتْ ألا تستغرقَ في الـنوم. ورغـم ذلك، فقد كانت واثقةً أنها إن فعلتْ فسيوقظُها الكلبُ عندما يحينُ الوقت.

ومـرت ساعتان. وكان البعوضُ سيئاً فأخذ جلدُها يحكُّها. ولكنّ ذلك كان عملاً. وهي لم تكن تتذمرُ أبداً أثناءَ العمل. ثم فجأةً، صدرت ضـجةٌ هـادرةٌ مـن الكلب، فأجهدتِ السيدةُ راموتسوي عينيها في الظلام. واستطاعتْ فقط أن تميّزَ شكلَ الكلب وأن ترى أنه كان عندئذ واقفـاً ينظرُ باتجاه الماء. وزمجرَ الكلبُ مجدداً ونبحَ ثم صمتَ مرةً أخرى. فقذفتِ السيدةُ راموتسوي الملاءةَ من على ركبتيها، والتقطت المصباحَ الكهربائي القوي من جانبها. وفكرتْ أن تنتظرَ لوقتٍ أطول بقليلٍ وحسب.

وصدرتْ ضجةٌ من جانب الماء فعلمتِ السيدةُ راموتسوي عندئذ أن الوقتَ قد حان لتشعلَ مصباحَها الكهربائي. وبينما خرجتِ الأشعة

منه رأت عند حافة الماء بالضبط تمساحاً كبيراً يديرُ رأسَه باتجاه الكلبِ المنكمش.

كان التمساحُ غيرَ مهتمٍّ كلياً بالضوءِ فقد ظنَّ أنه كان ضوءَ القمرِ على الأرجح. وكانت عيناه مثبّتين على الكلب. وكان يتقدّمُ شيئاً فشيئاً نحو فريسته. فرفعت السيدةُ راموتسوي بندقيتَها إلى كتفها، ورأتْ جانبَ رأسِ التمساحِ متشكلاً على نحوٍ مثالي في نظرها. فسحبت الزناد.

عندما أصابت الطلقةُ التمساحَ قفزَ قفزةً كبيرةً، بل كانت شقلبةً في الواقع. فاستقرَّ على ظهرِه وكان نصفُه في الماء ونصفُه الآخرُ خارجَه. وانتفضَ للحظة أو اثنتين ثم سكن. فقد كانت طلقةً في محلِّها بشكلٍ مثالي.

لاحظت السيدةُ راموتسوي أنها كانت ترتجفُ عندما وضعت البندقيةَ أرضاً. وكان والدُها قد علّمَها بشكلٍ جيد كيف تطلقُ الرصاصَ. ولكنها لم تكنْ تحبُّ أن تطلقَ على الحيواناتِ وخاصةً التماسيح. فقد كانت تلك المخلوقاتُ جالبةً للحظِّ السيء. ولكنْ كان عليها أن تقومَ بالواجب. ما الذي كان يفعلُه هناك على أيةِ حال؟ إذ لم يكن يفترضُ بتلك المخلوقاتِ أن تتواجدَ في نهر نوتوين. فلا بدَّ أنه قد تجولَ لأميالٍ براً أو سبحَ في المياهِ الفائضةِ من نهر "ليمبوبو" نفسه. يا للتمساحِ المسكين! لقد كانت تلك هي نهايةُ مغامرته.

أخذتْ سكيناً وشقتْ عبرَ بطنِ ذلك المخلوق. وكان الجلدُ طرياً، فسرعانَ ما خرجت المعدةُ وظهرتْ محتوياتُها. وكانت توجدُ في الداخلِ حصى استخدمَها التمساحُ لهضمِ طعامِه وبضعةُ قطعٍ من السمكِ ذي الرائحةِ الكريهة. ولكن ذلك لم يكن ما أثارَ اهتمامَها، بل كانت أكثرَ اهتماماً بالأساورِ والخواتمِ وساعاتِ المعصمِ غيرِ المهضومةِ التي وجدَتها. فقد كانت تلك متآكلةً، وكانت هناك قشرةٌ على بضعةٍ منها. ولكنها كانت بارزةً بين محتوياتِ المعدة. وكلُّ واحدةٍ منها هي دليلٌ على شهيةِ التمساحِ الشرير.



سألت السيدةُ مالاتسي، وهي تسلِّمُها ساعةَ المعصم التي استعادتْها من معدةِ التمساح: "هل هذه من ممتلكاتِ زوجك؟"

أخذت السيدةُ مالاتسي الساعةَ ونظرتْ إليها. فعبستِ السيدةُ راموتسوي إذ إنها كانت تكرهُ لحظاتٍ كتلك حيث لا يكونُ لها خيارٌ إلا أن تكونَ حاملةً للأخبارِ السيئة.

ولكن السيدةُ مالاتسي كانت هادئةً بشكلٍ استثنائي. وقالت: "حسناً، إنني أعلمُ على الأقلِ أنه مع الرب. فهذا أفضلُ بكثيرٍ من أن أعرفَ أنه بين ذراعي امرأةٍ أخرى، أليسَ كذلك؟"

فأومأت السيدةُ راموتسوي برأسها، وقالت: "أعتقدُ ذلك".

سألتها السيدةُ مالاتسي: "هل كنتِ متزوجةً، يا سيدتي؟ هل تعرفين كيف يكونُ الزواجُ برجل؟"

نظرت السيدةُ راموتسوي من خلال النافذة. وكانت توجدُ شجرةُ شوكٍ خارجَ نافذتِها، ولكنها استطاعت أن ترى خلفَها التلةَ المكسوةَ بالصخور.

وقالت: "كان لدي زوجٌ في السابق. وكان يعزفُ على البوق، وقد جعلني تعيسةً. وأنا الآن سعيدةٌ أنه لم يعدْ لي زوج". وتوقفتْ ثم قالت: "إنني آسفة، لم أقصدْ أن أكونَ وقحةً. فقد خسرتِ زوجَك، ولا بدَّ أنك تشعرين بالحزنِ الشديد".

فقالت السيدةُ مالاتسي: "قليلاً، ولكنَّ أمامي الكثيرَ لأفعلَه".

# الفصل السادس

## الصبي

كــان الــصبيُ في الحاديةَ عشرة، وكان صغيرَ الحجم بالنسبة لعمـــرِه. وقــد جرّبوا كلَ شيءٍ ليجعلوه ينمو ولكنه كان يأخذُ وقته. وعــندما كان المرءُ يراهُ حينئذٍ كان ليقولَ إنه في الثامنة أو التاسعة وليس في الحاديةَ عشرة. ولم يكن ذلك ليزعجَه على الإطلاق. وكان والــدُه قــد قالَ له: لقد كنتُ صبياً قصيراً أيضاً. وها أنا الآن رجلٌ طويل. انظر إلي. وسيحدثُ هذا لك أيضاً. فانتظرْ وحسب.

ولكنَّ الوالدين كانا في سرِّهما خائفين من أن يكونَ هناك خطبٌ مـــا به وأن يكونَ عمودُه الفقري ملتوياً ربما فمنعَه ذلك من النمو. إذ إنــــه عــندما كـــان في الرابعةِ تقريباً من عمرِه وقعَ عن شجرةٍ وهو يبحثُ عن بيضِ الطيور. فتمددَ ساكناً لبضع دقائق منقطعَ النفسِ حتى هرعتْ جدتُه إليه وهي تنتحبُ عبرَ حقلِ البطيخ، فرفعتْه وحملته إلى البـيتِ وما زالت يدُه تقبضُ على بيضة مكسورة. وقد شفي – أو أن هذا ما اعتقدوه حينئذٍ – ولكنهم اعتقدوا أن مشيتَه كانت مختلفةً. وقد أخذوه إلى إحدى العياداتِ حيث نظرتْ إحدى الممرضاتِ إلى عينيه وداخلَ فمه وقالتْ إنه معافى.

"إن الصبيةَ يقعون طوال الوقتِ وبالكاد يكسرون أيَّ شيء".

ووضعتِ الممرضةُ يديها على كتفيه وفتلتْ جذعَه.

"أرأيتم. ليس هناك أيُّ خطبٍ به، لا شيء. فلو أنه قد كسرَ شيئاً لكان قد صرخ".

ولكــن عندما بقيَ صغيرَ الحجم بعد مرور سنواتٍ ثلاث، فكرت الأمُ بالسقطة ولامتْ نفسَها لتصديقِها تلك الممرضةَ التي كانت تصلحُ

فقط لإجراءِ فحوصاتِ البلهارسيا والكشف عن الديدان.

كان الصبيُّ أكثرَ فضولاً من الأطفالِ الآخرين. فكان يحبُّ أن يبحثَ عن الحجارةِ في التربةِ الحمراء ويصقلَها بلعابه. فوجدَ بعضَ الحجارةِ الجميلة، منها ذاتُ اللونِ الأزرق ومنها ذاتُ اللونِ الأحمر النحاسي كلونِ السماءِ عند الغسق. وكان يحتفظُ بحجارته عند أسفلِ بساطِ نومِه في كوخه، وكان يتعلمُ العدَّ بها. وقد كان الصبيةُ الآخرون يتعلمون العدَّ بعدِّ الماشية. ولم يكن يبدو على ذلك الصبي أنه كان يحبُّ الماشيةَ. فكان ذلك أمراً آخرَ جعلَه غريباً.

وبسبب فضوله الذي كان يدفعُه ليعدو حولَ المكانِ المقفرِ في مهماتٍ غامضةٍ خاصةٍ به، كان والداه معتادَين على بعده عن ناظريهما لساعاتٍ من غير انقطاع. ولم يكن من الممكنِ لأي أذى أن يصيبَه إلا إذا كان سيءَ الحظِّ كفايةً ليدوسَ على أفعى نافخةٍ أو كوبرا. ولكن هذا لم يحدثْ أبداً. فقد كان يظهرُ مجدداً فجأةً في حظيرةِ الماشيةِ أو خلفَ الماعزِ وهو يقبضُ على شيءٍ غريبٍ وجدَه مثل ريشةِ نسرٍ أو دودةٍ كثيرةِ الأرجل جافةٍ أو جمجمةِ أفعى متحولةِ اللون.

كان الصبيُّ خارجاً مجدداً يمشي على طولِ أحدِ الممراتِ التي تؤدي إلى هذا الاتجاه أو ذاك عبر المكانِ المقفرِ المُغبر. وكان قد عثرَ على شيءٍ أثارَ اهتمامَه كثيراً – وهو روثُ أفعى طازج – فتتبعَ الممرَ لكي يرى المخلوقَ نفسَه. وقد علمَ ما هو لأنه كان يحتوي على كراتٍ من الفراءِ في داخله، ويمكنُ لذلك أن يأتي فقط من أفعى. وكان متأكداً من أنه فراءُ أرنبٍ جبلي. وذلك بسببِ لونه، ولأنه كان يعلمُ أن الأرانبَ الجبليةَ تعتبرُ وجبةً شهيةً بالنسبةِ لأفعى كبيرة. فإذا وجدَ الأفعى كان سيقتلُها بحجرٍ ويسلخُها. وكان ذلك ليشكلَ جلداً جميلاً لصنعِ حزامٍ له ولوالده.

ولكنَّ الظلامَ كان يحلُّ، فكان عليه أن يستسلم. إذ إنه لم يكنْ باستطاعتِه أبداً أن يرى الأفعى في ليلةٍ غيرِ مقمرة. فكان سيغادرُ



الممرَ ويجتازُ المكانَ المقفرَ نحو الطريقِ الترابي الذي يلتفُّ في طريقه فوق مجرى النهرِ الجاف عائداً إلى القرية.

وجدَ الطريقَ بسهولة، وجلسَ للحظةٍ عند الحافةِ وهو يدسُّ أصابعَ قدميه داخلَ الرملِ الأبيضِ الناعم. وقد كان جائعاً، وكان يعلمُ أنه سيكونُ هناك بعضُ اللحم مع العصيدةِ تلك الليلةَ لأنه كان قد رأى جدّتَه تحضرُ اليخنة. وكانت دائماً تعطيه أكثرَ من حصتِه العادلة، أكثرَ من والده تقريباً. فكان ذلك يُغضبُ شقيقتيه.

"نحن الفتياتُ نحبُّ اللحمَ أيضاً".

ولكن ذلك لم يكن يقنعُ الجدّة.

وقفَ وبدأ يمشي على طولِ الطريق. وكان المكانُ مظلماً تماماً عندئذ. أمّا الأشجارُ والشجيراتُ فكانت أشكالُها غيرَ محددةٍ وسوداءَ ومندمجةً مع بعضها البعض. وكان طائرٌ صائدٌ ليليٌّ يصدرُ صوتاً في مكانٍ ما وكانت هناك حشراتٌ ليليةٌ تصيح. وشعرَ بألمٍ يخزُه قليلاً في ذراعه اليسرى فصفعَ في مكانه، وكانت تلك بعوضة.

وفجأةً، كانت هناك على أوراقِ إحدى الأشجارِ أمامَه حزمةٌ من ضوءٍ أصفر. وتوهجَ الضوءُ وانخفض، فالتفتَ الصبي. وكانت هناك شاحنةٌ على الطريقِ خلفَه. إذ لم يكن من الممكنِ لها أن تكونَ سيارة لأن الرملَ كان عميقاً وناعماً فوق الحدِّ لتسيرَ عليه سيارة.

وقفَ على جانبِ الطريقِ وانتظرَ. وكانت الأضواءُ فوقَه تقريباً حينئذ فرفعَ يدَه إلى الأعلى ليغطي عينيه.

فنادته التحيةُ التقليديةُ من داخلِ الجزءِ المغطى من الشاحنة:

"مساء الخير، أيها الصغير".

فابتسمَ وردَّ التحيةَ، واستطاعَ أن يميزَ رجلين داخلَ الشاحنة. فكان أحدُهما شاباً جالساً عند مقودِ الشاحنة والآخرُ رجلَ أكبرُ سناً بجانبه. وكان يعلمُ أنهما كانا غريبين رغم أنه لم يستطعْ أن يرى وجهيهما. وكان هناك شيءٌ غريبٌ حولَ الطريقةِ التي تكلّم بها الرجل

لغة السيتسوانا. إذ إنها لم تكنِ الطريقة التي يتكلمُ بها أحدُ السكانِ المحليين. فقد كان صوتاً غريباً يرتفعُ عند نهاية الكلمة.

"هل تصطادُ الحيواناتِ البرية؟ هل تريدُ أن تمسكَ بنمرٍ في الظلام؟"

فهزَّ رأسَه، وقال: "كلا، إنني أسيرُ إلى البيتِ وحسب".

"لأنَّ النمرَ يستطيعُ أن يمسكَ بكَ قبل أن تمسكَ به".

فضحك، وقال: "إنكَ محقٌ، يا سيدي. فأنا لا أفضلُ أن أرى نمراً الليلةَ".

"إذاً سنأخذُك معنا إلى منزلك، هل هو بعيد؟"

"كلا، إنه ليس بعيداً، إنه هناك وحسب، من هنا".

فتح السائق البابَ وخرجَ تاركاً المحركَ يعمل ليدعَ الصبيَّ ينزلق إلى الداخلِ على المقعد الطويل. ثم ركبَ عائداً وأغلقَ البابَ وشغّلَ ناقلَ الحركة. ورفعَ الصبيُّ قدميه إلى الأعلى فقد كان هناك حيوانٌ ما على الأرض. إذ إنه لمسَ أنفاً ناعماً رطباً، فربما كان كلباً أو معزاة".

ألقى نظرةً خاطفةً على الرجلِ الأكبرِ سناً إلى اليسار. وكان ليكونَ تصرفاً وقحاً أن يحدّقَ فيه ولكن كان من الصعب أن يرى جيداً في الظلام. ولكنه لاحظَ فعلاً الشيءَ الذي كان خاطئاً في شفةِ الرجلِ ورأى عينيه أيضاً. فنظرَ بعيداً. إذ إنه لا ينبغي لصبيٍّ أن يحدقَ في رجلٍ عجوزٍ هكذا. ولكن لماذا كان هؤلاء الناسُ هنا؟ وماذا كانا يفعلان؟

"ها هو. هذا هو منزلُ والدي. أترى تلك الأضواءَ هناك؟"

"نعم، يمكننا رؤيته".

"يمكنني أن أسيرَ من هنا إذا أردتما. وإذا توقفتما يمكنني أن أسير. إذ يوجدُ ممر".



"إننا لن نتوقفَ. إذ يجبُ عليك أن تقومَ بأمرٍ ما من أجلنا. ويمكنك أن تساعدنا في أمرٍ ما".

"إنهم يتوقعون عودتي. وسيكونون بانتظاري".

"لطالما يكونُ هناك أحدٌ ما ينتظرُ أحداً، دائماً".

شعرَ فجأةً بالخوف، والتفتَ لينظرَ إلى السائق. فابتسمَ الشابُ له.

"لا تقلق، اجلسْ ساكناً وحسب. فستذهبُ إلى مكانٍ آخر الليلة".

"إلى أين تأخذانني، يا سيدي؟ ولماذا تأخذانني بعيداً؟"

فمدَّ الرجلُ العجوزُ يدَه ولمسَ الصبيَّ على كتفِه.

"لن تتعرضَ لأذى. ويمكنك الذهابُ إلى البيتِ في وقتٍ آخر. وسيعرفون أنك لا تتعرّضُ لأذى. فنحن رجالٌ لطفاء، أترى؟ إننا رجالٌ لطفاء. اسمع، سوف أقصُ عليك قصةً قصيرةً بينما نسافرُ في السيارة. وستسعدُك هذه القصةُ وتهدئك".

كان هناك بعضُ الصبيةِ الرعاة، وكانوا يعتنون بماشيةِ عمِّهم الثري. وقد كان ذلك الرجلُ ثرياً ويملكُ ماشيةً أكثرَ من أيِّ شخصٍ آخر في ذلك الجزءِ من بتسوانا. وكانت ماشيتُه كبيرةً كبيرةً. كهذه الماشية ولكنها فقط أكبرُ منها.

في أحد الأيام، اكتشفَ هؤلاء الصبيةُ عجلاً ظهرَ على طرفِ القطيع. وكان عجلاً غريباً وله ألوانٌ كثيرةٌ خلافاً لأي عجلٍ آخر رأوه على الإطلاق. وقد كانوا مسرورين أن ذلك العجلَ قد أتى.

وكان العجلُ شديدَ الغرابةِ من ناحيةٍ أخرى. فقد كان ذلك العجلُ يستطيعُ أن يغني أغنيةَ ماشيةٍ كان الصبيةُ يسمعونها كلما كانوا يقتربون منه. ولم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا الكلماتِ التي كان ذلك العجلُ يستخدمُها. ولكنها كانت شيئاً يتعلّقُ بأمورِ الماشية.

أحبَّ الصبيةُ ذلك العجلَ. ولأنّهم أحبوه كثيراً، لم يلاحظوا أن بعضَ الماشيةِ الأخرى كانت تشردُ بعيداً. ولم يلاحظوا ذلك إلا بعد أن اختفى رأسانِ من الماشيةِ بحيث إنهم شاهدوا ما كان قد حدث.

خرجَ عمّهم، وأتى إليهم. وكان رجلاً طويلاً جداً ومعه عصا. فصرخ على الصبيةِ وضربَ عجلَهم بعصاه وهو يقولُ إن العجول الغريبةَ لا تجلبُ أيَّ حظ.

وهكذا، مات العجلُ. ولكنه قبل أن يموتَ همسَ شيئاً إلى الصبيةِ، واستطاعوا أن يسمعوه هذه المرة. وكان شيئاً مميزاً جداً. وعندما أخبرَ الصبيةُ عمَّهم بما قاله العجلُ، سقطَ على ركبتيه وانتحب.

فقد كان العجلُ أخاه. وكان قد أكله أسدٌ قبل وقتٍ طويل من عودته. فقتلَ هذا الرجلُ أخاه ولم يصبحْ سعيداً مجدداً أبداً، بل كان حزيناً جداً.

راقبَ الصبيُّ وجهَ الرجلِ بينما كان يقصُّ القصةَ. وإذا لم يكن الرجلُ واعياً لما كان يحدثُ حتى تلك اللحظة فقد علم عندئذٍ ما كان سيحدث.

"أمسكْ ذلك الصبي، خذْ بذراعه. فسوف يجعلني أخرجُ عن الطريق إذا لم تمسكه".

"إنني أحاول، ولكنّه يقاومُ كشيطان".

"أمسكه وحسب. وسوف أوقفُ الشاحنة".





## الفصل السابع

# السيدة ماكوتسي تتولّى أمرَ البريد

شجّعَ نجاحُ القضيةِ الأولى السيدةَ راموتسوي. فأرسلت حينئذٍ في طلبِ كتيبٍ يتعلق بالتحري الخاص وتسلّمته. وكانت تتصفّحُه فصلاً بعد آخر، وتدوّنُ ملاحظاتٍ كثيرة. وكانت تعتقدُ أنها لم ترتكبْ أيةَ أخطاء في تلك القضيةِ الأولى. فقد اكتشفت المعلوماتِ التي كان ينبغي الحصولُ عليها بواسطةِ عمليةِ وضعِ المصادرِ المحتملة البسيطة في قائمةٍ والبحثِ عنها. ولم يتطلبْ ذلك الكثيرَ من العملِ. فإذا كان المرءُ منهجياً بالكادِ يكونُ هناك أيُّ شكلٍ يمكنُ أن يخطأ به.

وكانت قد أحستْ حينئذٍ بشعورٍ باطني يتعلقُ بالتمساح، فتبعته. ومجدداً، أقرَّ الكتابُ بهذا على أنه مقبولٌ كلياً. فكان ينصحُ قائلاً: "لا تتجاهلْ حساً باطنياً. فالأحاسيس الباطنيةُ هي شكلٌ آخرُ من المعرفة".

وكانت السيدة راموتسوي قد أحبتْ تلك العبارةَ وذكرتها للسيدةِ ماكوتسي. فأصغت سكرتيرتُها بعناية، ثم طبعتِ الجملةَ على آلتِها الكاتبة، وسلّمتها للسيدة راموتسوي.

كانت السيدةُ ماكوتسي رفيقةً مبهجةً. وكانت تستطيعُ أن تطبعَ بشكلٍ جيد. وكانت قد طبعت تقريراً أملتْه السيدةُ راموتسوي لها فيما يتعلّقُ بقضيةِ مالاتسي، وطبعتِ الفاتورةَ التي كانت سترسَلُ إلى السيدةِ مالاتسي. ولكنها خلافاً لذلك لم تكن فعلاً قد طُلبَ منها القيامُ بأيِّ شيءٍ آخر. فتساءلت السيدةُ راموتسوي إن كان من الممكنِ للعملِ فعلاً أن يبررَ توظيفَ سكرتيرة.

ولكن بالرغم من ذلك يجبُ على المرءِ أن يقومَ بهذا. فأيُّ نوعٍ من وكالاتِ التحرياتِ الخاصة ليست لديها سكرتيرة؟ لقد كانت

لتصبحَ أضحوكةً بدون إحداهن. وكان الزبائنُ سيخافون ويهربون إن كان سيأتي أيُّ زبائنَ بعد ذلك. إذ إنه كان أمراً مشكوكاً به.

وبالطبع، كان على السيدة ماكوتسي أن تفتحَ البريد. ولم يكن يوجدُ بريدٌ طوال الأيام الثلاثة الأولى. وفي اليوم الرابع، استلمتْ نشرةً وطلبَ لدفع ضريبةِ الممتلكات. وفي اليوم الخامس، وصلتْ رسالةٌ موجهةٌ للمالكِ السابق.

وعند بدايةِ الأسبوعِ التالي، فتحتْ ظرفاً أبيضَ متسخاً بعلامات الأصابع. وقرأتِ الرسالةَ للسيدةِ راموتسوي.

السيدة راموتسوي المحترمة،

لقد قرأتُ في الصحيفةِ عنك وعن افتتاحِك لهذه الوكالة الكبيرة الجديدة هناك في البلدة. وأنا فخورٌ من أجل بتسوانا أن يصبحَ لدينا شخصٌ مثلك في هذه البلاد.

إنني مدرسٌ في المدرسةِ الصغيرة في قرية "كاتسانا" التي تبعدُ ثلاثمائة ميل عن غابورون، وهي قريبةٌ من المكانِ الذي وُلدتُ فيه. وقد ذهبتُ إلى كليةِ المعلمين منذ سنواتٍ عديدة، ونجحتُ بامتياز مزدوج. لديَّ وزوجتي ابنتان ولدينا ولدٌ عمرُه أحدَ عشرَ عاماً. وهذا الصبيُّ الذي أشيرُ إليه قد اختفى مؤخراً. فلم يشاهدْه أحدٌ منذ شهرين.

ذهبنا إلى الشرطة. وقاموا ببحثٍ كبيرٍ، وسألوا في كلِّ مكان. ولم يعرفْ أحدٌ أيَّ شيءٍ عن ابننا. فأخذتُ إجازةً من المدرسة، وبحثتُ في الأرضِ المحيطةِ بقريتنا حيث توجدُ بعضُ التلالِ الصغيرة على مسافةٍ ليست بعيدةً كثيراً. وهناك صخورٌ وكهوفٌ. فدخلتُ كلَّ واحدٍ من تلك الكهوفِ وبحثتُ في كلِّ صدع. ولكن لم تكن هناك أيةُ علامةٍ على وجودِ ابني.

كان صبياً يحبُّ التجوالَ لأنه كان يتمتعُ باهتمامٍ قوي بالطبيعة. فكان دائماً يجمعُ الحجارةَ وأشياء كهذه. وكان يعرفُ الكثيرَ عن القفر، فلم يكن ليتعرضَ للخطرِ بسببِ الغباء أبداً. ولم تعدْ هناك نمورٌ



في هذه الأرجاء. ونحن بعيدون جداً عن صحراءِ كالاهاري لتأتيَ إلينا الأسود.

ذهبتُ إلى كلِّ مكانٍ منادياً، ولكن ابني لم يجبْني أبداً. فبحثتُ في كلِّ بئرٍ في كلِّ مزرعةٍ وقريةٍ قريبة، وطلبتُ منهم أن يبحثوا في الماء. ولكن لم تكن هناك أيةُ علامةٍ تدلُّ عليه.

كيف يمكنُ لصبيٍّ أن يختفيَ من على وجهِ الأرضِ هكذا؟ ولو لم أكن مسيحياً لقلتُ إن روحاً شريرةً رفعتْه وحملتْه. ولكنني أعلمُ أن أشياءَ كهذه لا تحدثُ فعلاً.

إنني لستُ رجلاً ثرياً. ولا أستطيعُ تحمّلَ نفقاتِ التحري الخاص. ولكنني أطلبُ منك يا سيدتي باسم يسوع المسيح أن تساعديني بطريقةٍ صغيرةٍ واحدة. من فضلك، عندما تقومين بتحرياتك بشأنِ أشياءَ أخرى وتتحدثين مع الناسِ الذين قد يعرفون ما يحدثُ اسأليهم من فضلك إن كانوا قد سمعوا شيئاً عن صبي يُدعى "توبيسو" عمرُه أحدَ عشرَ عاماً وأربعة أشهر، وهو ابنُ معلمٍ في قريةِ كاتسانا. من فضلك، اسأليهم فقط. وإذا سمعتِ أيَّ شيءٍ على الإطلاق. أرسلي من فضلك رسالةً إلى الموقعِ أدناه، وهو أنا المعلم.

باسم الرب،

المرسل: إرنست مولاي باكوتاتي...

توقفتِ السيدةُ ماكوتسي عن القراءة، ونظرتْ عبرَ الغرفةِ إلى السيدةِ راموتسوي. وللحظة، لم تتكلمْ أيٌّ منهما. ثم قطعتِ السيدة راموتسوي الصمت.

وسألت: "هل تعرفين شيئاً عن هذا الأمر؟ هل سمعتِ أيَّ شيءٍ عن صبيٍّ مفقود؟"

فعبستِ السيدةُ ماكوتسي، وقالت: "أعتقدُ ذلك. وأعتقدُ أنه كان هناك شيءٌ ما في الصحيفةِ يتعلقُ ببحثٍ عن أحدِ الصبية. وأعتقدُ أنهم ظنُّوا أنه ربما هربَ من البيت لسببٍ ما".

وقفتِ السيدةُ راموتسوي على قدميها، وأخذتِ الرسالةَ من سكرتيرتها. وحملتها كما قد يحملُ أحدُهم إحدى المعروضاتِ في قصرٍ بحذرٍ شديد وكأنَّ ذلك لكي لا تُزعجَ الدليل. وكان الأمرُ يشعرُها وكأن الرسالةَ، وهي مجردُ قصاصةِ ورقٍ خفيفةٍ بحدِ ذاتها، كان يثقلُها الألم.

وقالت بهدوء: "لا أعتقدُ أن هناك الكثيرَ مما يمكنني أن أفعلَه. بالطبع، أستطيعُ أن أفتحَ أذنيَّ. ويمكنني أن أقولَ هذا للوالدِ المسكين. ولكن أيُّ شيءٍ آخرَ أستطيعُ فعلَه؟ وهو سيعرفُ المكانَ المقفرَ حول كاتسانا ويعرفُ الناسَ. ولا يمكنني فعلاً أن أفعلَ الكثيرَ من أجلِه".

وبدتِ السيدةُ ماكوتسي تشعرُ بالراحة، فقالت: "كلا، لا يمكننا أن نساعدَ ذلك الرجلَ المسكين".

أملتِ السيدةُ راموتسوي على السيدةِ ماكوتسي رسالةً فطبعتها بعنايةٍ على الآلةِ الكاتبة. ثم ختمتْها داخلَ الظرفِ وألصقتْ طابعاً من الخارج ووضعتْها في علبةِ الأعمالِ المنجزةِ الحمراء الجديدة التي اشترتها من مركزٍ بتسوانا للكتب. وكانت هذه الرسالةَ الثانيةَ التي تغادرُ وكالةَ التحرياتِ النسائيةِ الأولى. إذ كانت الأولى فاتورةَ السيدةِ مالاتسي وقيمتُها مائتان وخمسون بولا. وهي الفاتورة التي طبعت السيدةُ ماكوتسي في أولِها: "زوجك المرحوم... حلّ لغز وفاته..."

في تلك الأمسيةِ في منزلِ السيدةِ راموتسوي في زيبرا درايف، حضّرت لنفسها وجبةً من اليخنةِ واليقطين. وكانت تحبُّ الوقوفَ في المطبخِ وتحريكَ القدرِ والتفكيرَ بأحداثِ اليوم وهي ترشفُ من فنجان من شاي الأعشابِ وضعتْه على رفِّ الموقد. وكانت قد حدثتْ عدّةُ أشياءَ في ذلك اليوم إلى جانبِ وصولِ الرسالة. فقد جاءَ رجلٌ لديه تساؤلٌ عن دينٍ سيئ. فقبلتْ مرغمةً أن تساعدَه على استعادتِه. ولم تكن واثقةً فيما إذا كان هذا هو نوعُ الأشياءِ التي ينبغي على تحرٍ خاصٍ أن يقومَ بها. إذ لم يكن هناك شيءٌ عنها في الكتيب. ولكنه



كان مصراً فوجدت من الصعوبةِ أن ترفض. ثم كانت هناك زيارةٌ من امرأةٍ كانت قلقةً بشأنِ زوجِها.

فقد قالت: "إنه يأتي إلى البيتِ مبتسماً ورائحةُ العطرِ تفوحُ منه. ولماذا قد يأتي رجلٌ إلى البيتِ مبتسماً ورائحةُ العطرِ تفوحُ منه؟"

فغامرتِ السيدةُ راموتسوي بأن قالت: "ربما هو يقابلُ امرأةً أخرى".

فنظرتِ المرأةُ إليها فاغرةً فمها، وقالت: "هل تعتقدين أنه قد يفعلُ ذلك؟ زوجي؟"

فناقشتا الموضوعَ واتفقتا أن تناورَ المرأةُ زوجَها في الموضوع.

وقالتِ السيدةُ راموتسوي مطمئِنةً: "من الممكن أن يكونَ هناك تفسيرٌ آخر".

"مثل ماذا؟"

"حسناً..."

فعرضتْ السيدةُ ماكوتسي رأيَها قائلة: "إن الكثيرَ من الرجالِ يضعون عطراً في هذه الأيام. فهم يعتقدون أنه يجعلُ رائحتَهم طيبة. وأنت تعرفين كيف هي رائحةُ الرجال".

وكانت الزبونةُ قد التفتت في كرسيها محدّقةً بالسيدةِ ماكوتسي.

فقالت: "لا تفوحُ من زوجي رائحةٌ كريهةٌ، فهو رجلٌ نظيفٌ جداً".

وكانتِ السيدةُ راموتسوي قد ألقت نظرةً محذّرةً على السيدةِ ماكوتسي. وكان عليها أن تتحدثَ معها بشأنِ الابتعادِ أثناءَ وجودِ الزبائن.

ولكـن مهمـا يكـنْ ما قد حدثَ في ذلك اليوم، فقد استمرتْ أفكارُهـا بالعودةِ إلى رسالةِ المعلمِ وقصةِ الصبيِ المفقود. كم قد يكونُ الرجلُ المسكينُ والأمُ المسكينةُ قد شعرا بالقلق! وأيةُ أفكارٍ تخطـرُ بـبالهما بيـنما تمرُ كلُ ساعةٍ دون أي دليلٍ على وجودِ الـصبي! وقد يكونُ طوالَ الوقتِ في خطرٍ عالقاً في مدخلِ منجمٍ قديمٍ ربما وصوتُه مبحوحٌ فوق الحدِّ بحيثُ لا يتمكنُ من الصراخِ بينما يحومُ المنقذون حولَه، أو قد يكونُ مخطوفاً نقلَه أحدُهم بخفةٍ لـيلاً. أيُ قلـبٍ شريرٍ قد يستطيعُ فعلَ شيءٍ مماثلٍ لطفلٍ بريء؟ وكيف يستطيعُ أي شخصٍ أن يقاومَ صرخاتِ الصبي وهو يتوسلُ ليؤخذَ إلى البيت؟ فجعلتها إمكانيةُ حدوثِ شيءٍ مماثلٍ في بتسوانا من بين كلِ الأماكنِ ترتجفُ رعباً.

بـدأتْ تتساءلُ فيما إذا كانت هذه الوظيفةُ مناسبةً لها رغم كلِّ شيء. لقد كان أمراً حسناً أن يفكرَ المرءُ أنه يستطيعُ أن يساعدَ الناسَ على حلِّ صعوباتهم. ولكن تلك الصعوباتِ قد تكونُ فاجعةً للقلب. فقد كانـت قضيةُ مالاتسي غريبة. إذ إنها توقعتْ من السيدةِ مالاتسي أن تـضطربَ عـندما أرتها الدليلَ على أن زوجَها قد افترسَه التمساح. ولكنها لم تبدُ منزعجةً على الإطلاق. ماذا كانت قد قالت؟ "ولكن لدي الكثيـرُ لأفعلَـه". يـا له من كلامٍ غريبٍ خالٍ من الإحساسِ لتقولَه إحداهن عندما تكونُ قد فقدتْ زوجَها للتو. ألم تكنْ تعتبرُ له قيمةً أكثرَ من ذلك؟

تـوقفتِ الـسيدةُ راموتـسوي، وكانت ملعقتُها مغمورةً نحو منتـصفها تحت سطحِ اليخنةِ التي تطهى. عندما يكونُ الناسُ غيرَ متأثرين بتلك الطريقةِ كانت السيدةُ كريستي لتتوقعَ من القارئِ أن يكـونَ مرتاباً. ماذا كانت السيدةُ كريستي لتعتقدَ إذا رأت ردةَ فعلِ الـسيدة مالاتـسي الباردةَ وعدمَ اكتراثِها الفعلي؟ لقد كانت لتعتقدَ قاتلـةً فـي نفسها: هذه المرأةُ قتلتْ زوجَها! ولهذا السبب لم تتأثرْ



بخبرِ موتِه. فقد كانت تعلمُ طوالَ الوقتِ أنه كان ميتاً!

ولكـن ماذا عن التعميدِ والتمساحِ والعصاةِ الآخرين؟ كلا، لا بـدَّ أنها بريئة. وربما أرادتْه أن يموتَ ثم استُجيبَ لصلواتها بأن افترسَه التمساح. هل سيجعلُ ذلك المرءَ مجرماً في نظرِ الربِ إذا حـدثَ شيءٌ ما حينئذٍ؟ إن الربَّ سيعلمُ أن المرءَ كان يتمنى موتَ أحـدِهم. لأنـه لا توجدُ أسرارٌ يمكنُ إخفاؤها عن الرب. والجميعُ علموا ذلك.

تـوقفتْ عـن التفكيـر. حانَ الوقتُ لتخرجَ اليقطينةَ من القدرِ وتأكلَها. وبالنتيجة، ذلك هو ما حلَّ تلك المشكلاتِ الكبيرةَ في الحياة. فـيمكنُ للمرءِ أن يفكرَ ويفكرَ دون أن يصلَ لأيِّ حل. ولكن ما زال علـيه أن يأكـلَ يقطينتَه. فهذا أعاده إلى الحياةِ الواقعيةِ وأعطاه سبباً للاستمرار.

# الفصل الثامن

## محادثةٌ مع

## السيدِ جي. إل. بي. ميتكوني

عـند نهايـةِ الشهرِ الأولِ من وجودِها، كانت وكالةُ التحرياتِ النـسائيةِ الأولى تخسرُ خسارةً واضحةً. فقد جاءَ ثلاثةُ زبائن ودفعوا مـالاً وجاءَ زبونان طلباً للنصيحةِ فتلقّياها ورفضا أن يدفعا. وكانت السيدةُ مالاتسي قد دفعتْ فاتورتَها بقيمةِ مائتين وخمسين بولا. وكانت هابي بابيتسي قد دفعتْ مائتي بولا مقابلَ كشفِ والدِها المزيّفِ. ودفعَ أحدُ التجارِ المحليين مائةَ بولا ليكتشفَ مَنْ كان يستخدمُ هاتفَه لإجراءِ مكالماتٍ بعيدةِ المدى غيرِ مرخصةٍ إلى فرانسيس تاون. فإذا أُضيفت هذه إلى بعضِها البعض تصلُ إلى خمسمائةِ بولا. ولكنّ أجورَ السيدةِ ماكوتـسي كانت تساوي خمسمائةٍ وثمانين بولا في الشهرِ. فكان هذا يعنـي أنـه كانـت هناك خسارةٌ بقيمةِ ثلاثين بولا دون أخذِ النفقاتِ العامةِ الأخرى بعينِ الاعتبارِ مثل كلفةِ الوقودِ لسيارتِها الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ وكلفةِ الكهرباءِ للمكتبِ.

وبالطبعِ، يستغرقُ العملُ بعضَ الوقتِ لكي يتمَّ التأسيسُ له. وكانت الـسيدةُ راموتـسوي تـدركُ هذا. ولكن لكم من الوقتِ يستطيعُ المرءُ الاسـتمرارَ فـي الخسارةِ؟ فقد كانت تملكُ مبلغاً من المالِ من ممتلكاتِ والدِها. ولكنها لم تكن لتستطيعَ العيشَ عليه إلى الأبدِ. لقد كان عليها أن تـصغي لـوالدِها. فقد كان يريدُها أن تشتريَ مسلخاً. وكان ذلك ليكونَ أكثـرَ أمانـاً بكثيـرٍ. مـا كان ذلك التعبيرُ الذي يستخدمونه؟ استثمارُ الحصصِ الصناعيةِ، هذا هو الأمرُ. ولكن أين الإثارةُ في ذلك؟

فكرتُ بالسيد جي. إل. بي. ميتكوني، مالك كراج تلوكوينغ رود سبيدي موتورز. فقد كان عملُه يدرُ ربحاً. ولم يكن هناك نقصٌ في الزبائنِ لأن الجميعَ يعلمون أيَّ مكانيكي بارعٍ هو. لقد كان هناك فرقٌ بينهما، كما اعتقدت. إذ إنه كان يعلمُ ما كان يفعل على عكسِها هي.

كانــت السيدةُ راموتسوي تعرفُ السيد جي. إل. بي. ميتكوني لســنوات. فقد كان من موتشودي، وكان عمُه صديقاً مقرباً لوالدها. وكان السيد جي. إل. بي. ميتكوني في الخامسةِ والأربعين من عمرِه، ويكبــرُ السيدة راموتسوي بعشرِ سنوات. ولكنه كان يعتبرُ نفسَه في مثلِ سنِها لأنه كان غالباً ما يقولُ عندما يُدلي بملاحظة عن العالم: "لأنَّ الناسَ في مثلِ سننا..."

كــان رجلاً مريحاً. وكانت تتساءلُ عن سببِ عدمِ زواجه مرة أخرى أبداً. فهو لم يكنْ وسيماً ولكنه كان يتمتعُ بوجهٍ سهلٍ ومُطمئن. وقــد كان ليصبحَ من نوعِ الأزواجِ الذين تحبُ أيةُ امرأةٍ وجودَهم في أنحاءِ المنزل. فكان ليصلحَ الأشياءَ ويبقى في البيتِ ليلاً، وربما كان حتــى ليساعدَ فــي بعضِ الأعمالِ المنزلية. وهو أمرٌ يحلمُ قلةٌ من الرجالِ بالقيامِ به قط.

ولكــنه بقــيَ عازباً وعاشَ وحيداً في منزلٍ كبيرٍ قربَ المطارِ القــديم. وكانت أحياناً تراهُ في شرفتِه عندما تقودُ سيارتَها مروراً به، فــتجدُه جالــساً وحدَه على كرسيٍ يحدقُ في الأشجارِ التي تنمو في حديقــته. في ماذا كان يفكرُ رجلٌ مثلُه؟ هل كان يجلسُ هناك ويتأملُ كــم يكونُ أمراً لطيفاً أن تكونَ له زوجةٌ وأطفالٌ يركضون في أنحاءِ الحديقــة؟ أم أنــه يجلسُ هناك ويفكرُ في الكراجِ والسياراتِ التي قام بتصليحها؟ لقد كان من المستحيلِ للمرءِ أن يعرف.

وكانــت تحــبُ أن تمرَّ به في الكراج، فتتحدثُ إليه في مكتبِه الملــوثِ بالــشحمِ والمكدسِ بأكوامِ الوصولاتِ وطلباتِ قطعِ الغيار. وكانت تحبُ أن تنظرَ إلى التقاويمِ على الجدارِ بصورِها البسيطة من



الــنوعِ الــذي أحبّه الرجالُ. وكانت تحبُ أن تشربَ الشايَ من أحدِ فناجيــنه التــي تــوجدُ عليها علاماتُ الأصابعِ المشحّمة بينما يرفعُ مساعداه السياراتِ على الرافعاتِ ويتحركانِ بجلبةٍ وضجةٍ من تحتها.

وكان السيد جي. إل. بي. ميتكوني يستمتعُ بتلك الجلسات. فكانا يتحدثان عن موتشودي أو عن السياسة أو يتبادلان أخبارَ اليوم. فكان يخبــرُها مــن كان يعاني من مشاكلَ بسيارته وما كان عطلُها ومن اشترى الوقودَ ذلك اليوم وأين قالَ إنه ذاهب.

ولكــنهما في ذلك اليوم تحدثا عن التمويلِ وعن مشكلاتِ إدارةِ عملٍ ينطوي على دفعِ مال.

قال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "تكاليفُ العمالِ تشكّلُ الجزءَ الأكبــر. أتــرين هذين الشابين هناك تحتَ تلك السيارة؟ ليست لديك فكــرةٌ مــاذا يكلّفانني بأجورهما وضرائبهما والتأمينِ لتغطيتهما إذا وقعت السيارةُ فوق رأسيهما. فكلُها تجمعُ. وفي نهاية المطاف، يتبقى بولا أو اثنتان لي، وهذا ليس الكثيرَ أبداً".

فقالــت السيدةُ راموتسوي: "ولكنك على الأقلِ لا تخسر. أما أنا فقــد خسرتُ ثلاثين بولا في عملِ شهري الأول. وأنا واثقةٌ أن الأمرَ سيزدادُ سوءاً".

فــتنهد السيد جي. إل. بي. ميتكوني، وقال: "إنها نفقاتُ العمال مثل سكرتيرتك تلك التي ترتدي نظارةً كبيرة. هناك تذهبُ النقود".

فأومــأت السيدةُ راموتسوي برأسها، وقالت: "أعلم ذلك، ولكنك تحــتاجُ إلى سكرتيرة إذا كان لديك مكتب. فإذا لم تكنْ لدي سكرتيرة إذاً ســأكونُ عالقــةً هــناك طوال اليوم، ولن أستطيعَ القدومَ إلى هنا للتحدث معك، ولن أستطيعَ الذهابَ للتسوق".

فمــدَّ السيد جي. إل. بي. ميتكوني يدَه نحو فنجانه، وقال: "إذاً أنــتِ بحاجة للحصولِ على زبائنَ أفضل. فأنت بحاجة لبضعِ قضايا كبيرة، وتحتاجين إلى أحدٍ غنيٍ ليعطيك قضيةً".

"أحدٌ غني؟"

"نعم، أحدٌ مثل... مثل السيد باتل، على سبيلِ المثال".

"لماذا سيحتاجُ إلى تحرٍ خاص؟"

فقال السيد جي. إل. بي. ميتكوني: "يعاني الرجالُ الأغنياءُ من مشكلات، فأنتِ لا تعرفين هذا أبداً".

فعادا إلى صمتهما وهما يراقبان الميكانيكيين، وهما يزيلان عجلةً من السيارة التي كانا يعملان بها.

وقال السيد جي. إل. بي. ميتكوني: "ولدان غبيان. إنهما لا يحتاجان إلى فعل ذلك".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "لقد كنتُ أفكرُ بأمرِ رسالة استلمتُها في أحدِ الأيام. وقد أحزنتني كثيراً، فتساءلتُ فيما إذا كان ينبغي عليَّ أن أكونَ تحريةً على أيةِ حال".

وأخبرتْه عن الرسالة التي تتعلقُ بالصبي المفقود، وشرحتْ له كيف شعرتْ أنها عاجزةٌ عن مساعدة الوالد.

فقالت: "لم أستطعْ أن أفعلَ شيئاً له، فأنا لا أصنعُ المعجزات. ولكنني شعرتُ بالأسفِ الشديد من أجله. فهو يعتقدُ أن ابنه قد وقعَ في الفقرِ أو أن حيواناً ما قد أخذَه. كيف يمكنُ لوالدٍ أن يتحملَ هذا؟"

فشخرَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني، وقال: "لقد رأيتُ هذا الخبرَ في الصحيفة، وقرأتُ عن ذلك البحث. فعلمتُ أنه كان بحثاً ميؤوساً منه منذ البداية".

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "لماذا؟"

وصمتَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني للحظة. فنظرت السيدةُ راموتسوي إليه وتجاوزتْه عبرَ النافذة إلى شجرة الشوك خارجاً. وكانت الأوراقُ الصغيرةُ ذاتُ اللونِ الأخضرِ المائل للرمادي كسكاكينَ من العشب مطويةً على نفسها في الحرارة. وخلفها، كانت السماءُ الصافيةُ الشاحبةُ تماماً ورائحةُ الغبار.



فقالَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني وهو يرسمُ نموذجاً خيالياً في الهواءِ بإصبعه: "لأن الصبيَّ ميتٌ، ولم يأخذْه حيوانٌ. أو أنه على الأقلِ ليسَ حيواناً عادياً. آه، نعم".

فصمتتِ السيدةُ راموتسوي. وتخيلتْ والدَ الصبي الميت. وللحظةٍ قصيرة، تذكرت عصرَ ذلك اليومِ الفظيع في موتشودي في المستشفى عندما أتت الممرضةُ إليها وهي تسوي لباسَها الموحدَ. ورأتْ أن الممرضةَ كانت تبكي. فأن يفقدَ المرءُ طفلاً هكذا هو أمرٌ يمكنُ له أن ينهيَ عالمَه. فلا يستطيعُ المرءُ أن يعودَ إلى سابقِ عهده. إذ تنطفئ النجومُ ويختفي القمرُ وتصمتُ الطيور.

وسألت: "لماذا تقول إنه ميت؟ فمن الممكنِ أن يكونَ قد ضاعَ ثم..."

فهزَّ السيد جي. إل. بي. ميتكوني رأسَه، وقال: "كلا، لقد أُخذَ ذلك الصبيُّ من أجلِ السحر. وهو ميتٌ الآن".

وضعتْ فنجانَها الفارغَ على الطاولة. وخارجاً في الورشة، وقعَ طوقُ إحدى العجلات محدثاً قعقعةً مرتفعةً.

ألقتْ نظرةً خاطفةً على صديقها. فقد كان هذا موضوعاً لا يتحدثُ المرءُ عنه. وكان هذا الموضوعَ الوحيدَ الذي يسببُ الخوفَ لأكثرِ القلوب تصميماً. فقد كان هذا الموضوعُ هو أعظمَ المحرمات.

"كيف يمكنك أن تكونَ واثقاً؟"

فابتسمَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني، وقال: "هيا الآن يا سيدة راموتسوي. إنك تعرفين ما يجري كما أعرفُه تماماً. ونحن لا نحبُ التحدثَ عن الأمر، أليسَ كذلك؟ فهو أكثرُ أمرٍ نخجلُ منه نحن الأفريقيين. إننا نعلمُ أنه يحدثُ ولكننا نتظاهرُ أنه لا يحدث. ونعلمُ جيداً ما يحدثُ للأطفالِ الذين يُفقدون".

رفعتْ نظرَها إليه. وقد كان يقولُ الحقيقةَ بالطبع لأنه كان رجلاً صادقاً وصالحاً. وكان على الأرجحِ محقاً مهما أرادَ الجميعُ أن

يفكروا بتفسيراتٍ بريئةٍ أخرى فيما يتعلقُ بما حدثَ للصبي المفقود. إن الشيءَ الأرجحَ هو ما قالَه السيد جي. إل. بي. ميتكوني. لقد أُخذَ الصبيُ من قبلِ طبيبٍ مشعوذ، وقُتلَ من أجلِ الدواء. لقد حدثَ هذا الأمرُ هناك تماماً في بتسوانا في أواخرِ القرنِ العشرين تحت الرايةِ الفخورة، في وسطِ كل ما جعلَ بتسوانا بلاداً حديثة. لقد أصدرَ قلبُ الظلام هذا صوتَه كالطبل. وقُتلَ الصبيُ الصغيرُ لأنّ شخصاً قوياً ما في مكانٍ ما فوّضَ الطبيبَ المشعوذَ ليصنعَ له دواءً مقوياً.

فأخفضتْ نظرَها إلى الأسفل، وقالت: "قد تكون على حق. ذلك الصبيُ الصغير..."

فقالَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني: "بالطبع أنا على حق. ولماذا تظنّين أنه كان على ذلك الرجلِ المسكينِ أن يكتبَ تلك الرسالةَ لك؟ لأن الشرطةَ لن تفعلَ شيئاً لتكتشف كيف وأين حدثَ ذلك لأنهم خائفون. كلُ واحدٍ منهم خائف. إنهم خائفون مثلي ومثل أولئك الصبيين هناك تحتَ تلك السيارة. إننا خائفون، يا سيدة راموتسوي، خائفون على حياتنا كلُ واحدٍ منا. وربما حتى أنتِ".

ذهبتِ السيدةُ راموتسوي إلى الفراشِ في الساعةِ العاشرةِ متأخرةً نصفَ ساعةٍ عن المعتاد. وقد كانت تحبُ أن تتمدّد في السرير لبعضِ الوقتِ ومصباحُ القراءة مُشعَل لتقرأ في إحدى المجلات. أما حينئذٍ، فقد كانت متعبةً. واستمرتِ المجلةُ تنزلقُ من بين يديها وتهزمُ جهودَها لتبقى مستيقظةً.

أطفأتِ الضوء، وتلتْ صلواتِها هامسةَ الكلماتِ رغم أنه لم يكن هناك أحدٌ في البيتِ ليسمعَها. وكانت صلاتُها دائماً ذاتَها، وهي لروحِ والدها أوبيد ولبتسوانا وللمطرِ الذي كان سيجعلُ المحاصيلَ تنمو والماشيةَ تسمنُ ولطفلها الصغيرِ الآمنِ عندئذٍ بين ذراعي يسوع.

استيقظتْ مرعوبةً في ساعاتِ الصباحِ الباكر. وكان نبضُ قلبها غيرَ منتظمٍ وفمُها جافاً. فوقفت ومدتْ يدَها إلى مفتاحِ الضوء، ولكنها



عندما أشعلتْه لم يحدثْ شيء. فدفعتْ شرشفَها بعيداً، إذ لم تكنْ هناك حاجةٌ للملاءةِ في الطقسِ الحار. وانسلتْ خارجةً من السرير.

لم يعملِ الضوءُ في الممرِ أيضاً ولا في المطبخِ حيث كان القمرُ قد شكّلَ ظلالاً وأشكالاً على الأرض. ونظرتْ خارجَ النافذةِ إلى الليل. ولم تكن هناك أيةُ أضواء في أي مكان. لقد كان انقطاعاً في التيارِ الكهربائي.

فتحتِ البابَ الخلفي، وخرجتْ نحو الحديقةِ بقدميها الحافيتين. وكانت البلدةُ مظلمةً والأشجارُ غير واضحة. فكانتِ الأشكالُ غامضةً كالكتلِ السوداء.

"يا سيدة راموتسوي".

وقفتْ حيث كانت متسمرةً في مكانها من الرعب. فقد كان يوجدُ شخصٌ ما في الحديقةِ يراقبُها، وقد همسَ باسمها.

فتحتْ فمَها لتتكلّمَ ولكن لم يخرجْ أيُ صوت. وعلى أيةِ حال فقد كان من الخطرِ أن تتحدثَ. لذا تراجعتْ إلى الخلفِ ببطءٍ تدريجياً نحو بابِ المطبخ. وحالما أصبحتْ في الداخلِ، خبطتِ البابَ خلفها ومدتْ يدَها نحو القفل. وحالما أدارتِ المفتاحَ، أشعلتِ الكهرباءَ، وامتلأ المطبخُ بالضوء. وبدأتِ الثلاجةُ تُصدرُ صوتاً. وكان ضوءٌ من الموقدِ يشعلُ وينطفئُ مظهراً الوقت: 3.04؛ 3.04؛ 3.04.

# الفصل التاسع

## الصديق

كانت هناك ثلاثةُ منازلَ استثنائية تماماً في البلاد. وكانت السيدةُ راموتسوي تشعرُ بشيء من الرضا لأنها قد دُعيتْ لاثنين منها. وكان أشهرُها يُدعى "موكولودي". وهو بناءٌ يشبهُ القصرَ تنمو عليه نباتاتٌ متسلِّقةٌ ويقعُ في وسطِ القفرِ جنوبَ غابورون. وكان ذلك المنزلُ، الذي كان له بيتُ البوابِ وبواباتٌ شُغلتْ عليها طيورُ أبو قرنٍ المعدنيةِ، على الأرجحِ أفخمَ مؤسسةٍ في البلاد. وكان بالتأكيدِ أكثرَ تأثيراً بعضَ الشيءِ من منزلِ "باكادي هاوس" في الشمالِ والذي كان ربما قريباً فوق الحدِّ من بركِ المجاري حسبَ ذوقِ السيدةِ راموتسوي. ورغم ذلك فقد كان لهذا ما يُعوِّضُ عنه لأن بركَ المجاري كانت تجذبُ أنواعاً كثيرةً من الطيور. إذ إنه كان باستطاعة المرءِ أن يراقبَ من شرفةِ باكادي طيرانَ طيورِ النحامِ وهي تهبطُ على المياهِ الخضراءِ التي يعلوها الضباب. ولكنَّ المرءَ لم يكن يستطيعُ أن يفعلَ ذلك إذا كانت الرياحُ تهبُّ في الاتجاهِ الخطأ. وهكذا كان الأمرُ في أغلبِ الأحيان.

أما المنزلُ الثالثُ فيمكن فقط أن يُظنَّ به على أنه منزلٌ متميز. فقد دُعي عددٌ قليلٌ من الناسِ للدخولِ إليه. وكان على غابورون بأكملها أن تعتمدَ على ما كان من الممكنِ رؤيته من المنزلِ من الخارج، الذي لم يكنْ كثيراً لأنه كان مُحاطاً بجدارٍ عالٍ أبيضَ اللون. أو كان عليهم أن يعتمدوا على الأخبارِ من أولئك الذين تمّ استدعاؤُهم لدخولِ المنزلِ لغرضٍ خاصٍ ما. وقد أجمعتْ هذه الأخبارُ على مديحها لمجردِ فخامةِ داخلِ المنزل.

وقد قالتْ إحدى النساء، وكانت قد دُعيت لتنسيقِ الزهور لمناسبة عائلية ما: "إنه يشبهُ قصرَ باكينغهام، بل هو أفضلُ منه نوعاً ما. وأعتقدُ أنّ الملكةَ تعيشُ حياةً أبسطَ بقليلٍ من أولئك الناسِ هناك".

كان الناسُ موضوعَ الحديثِ هم عائلةُ السيد "باليوالار سنديغار باتل"، مالكِ ثمانيةِ متاجرَ، منها خمسةٌ في غابورون وثلاثةٌ في فرانسيس تاون، وفندقٍ في أورابا ومحلاتِ خرداواتٍ كبيرةٍ في لوبيتس. فكان بدون شك أحدَ الأغنياء في البلادِ إن لم يكنِ الأغنى بين مواطني بتسوانا. وقد كان هذا يُعتبرُ قليلاً لأنه لم يكن شيءٌ من ماله يذهبُ لشراء الماشية. وكان الجميعُ يعلمون أنّ المالَ الذي لا يُستثمرُ في الماشية هو مجردُ غبارٍ في الفم.

كان السيدُ باليوالار باتل قد جاءَ إلى بتسوانا عام 1967 في عمرِ الخامسةِ والعشرين. ولم يكن يملكُ الكثيرَ من المال عندئذٍ. ولكن والدَه، وكان تاجراً في مكانٍ ناءٍ من زولولند، قد قدّم له المالَ ليشتري متجرَه الأولَ في السوقِ (تجمُّع المتاجر) الأفريقي. ونجحَ هذا نجاحاً كبيراً. فقد كان السيد باتل يشتري بضائعَ مقابلَ لا شيءَ فعلياً من التجارِ الذين يعانون من أزمات، ثم يبيعُها بأقل ربح. فازدهرتِ التجارةُ، وأُضيفَ متجرٌ إلى آخر. وكانت تُدارُ كلُّها بنفسِ الفلسفةِ التجارية. وبحلولِ عيدِ ميلاده الخمسين، توقفَ عن توسيع إمبراطوريته، وركزَ على تطويرِ وتعليم عائلته.

كانوا أربعةَ أطفالٍ، وهم ابنٌ اسمه والاس وبنتانِ توأمان وتدعيان ساندري وبالي، أما الصغرى فتُدعى ناتديرا. وكان والاس قد أُرسلَ إلى مدرسةٍ داخلية باهظةٍ في زيمبابوي لكي يرضيَ طموحَ السيد باتل بأن يصبحَ سيداً محترماً. فتعلمَ هناك أن يلعبَ الكريكيت وأن يصبحَ قاسياً. وقد قُبلَ في كلية طب الأسنانِ بعد هبةٍ ضخمة من السيد باتل. وبعد ذلك، عادَ إلى مدينة دوربان حيث أسسَ مهنةً في طب الأسنانِ التجميلي. وفي مرحلةٍ ما قام بتقصير اسمه "من أجل



السهولة" وأصبحَ اسمُه هو السيد والاس بيت (بكالوريوس في جراحةِ الفم) (إقليم نيتل).

وكان السيدُ باتل قد اعترضَ على التغيير بقوله: "لماذا أصبحتَ الآن السيد والاس بيت (بكالوريوس في جراحةِ الفم) (إقليم نيتل) إذا أمكنني أن أسأل؟ لماذا؟ هل تخجلُ أو شيءٌ من هذا القبيل؟ هل تعتقدُ أنني مجردُ السيد باليوالار باتل (بكالوريوس) (الفاشل) أو شيءٌ من هذا القبيل؟

وكانَ الابنُ قد حاولَ أن يسترضيَ والدَه، فقال: "إنّ الأسماءَ القصيرةَ أسهلُ يا والدي. بيت وباتل هما نفسُ الشيء. لذا، لماذا يكونُ لدينا حرفٌ إضافي في النهاية؟ إن الفكرةَ العصريةَ هي الإيجاز. ويجبُ أن نكونَ عصريين هذه الأيام. فكل شيءٍ عصري حتى الأسماء".

ولم يكن هناك طلبٌ كهذا من قبَلِ التوأمين. فأرسلتا كلتاهما إلى (إقليم نيتل) لكي تعثرا على زوجين، الأمرُ الذي فعلتاه بالطريقة التي توقّعها والدُهما. وأخذَ الصهران كلاهما إلى العملِ، فأثبتا أنهما يملكان ذاكرةً جيدةً للأرقام وفهماً صحيحاً لأهميةِ هوامشِ الربح الضيقة.

ثم كانت هناك ناتديرا التي كانت في السادسة عشرة عندئذٍ، وكانت تلميذةً في مدرسة "مارو أبولا" في غابورون، وهي أفضلُ وأغلى المدارسِ في البلاد. وكانت بارعةً أكاديمياً. فكانت تَمنحُ باستمرارٍ تقاريرَ مبهرةً من المدرسة. وكان من المتوقعِ لها أن تتزوجَ زواجاً جيداً في الوقتِ المناسب، وهو على الأرجحِ في عيد ميلادها العشرين الذي كان السيد باتل يشعرُ أنه الوقت المناسبُ تحديداً لتتزوجَ فيه الفتاة.

وكانت العائلةُ بأكملها بمن فيهم الصهران والجدان وبضعةُ أبناءِ عمومٍ من الدرجةِ الثانية يعيشون في قصرِ آل باتل قرب نادي بتسوانا لقوةِ الدفاع القديم. وقد كانت هناك عدة منازل في المجمّع،

وهي منازلُ ذاتُ طرازٍ استعماري قديم ذي شرفاتٍ وحواجزِ ذباب. ولكن السيدَ باتل كانَ قد هدمَها وبنى منزله الجديد من لا شيء. وفي الواقـــع، كان المنزلُ عبارةً عن عدةِ منازلَ مرتبطةٍ ببعضها البعض تشكّلُ كلّها مجمعَ العائلة.

وكان السيدُ باتل قد شرحَ للمهندسِ المعماري قائلاً: "نحن الهنودَ نحـبُّ أن نعـيشَ فــي مجمع. ونحبُّ أن نكونَ على إطلاعٍ على ما يجري في العائلة".

فـصممَ المهندسُ المعماري، الذي كان قد مُنح صلاحيةً مطلقةً، منزلاً أباحَ فيه كلَّ نزوةٍ معماريةٍ كبتها الزبائنُ الأقلُّ وفرةً في المالِ والأكثـرُ تطلّـباً على مدى السنوات. ومما فاجأه، فقد قبلَ السيدُ باتل بكلِّ شيء. فثبتَ أن البناءَ الناتجَ كان يلائمُ ذوقَه كثيراً. وقد تم فرشُه بما يمكنُ أن يُسمى فقط "ديلهي روكوكو" مع كميةٍ كبيرةٍ من الطلاءِ الذهبـي فــي الأثـاثِ والستائر. وكانت على الجدرانِ صورٌ باهظةٌ لقديـسين هـندوس وغزلانٌ جبليةٌ لها عيونٌ تلحق بالمرءِ في أنحاءِ الغرفة.

وعندما تزوجتِ التوأمان في حفلٍ باهظٍ في مدينةِ دوربان دعيَ إليه أكثرُ من ألفٍ وخمسمائة ضيف، مُنحتا مسكنهما الخاص بعد أن وُسّـعَ المنـزلُ لهدفٍ ما بشكلٍ ملحوظ. وقد مُنحَ لكل من الصهرين أيضاً سيارةً حمراءَ من طراز مرسيدس. وكانت الأحرفُ الأولى من اسـميهما مطبوعةً على باب السائق. وقد تطلّبَ هذا توسيعَ كراجِ آل باتل أيضاً لكي توضعَ فيه أربعُ سيارات مرسيدس، وهي سيارةُ السيد باتل وسيارةُ السيدة باتل التي يقودُها سائق وسيارتان للصهرين.

وكان أحدُ أبناءِ العم الكبارِ في السن قد قال له في حفلِ الزفافِ فــي دوربـان: "انظـرْ يـا صاح. يجبُ علينا نحن الهنودَ أن نكون حـذرين. فلا ينبغي عليك أن تنفقَ نقودك في الأنحاء لأن الأفارقةَ لا يحـبون ذلك، كما تعلم. فعندما تسنحُ لهم الفرصةُ سيأخذونه كلَّه منا.



انظـرْ إلى ما حدثَ في أوغندا. وأصغِ إلى ما يقولُه بعضُ الناسِ في زيمـبابوي. وتخـيلْ ما الذي سيفعلُه الزولو لنا إذا سنحتْ لهم أدنى فرصة. لذا، يتوجبُ علينا أن نكونَ حذرين".

فهـزَّ الـسيدُ باتـل رأسَه، وقال: "لا ينطبقُ أيٌّ من هذا على بتسوانا. ولا يوجدُ خطرٌ هنا كما أعلمك. فهم أناسٌ متزنون. وينبغي علـيك أن تـراهم بكـلِّ ماسـهم، فالماسُ يجلبُ الاتزانَ لمكانٍ ما، صدقني".

وبـدا علـى ابنِ العمِ أنه يتجاهلُه، فقال: "إن أفريقيا هي كذلك. وكـلُّ شيءٍ يسيرُ على ما يرام تماماً ليوم واحد. ثم في صباحِ اليومِ التالي تستيقظُ وتكتشفُ أن عنقَك قد قُطع. فاحترسْ وحسب".

فأخـذَ الـسيدُ باتـل النصيحة بجديةٍ إلى درجةِ أنه أضافَ إلى ارتفـاعِ الجـدارِ المحيطِ بمنزله لكي لا يتمكن الناسُ من النظرِ في النوافذ ورؤيـةِ الـرفاهية فـيه. وإذا استمروا بالقيادةِ في الأنحاءِ بـسياراتهم الكبيرة، حسناً، فهناك الكثيرُ من أولئك الناسِ في البلدة، ولم يكن هناك سببٌ لكي يميّزَهم الناسُ بانتباهٍ خاص.



ابـتهجتِ الـسيدةُ راموتسوي عندما تلقتِ المكالمةَ الهاتفيةَ من السيد باتل وهو يسألُها فيما إذا كان باستطاعتها أن تمرَّ به في منزله فــي إحـدى الأمسياتِ في المستقبلِ القريب. واتفقا على تلك الأمسيةِ بالـذات. فذهـبتْ إلى البيتِ لكي تغيّرَ ملابسَها وترتديَ فستاناً أكثرَ رسميةً قبل أن تقدّمَ نفسَها عند بواباتِ قصرِ السيد باتل. وقد اتصلتْ بالسيد جي. إل. بي. ميتكوني قبل أن تخرج.

فقالـت: "لقد قلتَ إنه ينبغي عليَّ أن أحظى بزبونٍ غني. والآن لديَّ السيد باتل".

فأخذَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني نفساً، وقال: "إنه رجلٌ غني جـداً. ولديه أربعُ سياراتِ مرسيدس، ثلاثٌ منها على ما يرام. ولكن واحدةً منها تعاني من مشاكلَ في جهازِ نقلِ الحركة. وقد كانت مشكلةً

مـزدوجةً وهي إحدى أسوأ المشكلاتِ التي رأيتُها. فقد قضيتُ أياماً محاولاً الحصولَ على غلافِ عجلةِ سيارةٍ جديد..."

لا يمكنُ للمرءِ أن يقومَ بمجردِ دفعِ البوابةِ وفتحِها في منزلِ آلِ باتـل. ولا يمكـنـه أن يركنَ سيارته خارجاً ويطلق البوقَ كما يفعلُ الجمـيعُ في كل المنازلِ الأخرى. ففي منزلِ آل باتل، يضغطُ المرءُ جرساً في الجدار، فيصدرُ صوتٌ عالٍ من مكبرِ صوتٍ صغيرٍ فوقَ رأسه.

"نعم، هنا منزلُ آل باتل، ماذا تريد؟"

فقالت: "أدعى السيدة راموتسوي. وأنا... خاصة".

وصدرَ صوتُ فرقعةٍ من مكبرِ الصوت.

"خاصة. ما هي الخاصة؟"

فكانـت على وشك أن تجيبَ عندما صدرَ صوتُ فرقعةٍ آخر، وبـدأتِ الـبوابةُ تنفتح. وكانت السيدةُ راموتسوي قد تركتْ سيارتَها الفـان البيضاءَ الصغيرةَ عند الزاوية للحفاظ على المظاهر. وهكذا، دخلـتِ المجمّـعَ مشياً على الأقدام. وفي الداخلِ، وجدتْ نفسَها في حديقـةٍ تحـولتْ بسببِ الظلِّ المتشابكِ إلى بستانٍ ذي نباتاتٍ وافرة. وعند نهايةِ الحديقة، كان يوجدُ المدخلُ إلى المنزلِ نفسه، وهو مدخلٌ كبيـرٌ محـاطٌ بركائزَ بيضاءَ طويلةٍ وأحواضٍ للنباتات. فظهرَ السيدُ باتل أمامَ البابِ المفتوحِ، ولوّح لها بعكازه.

وكانـت قد رأتِ السيدَ باتل من قبل بالطبع. وكانت تعلمُ أنّ له ساقاً اصطناعية. ولكنها لم تكنْ قد رأتْه أبداً عن قربٍ فعلاً. ولم تكن تتوقّعُه أن يكونَ صغيراً هكذا. لم تكنِ السيدةُ راموتسوي طويلةَ القامة لكـونها وُهـبتْ مقاساً كبيراً أكثرَ من الطول. ولكن السيد باتل وجدَ نفسَه رغم ذلك يرفعُ نظرَه إليها عندما صافحَها وأشارَ إليها لتدخل.

وسـألها: "هـل دخلتِ إلى منزلي من قبل؟ هل حضرتِ إحدى حفلاتي؟"



كانت تعلم بالطبع أن هذه كذبةٌ. والسيد باتل لم يقمْ حفلاتٍ أبداً. فتساءلت لم كان ينبغي عليه أن يتظاهرَ بأنه فعلَ ذلك.

وقالت ببساطة: "كلا، فأنتَ لم تدعُني أبداً".

فقـال وهـو يضحكُ ضحكةً خافتةً: "يا إلهي، لقد ارتكبتُ خطأً كبيراً".

قادَهـا خـلالَ قاعةِ الاستقبال، وهي غرفةٌ كبيرةٌ ذاتُ أرضيةٍ رخامـيةٍ بيـضاءَ وسـوداءَ لامعـة. وكان يوجدُ الكثيرُ من النحاسِ المصقولِ الباهظِ الثمنِ في تلك الغرفة. فكان التأثيرُ الإجمالي متألقاً.

وقـال: "سـنذهبُ إلى غرفةِ مكتبي. فتلك هي غرفتي الخاصةُ التي لا يُسمحُ لأيِّ أحد من العائلة الدخولَ إليها قط. وهم يعلمون ألا يزعجوني هناك حتى لو كان المنزلُ يحترق".

كانت غرفةُ المكتبِ كبيرةً أيضاً تغلبُ على أثاثِها طاولةُ مكتبٍ كبيرةٍ عليها ثلاثةُ هواتفَ وحاملٌ متقنٌ للأقلام والحبر. فنظرتِ السيدةُ راموتـسوي إلى الحاملِ الذي كان مؤلفاً من بضعةِ رفوفٍ زجاجيةٍ للأقلام مدعّمةٍ بأنيابِ فيلةٍ مصغّرةٍ منحوتةٍ من العاج.

قـال الـسيدُ باتل مشيراً إلى كنبةٍ بيضاءَ جلدية: "اجلسي، من فـضلك. فأنا أستغرقُ بعضَ الوقتِ لأجلسَ لأنني فقدتُ إحدى ساقيّ، كما ترين. وأنا دائماً أبحثُ عن رجلٍ اصطناعيةٍ أفضلَ من هذه، فهي إيطالـيةُ الصنعِ وقد كلّفتني الكثيرَ من المال. ولكنني أعتقدُ أنّ هناك أرجلاً أفضلَ لأحصلَ عليها في أمريكا ربما".

غاصتِ السيدةُ راموتسوي في مقعدِها ونظرتْ إلى مضيفِها.

فقـالَ الـسيدُ باتل: "سأدخلُ في الموضوعِ مباشرة. إذ ليس هناك طائلٌ من المراوغةِ والمناورة، أليسَ كذلك؟ كلا، ليس هناك طائل".

وتوقفَ منتظراً تأكيدَ السيدةِ راموتسوي. فأومأتْ برأسها بعضَ الشيء.

وقال: "إنني رجلٌ عائلي، يا سيدة راموتسوي. ولديّ عائلةٌ سعيدةٌ تعيشُ جميعُها في هذا المنزلِ ما عدا ابني، وهو سيدٌ محترمٌ وطبيبُ أسنانٍ في دوربان. وقد تكونين سمعتِ عنه. فالناسُ يدعونه "بيت" هذه الأيام".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "أعلمُ بشأنه، فالناسُ يتحدثون عنه بتقديرٍ حتى هنا".

ابتسمَ السيدُ باتل بابتهاجٍ، وقال: "حسناً، يا إلهي. هذا شيءٌ يسرني أن أسمعَه منك. ولكنّ لأطفالي الآخرين مهمون جداً أيضاً بالنسبة لي. وأنا لا أفرّقُ في المعاملة بين أطفالي. فهم جميعاً متساوون".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "هذه هي الطريقةُ الأفضلُ لفعل ذلك. فإذا فضلتَ واحداً يؤدي ذلك إلى الكثيرِ من المرارة".

فقال السيدُ باتل: "يمكنك أن تقولي ذلك ثانيةً. فالأطفالُ يلاحظون عندما يعطي الأبوان قطعتين من الحلوى لأحدهم وقطعةً واحدةً للآخر. فهم يجيدون العدَّ مثلنا".

فأومأت السيدةُ راموتسوي مجدداً متسائلةً إلى أين سيقودُهما الحديث.

وقال السيد باتل: "إن ابنتيّ الكبيرتين، التوأمين، متزوجتان زواجاً ناجحاً من شابين صالحين، وهم يعيشون هنا تحت سقف هذا البيت. وهذا كلُه ممتازٌ جداً. وتبقى طفلةٌ واحدةٌ فقط، وهي ابنتي الصغيرة نانديرا. إنها في السادسة عشرة من عمرها، وترتادُ مدرسة مارو أبولا. وهي تبلي بلاءً حسناً في المدرسة، ولكن..."

وتوقفَ ناظراً إلى السيدةِ راموتسوي بعينين مضيقتين، وقال: "إنك تعلمين كيف هم المراهقون، أليس كذلك؟ وتعلمين كيف هي الأمورُ مع المراهقين في هذه الأيامِ العصرية؟"





فهزت السيدةُ راموتسوي كتفيها، وقالت: "إنهم غالباً يسببون متاعبَ خطيرةً لآبائهم. وقد رأيتُ آباءً يبكون بسبب أبنائهم المراهقين".

ورفعَ السيدُ باتل عكازَه فجأةً وضربَ الأرضَ برجلِه الاصطناعية مؤكداً على كلامها. ومما يدعو للمفاجأة، فقد كان الصوتُ أجوفَ وفارغاً.

وقال بعنف: "إن هذا هو ما يقلقني، وهذا هو ما يحدث. ولكنّ هذا لن يحدثَ معي ومع عائلتي".

فقالت السيدة راموتسوي: "ماذا؟ المراهقون؟"

فقالَ السيدُ باتل بمرارة: "الفتيان. فابنتي نانديرا تقابلُ أحد الفتيان سراً. إنها تنكرُ ذلك. ولكنني أعلمُ أن هناك فتىً. ولا يمكنني أن أسمحَ بحدوث هذا مهما كان ما يقولُه أولئك الناسُ العصريون عن البلدة. فهذا لن يكونَ مسموحاً به في هذه العائلة وفي هذا المنزل".

بينما كان السيدُ باتل يتحدثُ، انفتحَ بابُ مكتبِه الذي كان قد أغلقَ خلفهما عندما دخلا، ودخلتْ امرأةٌ إلى الغرفة. وكانت امرأةً من السكانِ المحليين، فحيت السيدة راموتسوي بلغة السيتسوانا بأدب قبل أن تقدّم لها صينيةً وُضعتْ عليها عدةُ كؤوسٍ من عصير الفاكهة. فاختارتِ السيدةُ راموتسوي كأساً من عصيرِ الجوافة وشكرت الخادمة. وأخذ السيدُ باتل عصيرَ البرتقال. ثم لوّح بعكازه بنفاد صبرٍ للخادمة لتخرجَ من الغرفة. وانتظرَها لتخرجَ قبل أن يتابعَ كلامَه قائلاً:

"لقد تحدثتُ إليها وأوضحتُ الأمرَ تماماً بالنسبة لها. فأخبرتُها أنني لا آبهُ بما يفعلُه الأطفالُ الآخرون. فهذا شأنُ آبائهم وليس شأني. ولكنني أوضحتُ لها أنها لن تتجولَ في أنحاءِ البلدةِ مع الفتيانِ أو ترى الفتيانَ بعدَ المدرسة. وهذا أمرٌ نهائي".

ونقرَ على قدمه الاصطناعية بعكازه بخفة، ثم نظرَ إلى السيدةِ راموتسوي منتظراً إجابتها.

فتحنحتِ السيدةُ راموتسوي، وقالت بهدوء: "هل تريدُ مني أن أقومَ بشيء حيال هذا؟ هل هذا هو السببُ أنك دعوتني إلى هنا هذا المساء؟"

فأومأ السيدُ باتل برأسه قائلاً: "هذا هو السببُ بالضبط. أريدُ منك أن تكتشفي من هو هذا الفتى، ثم سأتحدثُ إليه".

حدقت السيدةُ راموتسوي في السيد باتل، وتساءلت محدثةً نفسها: هل لديه أدنى فكرةٍ كيف يتصرفُ الشبابُ في هذه الأيام وخاصةً في مدرسةٍ مثل مارو أبولا حيث يتواجدُ هناك كلُ أولئك الأطفالِ الأجانبِ وحتى أطفالُ من السفارةِ الأمريكية وأماكنُ كهذه؟ وكانت قد سمعتْ عن الآباءِ الهنودِ الذين يحاولون الترتيبَ للزيجات، ولكنها لم تكن بالفعلِ قد صادفتْ سلوكاً كهذا أبداً. وقد كان السيدُ باتل يفترضُ أنها ستتجاوبُ معه وأنها سوف تتبعُ نفسَ وجهةِ نظرهِ تماماً.

فسألتْ بلطفٍ: "ألن يكونَ من الأفضلِ أن تتحدثَ إليها؟ فإذا سألتها من يكونُ الشابُ عندئذٍ قد تخبرُك".

فمدَّ السيدُ باتل يدَه إلى عكازه، ونقرَ بقدمه المعدنية.

وقال بصوت حاد: "كلا، على الإطلاق. فقد سبق وسألتُها طوال ثلاثةِ أو أربعةِ أسابيعَ ربما، وهي لا تعطيني أيةَ إجابة. إنها غبيةٌ ووقحة".

جلستِ السيدةُ راموتسوي ونظرتْ إلى الأسفلِ نحو قدميها مدركةً لنظرةِ السيد باتل المترقبة لها. وكانت قد قررتْ أن تجعل مبدأ حياتها المهنية ألا تطردَ أحداً أبداً إلا إذا طلبَ منها أن تقومَ بعملٍ إجرامي. وكان يبدو على تلك القاعدة أنها تنجح. وكانت قد وجدتْ أصلاً أن أفكارَها عن طلبِ للمساعدة فيما يخصّ الحقوق والتجاوزات الأخلاقية، قد تغيرت عندما أصبحتْ أكثرَ وعياً لكل



العواملِ المتعلقة بالموضوع. وقد يكونُ الأمرُ شبيهاً بذلك مع السيد باتل. ولكن حتى إن لم يكن كذلك، فهل كانت هناك أسبابٌ كافية لترفضه؟ ومن كانت هي لتدينَ والداً هندياً قلقاً في حين أنها كانت تعلمُ القليلَ عن كيفية إدارةِ مثل هؤلاء الناس لحياتهم؟ وقد شعرتْ بتعاطفٍ طبيعي مع الفتاة بالطبع. فيا له من قدَرٍ مريعٍ أن يكونَ لها والدٌ كهذا مصممٌ على الاحتفاظ بها في قفصٍ ذهبي. لم يكنْ والدُها هي قد وقفَ في طريقها فيما يتعلق بأي شيء. فقد كان يثقُ بها، وهي بدورها لم تكنْ قد أخفتْ أيَّ شيءٍ أبداً عنه، ربما باستثناء الحقيقةِ التي تتعلقُ بنوت.

نظرتْ عالياً. وكان السيدُ باتل يراقبُها بعينيه الداكنتين وطرفُ عكازه ينقرُ على الأرضِ بدون إدراكٍ تقريباً.

وقالت: "سأكتشفُ ذلك من أجلك. رغم أنه لا بدَّ أن أقولَ إنني لا أحبُ فعلاً القيامَ بشيءٍ مماثل. فأنا لا أستحسنُ فكرةَ مراقبة طفل".

فاعترَضَ السيدُ باتل قائلاً: "ولكن يجبُ أن يراقبَ الأطفال. وإذا لم يراقبِ الآباءُ أطفالَهم ماذا يحدث؟ أجيبي عن هذا".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "يأتي وقتٌ يجبُ فيه أن تكونَ لهم حياتُهم الخاصة. ويجبُ أن تدعَهم وشأنَهم".

فصرخَ السيدُ باتل: "هذا هراءٌ عصري. لقد ضربني والدي عندما كنتُ في الثانية والعشرين. نعم، لقد ضربني لأنني ارتكبتُ خطأً في المتجر، وكنتُ أستحقُ ذلك. لا أريدُ أياً من هذا الهراء العصري".

فوقفتِ السيدةُ راموتسوي على قدميها، وقالت: "إنني سيدةٌ عصرية. لذا، قد تكونُ لنا أفكارٌ مختلفةٌ. ولكنَّ ذلك لا علاقةَ له بالموضوع. فقد وافقتُ على فعلِ ما طلبتَه مني. والآن، كلُّ ما عليكَ أن تفعلَه هو أن تدعني أرى صورةً لهذه الفتاة لكي أعرفَ من سأراقب".

فوقف السيدُ باتل على قدميه بصعوبةٍ وعدّل ساقه المعدنية بيديه.

وقال: "لا حاجة للصورة. إذ يمكنني أن أقدّم لك الفتاة نفسها. ويمكنك أن تنظري إليها".

فرفعت السيدةُ راموتسوي يديها معترضةً، وقالت: "ولكنها عندئذ ستعرفني. ويجبُ ألا تتمكنَ من أن تُلاحظني".

قال السيد باتل: "آه، هذه فكرةٌ جيدةٌ جداً. أنتم التحريين رجالٌ أذكياءُ كثيراً".

فقالت السيدة راموتسوي: "نساء!"

نظر السيدُ باتل إليها شزراً، ولكنه لم يقلْ شيئاً. فلم يكن لديه وقتٌ للأفكار العصرية.

وفكرت السيدةُ راموتسوي وهي تغادرُ البيتَ محدثةً نفسها: لديه أربعةُ أطفالٍ وأنا ليس لدي أطفال. هذا الرجلُ ليس والداً صالحاً لأنه يحبُّ أطفالَه فوق الحدّ، فهو يريدُ امتلاكهم. ويجبُ على المرء أن يتركهم وشأنهم.

وفكرت بتلك اللحظة عندما كانت مفتقرةً إلى دعم نوت. ووضعت الجسدَ الضئيلَ لطفلهما الخديج وهو ضعيفٌ وخفيفٌ جداً داخلَ التراب. ونظرتْ عالياً إلى السماء وأرادتْ أن تقولَ شيئاً للرب. ولكنها لم تستطعْ لأن حلقها كان يسدُّه النحيب. ولم تكن الكلمات لتخرجَ منه.



بدا للسيدة راموتسوي أن تلك ربما كانت ستكونُ قضيةً سهلةً. إذ يمكنُ لمراقبة أحدهم أن تكون صعبةً لأنه يجبُ على المرء أن يكونَ مُدركاً لما يفعلُه طوال الوقت. وقد يعني هذا الانتظارَ لفترات طويلة خارجَ المنازل والمكاتب دون أن يفعل المرءُ شيئاً سوى مراقبة أحدهم ليظهر. وكانت ناديرا ستتواجدُ في المدرسة لمعظم اليوم بالطبع. فكان هذا يعني أنه كان يمكنُ للسيدة راموتسوي أن تقومَ



بأشياء أخرى إلى أن تحينَ الساعةُ الثالثةُ ويصلَ اليومُ الدراسي إلى نهايته. ففي تلك المرحلة، يكونُ عليها أن تتبعَها وترى إلى أين تذهب.

ثم خطرت الفكرةُ ببالِ السيدة راموتسوي أن اللحاقَ بأحد الأطفالِ قد يكونُ أمراً إشكالياً. إذ عندما تلحقُ بأحد يقودُ سيارةً كلُّ ما يكونُ عليها هو أن تلحقَ به بسيارة الفانِ البيضاء الصغيرة. ولكن إذا كان الشخصُ يقودُ دراجةً كما يفعلُ كثيرٌ من الأطفال في طريقهم من المدرسة إلى البيت، فسيبدو أمراً غريباً نوعاً ما أن تُشاهدَ سيارةُ الفانِ البيضاء الصغيرة وهي تزحفُ على طول الطريق. وإذا سارتْ ناديرا باتجاه البيت فيمكنُ للسيدة راموتسوي نفسها بالطبع أن تسيرَ مع الحفاظ على مسافة معقولة خلفها. وكان يمكنها حتى أن تستعيرَ أحدَ كلابِ جارها الصفراء المخيفة وتتظاهرَ أنها تأخذُه لنزهةٍ على الأقدام.

في اليوم الذي تلا مقابلتَها مع السيد باتل، ركنت السيدةُ راموتسوي سيارةَ الفان البيضاء الصغيرة في موقف سيارات المدرسة قبل أن يرنَّ الجرسُ النهائي بوقتٍ قصير. وخرجَ الأطفال بأعداد غير منتظمة. ولم يمضِ وقتٌ قصيرٌ بعد الساعة الثالثة وعشرين دقيقة حتى خرجتْ ناديرا من مدخلِ المدرسة وهي تحمل حقيبةَ المدرسة بإحدى يديها وكتاباً باليد الأخرى. وكانت بمفردها. واستطاعت السيدةُ راموتسوي أن تلقي نظرةً جيدةً عليها من سيارتها الفان. وكانت طفلةً جذابةً، وامرأةً صغيرةً بالفعل. فكانت واحدةً من تلك الفتيات في سن السادسة عشرة اللواتي يبدو عليهن أنهن تجاوزن التاسعة عشرة أو حتى العشرين.

مشتْ نزولاً في الطريق، وتوقفتْ لوقتٍ قصير لتتحدثَ إلى فتاة أخرى كانت تنتظرُ والديها تحت إحدى الأشجار ليأخذاها. فتحدثتا لبضع دقائق ثم خرجتْ ناديرا نحو بوابات المدرسة.

انتظـرتِ السيدةُ راموتسوي بضعَ لحظاتٍ ثم خرجتْ من سيارةِ الفانِ. وحالما كانت نانديرا خارجاً في الطريقِ، تبعتْها السيدةُ راموتسوي بـبطءٍ. وقد كان هناك بضعةُ أشخاصٍ في الأنحاءِ. فلم يكن هناك سببٌ لتكونَ مثيرةً للريبةِ. وكان من الممتعِ السيرُ نزولاً في الطريقِ في عصرِ أحدِ أيامِ الشتاءِ. إذ إن الطقسَ بعد شهرٍ أو نحوِ ذلك، كان سيصبحُ حاراً جداً. وعندئذٍ فقد تبدو في غيرِ مكانِها الملائمِ.

تبعتِ الفتاةَ نزولاً في الطريقِ وحولَ المنعطفِ. وكان قد أصبحَ أمراً واضحاً لها أن نانديرا لم تكن ذاهبةً مباشرةً إلى البيتِ لأن منزلَ آل باتـل كـانَ في الاتجاهِ المعاكسِ للطريقِ الذي اختارتْه. ولم تكن أيـضاً ذاهـبةً نحـو البلدةِ، مما كان يعني أنه لا بدَّ أنها كانت ذاهبةً لـتقابلَ أحـدَهم فـي أحـدِ المـنازلِ في مكانٍ ما. فشعرتِ السيدةُ راموتسوي بشعورٍ متقدٍ من الرضا. فكان كلُّ ما عليها على الأرجحِ هو أن تجدَ المنزلَ ثم سيكونُ من السهولةِ أن تحصلَ على اسمِ المالكِ واسمِ الفتى. وقد تستطيعُ ربما أن تذهبَ حتى إلى السيدِ باتل مساءَ ذلك اليومِ وتكشفَ عن هويةِ الفتى. فكان ذلك ليثيرَ إعجابَه، وليكونَ أجراً تكسبُه بسهولةٍ.

الـتفتْ نانديرا عند منعطفٍ آخر. وانتظرتِ السيدةُ راموتسوي فـي الخلفِ قليلاً قبل أن تتبعَها. فقد كان من السهلِ أن تكونَ مسرفةً فـي الثقةِ وهي تتبعُ طفلةً بريئةً. وكان عليها أن تتذكرَ نفسَها بقواعدِ المطـاردةِ. وقـد كـانَ الكتيبُ الذي اعتمدتْ عليه، وعنوانه "مبادئ التحقـيقِ الخاصِ" من تأليفِ "كلوفيس أندرسن"، قد شددَ على أنه لا ينبغـي على المرءِ أبداً أن يستعجلَ الموضوعَ الذي هو بصددِه. وقد كـتبَ السيد أندرسن يقولُ: "حافظْ على لجامٍ طويلٍ حتى لو كان ذلك يعنـي أن تفقدَ الموضوعَ بين الحينِ والآخرِ. إذ إنه يمكنك دائماً أن تلـتقطَ الخـيطَ لاحقاً. وبضعُ دقائقَ من عدمِ الاتصالِ البصري هي أفضلُ من مواجهةٍ غاضبةٍ".





اعتقدتِ السيدةُ راموتسوي أن الوقتَ قد حان حينئذٍ لتلتفَ حولَ المـنعطفِ. ففعلتْ ذلك متوقعةً أن ترى نانديرا على بُعدِ بضعِ مئاتِ الأمـتارِ نزولاً في الطريقِ. ولكنها عندما نظرتْ أسفلَ الطريقِ رأته فارغاً، فقد كان عدمُ الاتصالِ البصري كما دعاهُ كلوفيس أندرسن قد بـدأ، فاسـتدارت ونظرت في الاتجاهِ المعاكسِ. وكانت هناك سيارةٌ تخرجُ من مدخلِ السياراتِ التابعِ لأحدِ المنازلِ ولا شيءَ آخر.

ارتبكتِ السيدةُ راموتسوي. فقد كان طريقاً هادئاً. ولم يكن هناك أكثـرُ مـن ثلاثةِ منازلَ على كلِّ جانبٍ من جوانبِه في الاتجاهِ الذي كانت نانديرا تذهبُ فيه على الأقلِ. ولكنَّ تلك المنازلَ كلَّها كانت لها بـواباتٌ ومـداخلُ سياراتٍ. وبالأخذِ بعينِ الاعتبارِ أن نانديرا كانت بعيدةً عن نظرِها لدقيقةٍ أو نحوِ ذلك، فلم تكن تملكُ الوقتَ لتختفيَ في أحـدِ هذه المنازلِ. فقد كانت السيدةُ راموتسوي لتراها تمشي في أحدِ مداخلِ السياراتِ أو تدخلُ من خلالِ أحدِ الأبوابِ الأماميةِ.

وفكـرتِ السيدةُ راموتسوي قائلةً في نفسِها: إذا كانت قد دخلت إلـى أحـدِ المنازلِ إذاً لا بدَّ أن يكونَ أحدَ المنزلين الأولين لأنها لم تـتمكن بالتأكيدِ من أن تصلَ إلى المنازلِ الأبعدِ على طولِ الطريقِ. وهكـذا، ربما لا يكونُ الوضعُ صعباً كما اعتقدته قد يكون. فكان كلُّ مـا عليـها فعلُه أن تتحققَ من المنزلِ الأولِ على الجانبِ الأيمنِ من الطريقِ والمنزلِ الأولِ على الجانبِ الأيسرِ.

وقفـتْ سـاكنةً للحظةِ، ثم اتخذتْ قرارَها. فعادتْ وهي تسيرُ بأسرعَ ما تستطيعُ نحو سيارةِ الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ. وقادتها عائدةً علـى طـولِ الطـريقِ الذي لحقتْ فيه بنانديرا قبل قليلٍ. ثم سارتْ صعوداً في مدخلِ السياراتِ نحو البابِ الأمامي بعد أن ركنتِ السيارةَ أمامَ المنزلِ إلى اليمينِ.

وعندما قرعتِ البابَ بدأ أحدُ الكلابِ ينبحُ بصوتٍ مرتفعٍ داخلَ المـنزلِ. فقـرعتِ السيدةُ راموتسوي مجدداً. ومن هناك جاءَ صوتٌ

أحدهم يسكتُ الكلب بقوله: "هدوء، هدوء يا بايزون. أعلم، أعلم". ثم انفتحَ البابُ. ونظرتْ امرأةٌ خارجاً إليها. واستطاعت السيدةُ راموتسوي أن تعرفَ أنها لم تكن من بتسوانا. فقد كانت غربَ أفريقية أو غانيّة ربما إن أخذنا بالاعتبارِ لونَ البشرةِ ونوعَ الملابس. وقد كان الغانيّون الناسَ المفضلين لدى السيدة راموتسوي. فهم يتمتعون بحس فكاهةٍ رائعٍ وبمزاجٍ جيدٍ دائم حتماً.

وقالت السيدةُ راموتسوي: "مرحباً، يا سيدتي. إنني آسفةٌ لإزعاجك ولكنني أبحثُ عن فتى يُدعى سيفو".

فعبستِ المرأةُ، وقالت: "سيفو؟ لا يوجدُ من يُدعى سيفو هنا".

فهزتِ السيدةُ راموتسوي رأسها قائلةً: "إنني واثقةٌ أن هذا هو المنزلُ المقصود. إنني إحدى المعلماتِ في المدرسةِ الثانوية. وأنا بحاجةٍ لأسلمَ رسالةً لأحد فتيانِ صفِ المدرسةِ الأربعة. وقد اعتقدتُ أن هذا هو منزلُه".



فابتسمتِ المرأةُ، وقالت: "لي ابنتان ولكن ليس لي ابنٌ. هل يمكنك أن تعثري لي على ابن؟ هل تعتقدين ذلك؟"

فقالتِ السيدةُ راموتسوي وهي تبدو منهكةً: "هل هو المنزلُ الذي في ذلك الطريقِ إذاً؟"

فهزتِ المرأةُ رأسَها، وقالت: "إنها تلك العائلةُ الأوغندية. وهم لديهم صبيٌ ولكنه في السادسة أو السابعة فقط، كما أعتقد".

اعتذرتِ السيدةُ راموتسوي، وسارتْ عائدةً نزولاً في الطريق. فقد فقدتْ نانديرا في عصرِ اليوم الأول. وتساءلتْ فيما إذا كانت الفتاةُ قد تعمدتْ أن تتخلصَ منها. هل من الممكنِ أن تكونَ قد عرفتْ أنها مُلاحَقة؟ لقد بدا ذلك غير واردٍ على الإطلاق. فكان ذلك يعني أن الأمرَ لم يكن أكثرَ من مجردِ سوءِ الحظِ أنها قد فقدتْها. وكانت في اليوم التالي ستكونُ أكثرَ حذراً. وكانت ستتجاهلُ كلوفيس أندرسن لمرةٍ واحدة وتستعجلُ موضوعَها أكثرَ بقليل.



في الساعةِ الثامنةِ من تلك الليلةِ، تلقتْ مكالمةً هاتفيةً من السيد باتل.

فسأل: "هل لديك أيةُ معلوماتٍ لتخبريني بها؟"

فأخبرته السيدةُ راموتسوي أنها لم تكن قادرةً لسوءِ الحظ أن تكتشفَ أين ذهبتْ نانديرا بعد المدرسةِ ولكنها كانت تأملُ أن تكونَ أكثرَ توفيقاً في اليوم التالي.

فقال السيدُ باتل: "هذا ليس جيداً جداً. حسناً، على الأقل لديَّ شيءٌ لأخبرك إياه. لقد جاءتْ إلى البيتِ بعد ثلاث ساعاتٍ من انتهاءِ المدرسة. وأخبرتني أنها كانت وحسب في بيتِ إحدى صديقاتها. فسألتُها أيةُ صديقةٍ هي؟ فأجابتْ وحسب بأنني لا أعرفها. ثم عثرتْ زوجتي على رسالةٍ على الطاولةِ لا بدَّ أن نانديرا قد أوقعتْها. وكانت الرسالةُ تقول: "أراكِ غداً. جاك" والآن إنني أسألك، من يكونُ جاك هذا. هل هذا اسمُ فتاة؟"

فقالت: "كلا، يبدو اسمَ صبيٍ".

فقال السيدُ باتل: "إذاً، هذا هو الفتى، كما أعتقد. وهذا هو من يجبُ علينا أن نجده. جاك ماذا؟ وأين يعيش؟ وهذا النوعُ من الأشياء. ويجب أن تخبريني بكلِ ذلك".

حضّرتِ السيدةُ راموتسوي لنفسها فنجاناً من شاي الأعشاب. وذهبتْ للفراشِ مبكرة. وقد كان يومُها غيرَ مرضٍ من أكثرِ من ناحية. وبالكاد وضعت مكالمةُ السيد باتل الشامتة ختمها عليه. لذا، استلقتْ في السرير وشايُ الأعشابِ على الطاولةِ بجانبه. وقرأتِ الصحيفةَ قبل أن يبدأ جفناها بالانسدال. ثم استغرقتْ في النوم.

عصرَ اليوم التالي، وصلتْ متأخرةً إلى موقفِ سياراتِ المدرسة. وكانت قد بدأت تتساءلُ فيما إذا كانت قد فقدتْ نانديرا مجدداً عندما رأتها تخرجُ من المدرسةِ برفقةِ فتاةٍ أخرى. فراقبتِ السيدةُ راموتسوي بينما سارت الاثنتان نازلتين في الطريقِ ووقفتا

عند بوابةِ المدرسة. وكان يبدو عليهما أنهما مستغرقتان في الحديثِ مع بعضهما البعض بالطريقة الخاصة التي يستخدمُها المراهقون بالحديثِ مع أصدقائهم. وكانت السيدةُ راموتسوي واثقةً من أنها لو تستطيعُ فقط أن تسمعَ ما كان يقالُ عندئذٍ كانت ستعرفُ الأجوبةَ عن أكثر من سؤال. فالفتيات يتحدثن عن أصدقائهن بطريقةٍ سهلةٍ وسريّة. وكانت واثقةً أن ذلك كان موضوعَ الحديثِ بين نانديرا وصديقتها.

وفجأةً، توقفتْ سيارةٌ زرقاءُ قبالةَ الفتاتين. فتصلبت السيدةُ راموتسوي، وراقبتِ السائقَ وهو ينحني فوق مقعدِ الراكبِ ويفتحُ البابَ الأمامي. فركبتْ نانديرا بجانبه وركبت صديقتها في الخلف. فشغلت السيدةُ راموتسوي محركَ سيارةِ الفانِ البيضاء الصغيرة، وخرجتْ من موقفِ سياراتِ المدرسة حالما ابتعدت السيارةُ الزرقاءُ عن المدرسة. ثم تبعتْها محافظةً على مسافة آمنة، ولكنها كانت مستعدةً لتسدَّ الفجوةَ بين السيارتين إن كان هناك أيُّ خطرٍ لن تفقدهم. فلم تكنْ لتعيدَ خطأ اليوم السابقِ وترى نانديرا تختفي في الهواء.

كانت السيارةُ الزرقاءُ تتمهّلُ في سيرِها فلم يكنْ على السيدة راموتسوي أن تجهدَ نفسَها لتلحقَ بها. وقد قادوا السيارةَ مروراً بفندقِ "صن" وتوجهوا نحو طريقِ "ستاديوم". ومن هناك التفوا نحو البلدةِ وقادوا مروراً بالمستشفى والكاتدرائية الأنجليكانية نحو السوق. ففكرتِ السيدةُ راموتسوي في نفسها: إنهم ذاهبون وحسب للتسوق في المتاجر. أم أنهم؟ وكانت قد شاهدتْ المراهقين يقابلون بعضهم البعض بعد المدرسة في أماكنَ مثلَ "مركز بتسوانا للكتب". وكانوا يسمون ذلك: التسكع في الأنحاء، كما اعتقدت. فكانوا يقفون في الأنحاء ويثرثرون ويتفرّجون على الكتب ويقومون بأيِّ شيءٍ عدا شرائها. وربما تكونُ نانديرا ذاهبةً مع جاك للتسكع في الأنحاء.





تقدمت السيارةُ الزرقاءُ ببطءٍ إلى موقفِ سيارات قربَ فندق بريزيدنت. فركنت السيدةُ راموتسوي سيارتها على بعد بضع سيارات. وجعلتْ تراقبُ بينما خرجت الفتاتان من السيارة ترافقهما امرأةٌ أكبرُ سناً، وهي والدةُ الفتاةِ الأخرى كما ظنّت. وقالت شيئاً لابنتها التي أومأتْ برأسها ثم ابتعدتْ عن الفتاتين ومشتْ باتجاه متاجرِ الخردوات.

مشتْ نانديرا وصديقتها مروراً بدرجات فندق بريزيدنت ثم توجهتا ببطءٍ صاعدتين نحو مكتبِ البريد. فتبعتْهما السيدةُ راموتسوي بلا مبالاة. وتوقفتْ لتنظرَ إلى رف ملابسَ أفريقيةٍ مطبّعة كانت تعرضُها إحدى النساء في الساحة.

قالت المرأة: "اشتري واحدةً من هذه، يا سيدتي. إنها بلوزاتٌ جيدةٌ جداً. وألوانُها لا تنحلُّ أبداً. انظري إلى هذه البلوزة التي أرتديها، لقد غُسلتْ عشر أو عشرين مرةً ولم تنحلَّ ألوانها".

فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى بلوزةِ المرأة. وبالتأكيد لم تكن الألوانُ قد انحلت. وألقتْ نظرةً خاطفةً من زاويةِ عينها إلى الفتاتين. وكانتا تنظرانِ إلى واجهةِ محلِّ الأحذية وتأخذانِ وقتهما في الأنحاء حيثما ذهبتا.

قالت السيدةُ راموتسوي: "ليس قياسي متوفراً لديك، فأنا أحتاجُ إلى بلوزةٍ كبيرةٍ جداً".

فتفقدت البائعةُ رفَّها، ونظرتْ إلى السيدةِ راموتسوي مجدداً.

وقالت: "إنك محقة. فأنت كبيرةُ الحجمِ فوق الحد بحيثُ لا تناسبك هذه البلوزات".

فابتسمت السيدةُ راموتسوي قائلة: "ولكنها بلوزاتٌ جميلةٌ، يا سيدتي. وأتمنى أن تبيعيها لامرأةٍ لطيفةٍ أصغر حجماً".

تابعتْ سيرَها، وكانت الفتاتانِ قد انتهتا من محلِّ الأحذية وكانتا تتمشيان صاعدتين نحو مركزِ البريد. وكانت السيدةُ راموتسوي محقةً. فقد كانتا تخططان للتسكع في الأنحاء.

كان هناك أناسٌ قلائلُ في "مركزِ بتسوانا للكتب". فكان ثلاثةُ أو أربعةُ رجالٍ يتصفحون المجلاتِ في قسمِ المنشوراتِ الدورية. وكان شـخصٌ أو اثـنان ينظرانِ إلى الكتبِ. وكان البائعون مستندين على الطاولاتِ وهم يثرثرونَ بكسل. وحتى الذبابُ كان يبدو كسولاً.

ولاحظـت السيدةُ راموتسوي أن الفتاتين كانتا في نهايةِ المتجر تنظـران إلى رفِّ الكتبِ المكتوبةِ بلغةِ السيتسوانا. ماذا كانتا تفعلان هـناك؟ من المحتملِ أن نانديرا كانت تتعلمُ السيتسوانا في المدرسة، ولكـنه بالكاد أمرٌ واردٌ أن تشتري أياً من كتبِ المدرسة أو تفسيراتِ الإنجيلِ التي تهيمنُ على ذلك الجزء. كلا، لا بدَّ أنهما كانتا تنتظرانِ أحداً ما.

مشت السيدةُ راموتسوي عن عمدٍ إلى القسمِ الأفريقي، ومدتْ يدها إلى أحدِ الكتبِ. وكان عنوانه "أفاعي أفريقيا الجنوبية". وكان مزوَّداً بصورٍ جيدة. فحدقت إلى صورةِ أفعى بنيةٍ قصيرةٍ وسألتْ نفـسَها إن كانت قد رأتْ واحدةً منها. إذ كان ابنُ عمها قد عضته أفعى كتلك منذ سنواتٍ عندما كانوا أطفالاً ولم تتسببْ بأذى. أكانت تلـك هي الأفعى؟ ونظرتْ إلى النصِّ تحتَ الصورة، وقرأت. لقد كان من الممكن لها أن تكونَ نفسَ الأفعى لأنها وُصفت بأنها غيرُ سـامةٍ ولا عدوانـيةٍ على الإطلاق. ولكنها كانت قد هاجمتْ ابنَ عمهـا. أو أن ابـنَ عمها هو من كان قد هاجمها؟ إذ كان الصبيةُ يهاجمون الأفاعي. وكانوا يرمون الحجارةَ عليها وهم يبدون غيرَ قـادرين على تركها وشأنها. ولكنها لم تكن واثقةً فيما إذا كان ابن عمهـا "بوتوكي" قد فعلَ ذلك. فقد حدثَ ذلك منذ وقتٍ طويل، ولم تستطعْ بالفعل أن تتذكرَ.

ونظرتْ نحو الفتاتين. وكانتا واقفتين هناك تتحدثان إلى بعضهما بعضاً مجدداً، وكانت إحداهما تضحك. ففكرت السيدةُ راموتسوي في نفسها بتجهُّم: إنها قصةٌ ما عن الفتيان. حسناً، فلتضحكان. إذ سرعان



مـا سـتدركان لاحقاً أن موضوعَ الرجالِ برمته ليس طريفاً كثيراً. فخلالَ بضعِ سنوات ستكونُ هناك دموعٌ بدلاً من الضحك.

وعادت لقراءتها في كتابِ "أفاعي أفريقيا الجنوبية". والآن، هذه الأفعـى سـيئة. انظرْ إلى رأسها بتلك العينين الشريرتين. فارتجفتِ الـسيدةُ راموتسوي، وقرأت: "الصورةُ أعلاه هي لذكرٍ بالغٍ من أفعى المامـبا الـسوداء طوله 1.87 متراً. وكما يظهرُ في خريطةِ التوزعِ الجغرافـي، تـوجدُ هذه الأفعى في أرجاءِ المنطقةِ رغم أنها تفضّلُ المـروجَ المكـشوفةَ بـشكلٍ محـدد. وهي تختلفُ عن أفعى المامبا الخـضراء فـي كـلٍ من توزعها الجغرافي وموطنها ودرجةِ سمّيةِ سـمها. فهذه الأفعى هي إحدى أخطرِ الأفاعي الموجودةِ في أفريقيا. وتتجاوزها في المنزلةِ في هذا المجالِ أفعى الغابون فقط. وهي أفعى تتواجدُ في مناطقَ محددةٍ من المقاطعاتِ الشرقيةِ من زيمبابوي.

إن تقاريـرَ هجمـاتِ المامـبا الـسوداء هي غالباً مبالغٌ فيها. والقصصُ عن الأفعى التي تهاجمُ رجالاً على جيادٍ تعدو فتدركهم هي تقاريرُ مشكوكٌ بـصحتها بالتأكيد. إذ يمكنُ للمامبا أن تتمكنَ من الحـركةِ بـسرعةٍ معقولةٍ لمسافةٍ قصيرةٍ جداً ولكنها لا تستطيعُ أن تـنافسَ حصاناً. وليست القصصُ عن الموتِ الفوري صحيحةً فعلياً بالـضرورة رغم أن تأثيرَ السم يمكنُ له أن يصبحَ أسرعَ إذا فزعتِ الـضحيةُ، الأمرُ الذي غالباً ما تفعلُه بالطبع إذا أدركتْ أن المامبا قد عضتها.

وفي إحدى الحالاتِ المسجلةِ بشكلٍ يعتمدُ عليه تحمَّلَ رجلٌ في السادسة والعشرين من العمرِ في حالةٍ جسديةٍ جيدةٍ عضةَ المامبا في كاحلـه الأيمن بعد أن داسَ بشكلٍ غيرِ متعمدٍ على الأفعى في القفر. ولـم يكـنْ هـناك مصلٌ متوفرٌ مباشرة. ولكن من الممكن أن يكونَ الضحيةُ قد نجحَ في تصريفِ بعضِ السم عندما تسببَ بجروحٍ عميقةٍ في مكانِ العضة (وهو بالطبع ليس عملاً يعتبرُ مساعداً اليوم). ولكنه

بعد ذلك مشى حوالى أربعة أميالٍ عبرَ القفرِ بحثاً عن المساعدة، فأُدخل إلى المستشفى في غضون ساعتين. وأُعطي مضاداً للسم، ونجا الضحيةُ منها. ولو أنها كانت عضةَ أفعى نافخة لحصل ضررٌ عصبي كبير في غضون ذلك الوقت بالطبع، وربما كان ليفقدَ ساقه...".

توقفتِ السيدةُ راموتسوي عن القراءة. وفكرت: لقد كان ليبقى بساقٍ واحدةٍ. وكان ليحتاجَ إلى ساقٍ اصطناعية كالسيد باتل... والد تانديرا... ونظرت إلى الأعلى بحدة. فقد استغرقها كتابُ الأفاعي بحيث إنها لم تكن تنتبه للفتاتين. والآن، أين هما؟ لقد رحلتا.

دفعتْ كتابَ "أفاعي أفريقيا الجنوبية" معيدةً إياه إلى الرف، وأسرعتْ خارجةً إلى الساحة. وكان هناك أناسٌ كثر في الأنحاء عندئذٍ لأن الكثيرَ من الناسِ يقومون بالتسوقِ في وقتٍ متأخرٍ من العصر تجنباً للحرارة. فنظرتْ حولها. وكان هناك بعضُ المراهقين على بعدِ مسافةٍ قصيرة، ولكنهم كانوا صبيةً. كلا، بل كانت هناك فتاة. ولكن هل كانت هي تانديرا؟ كلا. فنظرتْ في الاتجاه الآخر. وكان هناك رجلٌ يركنُ دراجته تحت إحدى الأشجار. ولاحظتْ أنَّ الدراجةَ كان لها هوائي سيارة. لماذا؟

انطلقت باتجاه فندق بريزيدنت. إذ ربما تكونُ الفتاتان قد عادتا إلى السيارةِ لتنضما للأم. وفي حالةٍ كهذه، يكونُ كلُّ شيءٍ على ما يرام. ولكنها عندما وصلتْ إلى موقف السيارات شاهدتِ السيارةَ الزرقاء تخرجُ من الجهةِ الأخرى وفيها الأمُّ فقط. لذا، فالفتاتان كانتا ما تزالان في مكانٍ ما في أنحاء الساحة.

عادتِ السيدةُ راموتسوي إلى درجاتِ فندق بريزيدنت ونظرت خارجاً إلى الساحة. وحركتْ نظرَها بشكلٍ منتظم، كما نصحَ كلوفيس أندرسن، ناظرةً بتفحصٍ إلى كلِّ مجموعةٍ من المتسوقين خارجَ كلِّ واجهةِ محل. ولم يكن هناك أي دليلٍ على



وجودِ الفتاتين. ولاحظتِ المرأةَ التي كان لديها رفُّ البلوزات. وقد كانت معها علبةٌ ما في يدها. وكانت تستخرجُ ما بدا مثل دودة شجرِ الموباني من داخلها.

وسألتِ السيدةُ راموتسوي: "أهذا دود شجرِ الموباني؟"

فاستدارتِ المرأةُ ونظرتْ إليها.

وقالت: "نعم". وعرضتْ الكيسَ على السيدةِ راموتسوي فأخذتْ واحدةً من دود الأشجارِ المجفف، ودستها في فمها. وكانت شهيةً، فلم تستطعْ ببساطةٍ أن تقاومها.

وقالت، وهي تبتلعُ الدودة: "لا بدَّ أنك ترين كلَّ شيءٍ يحدثُ وأنت واقفةٌ هنا هكذا، يا سيدتي".

فضحكت المرأةُ وقالت: "نعم، إنني أرى الجميع".

فسألت السيدةُ راموتسوي: "هل شاهدت فتاتين تخرجان من مركز الكتب إحداهما هندية والأخرى أفريقية، والفتاةُ الهندية بهذا الطول تقريبا؟"

التقطتِ البائعةُ دودةً أخرى من كيسها، ودستها داخل فمها.

وقالت: "رأيتُهما. وقد ذهبتا إلى السينما. ثم ذهبتا إلى مكانٍ آخر. ولم ألاحظْ إلى أين".

فابتسمتِ السيدةُ راموتسوي قائلةً: "ينبغي أن تكوني تحرية".

فقالتِ المرأةُ ببساطة: "مثلك؟"

وفاجئ كلامُها السيدةَ راموتسوي. فقد كانت مشهورةً تماماً ولكنها لم تتوقعْ بالضرورةِ أن تعرفها إحدى البائعاتِ في الشارع. ومدتْ يدَها إلى حقيبتها، واستخرجتْ ورقةً بعشرةِ بولا ودستها في يد المرأة.

وقالت: "شكراً لك. وهذه أجرةٌ مني. وآمل أن تتمكني من مساعدتي مجدداً في وقتٍ ما".

فبدتِ المرأةُ مبتهجةً، وقالت: "يمكنني أن أخبرك بكلِّ شيء. فأنا عيّنا هذا المكان. ففي هذا الصباح، على سبيل المثال، هل تعرفين من كان يتحدثُ مع من هناك تماماً؟ ستفاجئين إذا أخبرتك".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "في وقتٍ آخر. فسأبقى على اتصالٍ معك".

لم يكن هناك سببٌ لمحاولة العثور على المكانِ الذي ذهبتْ إليه نانديرا عندئذٍ. ولكن كانت هناك أسبابٌ كثيرةٌ تتطلبُ من السيدة راموتسوي أن تتابعَ المعلوماتِ التي سبق وكانت لديها. لذا، ذهبت إلى السينما، واستعلمتْ عن وقتِ عرضِ المساء الذي استنتجتْ منه ما الذي كانت الفتاتان تفعلانه. ثم عادت إلى سيارة الفان البيضاء الصغيرة، وقادتها نحو البيتِ لتحضّرَ نفسها لعشاءٍ مبكرٍ وخروجٍ إلى السينما. وكانت قد رأتْ اسم الفيلم. فلم تكنْ ترغبُ بحضوره. ولكن سنةً على الأقل قد مضتْ منذ ذهبتْ إلى السينما. فوجدتْ نفسها تتطلعُ للذهاب.

اتصلَ السيدُ باتل بها قبل أن تغادر.

وقال بتذمر: "لقد قالت ابنتي إنها ذاهبةٌ لتقابلَ إحدى الصديقات بخصوصِ أحد الفروضِ المنزلية. إنها تكذبُ عليَّ مجدداً".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "نعم، يؤسفني أن أخبرك أنها تكذبُ. ولكنني أعلمُ إلى أين هي ذاهبةٌ. وسأكونُ هناك. فلا تقلق".

فصرخَ السيدُ باتل قائلاً: "أهي ذاهبةٌ لترى جاك؟ أهي تقابلُ ذلك الفتى؟".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "على الأرجح. ولكن ليس هناك سببٌ لتزعجَ نفسك. وسوف أقدّمُ لك تقريراً غداً".

فقال السيد باتل: "ليكن في وقتٍ مبكرٍ من فضلك. إنني دائماً مستيقظٌ عند الساعةِ السادسة. فأنا رجلٌ نشيط".





كان يوجدُ أناسٌ قلائلُ جداً في السينما عندما وصلتِ السيدةُ راموتسوي. فاختارتْ مقعداً في الصف ما قبل الأخير في الخلف. ومنحها هذا رؤيةً جيدةً للبابِ الذي كان سيتوجبُ على الجميع أن يعبروا منه إلى المدرج. وهكذا، حتى لو دخلتْ نانديرا وجاك بعد أن تكونَ الأضواءُ قد انطفأتْ سيبقى من الممكنِ للسيدة راموتسوي أن تميزهما.

ميزتِ السيدةُ راموتسوي بضعة زبائن. فقد وصلَ جزارُها بعدَ وقتٍ قصيرٍ من وصولها إلى المدرج فلوّح وزوجتُه لها بود. ثم وصلَ أحدُ المعلمين من المدرسةِ والمرأةُ التي تديرُ صفَ رياضة الأيروبك في فندق بريزيدنت. وأخيراً وصلَ الأسقفُ الكاثوليكي بنفسه وجعلَ يأكلُ الفشارَ بصوتٍ مرتفعٍ في الصف الأول.

ووصلتْ نانديرا قبل خمس دقائق. وكان الجزءُ الأولُ من البرنامجِ على وشك أن يبدأ. وقد كانت بمفردها فوقفتْ للحظة في البابِ وهي تنظرُ حولها. وشعرتِ السيدةُ راموتسوي بعينيها تستقران عليها. فنظرتْ إلى الأسفل بسرعة وكأنها تفتش على الأرض عن شيءٍ ما. وبعدَ لحظة أو اثنتين نظرتْ إلى الأعلى مجدداً، ورأتْ أن الفتاةَ كانت لا تزالُ تنظرُ إليها. فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى الأرضِ مجدداً ورأتْ تذكرةً مرميةً فمدتْ يدها إليها والتقطتها.

سارتْ نانديرا عن عمدٍ عبرَ المُدرّج إلى صفِ السيدة راموتسوي وجلستْ على المقعدِ بجانبها.

وقالت بأدب: "مساء الخير، هل هذا المقعدُ محجوز؟".

فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى الأعلى وكأنها متفاجئة، وقالت: "كلا، لا يوجدُ أحدٌ هنا. إنه شاغرٌ تماماً".

فجلستْ نانديرا، وقالت بابتهاج: "إنني أتطلعُ لهذا الفيلم، فأنا أودُّ مشاهدته منذ وقتٍ طويل".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "هذا جيد. فهو أمرٌ لطيفٌ أن تشاهدي فيلماً كنتِ دائماً تودين مشاهدته".

وصمتتا. وكانت الفتاةُ تنظرُ إليها فشعرت السيدةُ راموتسوي بشيءٍ من عدمِ الراحة. ماذا كان من الممكنِ لكلوفيس أندرسن أن يفعلَ في ظروفٍ كهذه؟ لقد كانت واثقةً أنه قال شيئاً عن هذا النوع من المواقف. ولكنها لم تستطعْ أن تتذكره تماماً. فهذا هو الموقف حيث يضغطُ موضوعُ البحثِ على المرءِ وليس العكس.

وقالتْ نانديرا: "لقد رأيتُك عصرَ هذا اليوم في مدرسةِ مارو أبولا".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "آه، نعم. لقد كنتُ أنتظرُ أحدَهم".

وتابعتْ نانديرا قائلةً: "ثم رأيتُك في مركزِ الكتب. وكنتِ تنظرين إلى أحد الكتب".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "هذا صحيح. فقد كنتُ أفكرُ بشراء أحد الكتب".

وقالت نانديرا بهدوء: "ثم سألت السيدة بابايتس عني. إنها تلك البائعة. وقد أخبرتني أنك كنت تسألين عني".

فدوّنت السيدةُ راموتسوي ملاحظةً ذهنيةً أن تحذرَ من السيدة بابايتس في المستقبل.

وسألتْ نانديرا وهي تستديرُ في كرسيها لتحدقَ في السيدة راموتسوي: "إذاً، لماذا تتبعينني؟"

ففكرتِ السيدةُ راموتسوي بسرعة. فلم يكن هناك سببٌ لتتنكرَ لذلك. وقد كان يمكنُها أيضاً أن تحاولَ استغلالَ الموقف الصعب. لذا، أخبرتْ نانديرا عن قلقِ والدها وكيفَ فاتحها في الموضوع.

وقالت: "إنه يريدُ أن يكتشفَ فيما إذا كنتِ تقابلين الفتيان. فهو قلقٌ بشأنِ هذا".





فبدتْ نانديرا مسرورةً، وقالت: "حسناً، إذا كان قلقاً فعليه أن يلومَ نفسَه فقط إذا كنتُ أستمرُ بالخروجِ مع الفتيان".

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "وهل تخرجين مع الكثيرِ من الفتيان؟"

فترددتْ نانديرا، ثم قالت بهدوء: "كلا، ليس فعلاً".

وسألتِ السيدةُ راموتسوي: "ولكن ماذا عن جاك، من هو؟"

فبدت نانديرا للحظةِ وكأنها لم تكن ستجيب. فقد كانت تلك امرأةً راشدةً أخرى تحاولُ أن تتطفلَ على حياتها الخاصة. ورغم ذلك، كان هناك شيءٌ يتعلقُ بالسيدةِ راموتسوي يدعوها للثقةِ بها. فربما تكونُ مفيدةً. وربما...

وقالت بهدوء: "إنَّ جاك غيرُ موجود، فقد اختلقتهُ بنفسي".

"لماذا؟"

فهزتْ نانديرا كتفيها، وقالت: "أريدُ من عائلتي أن تعتقدَ أنَّ لي صديقاً. وأريدُهم أن يظنوا أنَّ هناك شخصاً ما اخترتُه بنفسي، وليس شخصاً اعتقدَ أحدٌ ما أنه مناسبٌ لي". وتوقفتْ ثم قالت: "هل تدركين ما أقوله؟"

ففكرتِ السيدةُ راموتسوي للحظة. وشعرتْ بالأسفِ لهذه الفتاةِ المسكينةِ التي يفرطُ أهلُها في حمايتها. وتخيلتْ كيف تريدُ فتاةٌ في ظروفٍ كهذه أن تتظاهرَ أن لديها صديقاً.

وقالت وهي تضعُ يدَها على ذراعِ نانديرا: "إنني أفهمُك".

وسألتْ نانديرا وهي تعبثُ بحزامِ ساعتها: "هل ستخبرينه؟"

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "حسناً، هل أمامي خيارٌ آخر؟ إذ إنه بالكادِ يمكنني أن أقولَ إنني قد رأيتُك مع فتى يُدعى جاك في حين أنه ليس موجوداً فعلاً".

فتنهدتْ نانديرا، وقالت: "حسناً، أعتقدُ أنني كنتُ السببَ في ذلك. فقد كانت تلك لعبةً سخيفةً". وتوقفتْ ثم قالت: "ولكن هل تعتقدين أنه

حالما يدركُ عدمَ وجودِ أيِّ شيءٍ سيدعُني أحظى بالقليلِ من الحرية؟ هل تعتقدين أنه سيدعني أعيشُ حياتي قليلاً دون أن أخبرَه كيف أقضي كلَّ دقيقةٍ من اليوم؟"

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "يمكنني أن أحاول إقناعَه. لستُ أدري فيما إذا كان سيصغي إليّ، ولكنني سأحاول".

وقالتْ نانديرا: "من فضلك حاولي أن تفعلي هذا".

شاهدتا الفيلمَ معاً واستمتعتا به كلتاهما. ثم أوصلتِ السيدةُ راموتسوي نانديرا في سيارة الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ بصمتٍ وديٍّ، وأنزلتْها عند البوابة في الجدارِ الأبيضِ العالي. ووقفتِ الفتاةُ مراقبةً سيارةَ الفان وهي تبتعد. ثم استدارتْ وضغطتِ الجرس.

"منزل باتل هنا؟ ماذا تريد؟"

فتمتمتْ بصوتٍ خفيضٍ قائلةً: "الحرية". ثم قالتْ بصوتٍ أكثرَ ارتفاعاً: "هذه أنا يا والدي. لقد عدتُ للبيت الآن".

اتصلتِ السيدةُ راموتسوي بالسيدِ باتل في وقتٍ مبكرٍ من صباحِ اليومِ التالي كما كانت قد وعدتْه أنها ستفعل. وشرحتْ له أنه سيكونُ من الأفضلِ أن تتحدثَ إليه في البيتِ بدلاً من شرحِ المسائلِ على الهاتف.

فقال، وكان صوتُه يرتفع: "لديك أخبارٌ سيئةٌ لي. سوف تخبريني شيئاً سيئاً. يا إلهي. ما هو؟"

فطمأنتْه السيدةُ راموتسوي أن الأخبارَ لم تكن سيئةً. ورغم ذلك فقد وجدتِ القلقَ بادياً عليه عندما دخلتْ مكتبَه بعد نصف ساعة.

وقال: "إنني قلقٌ جداً. إنك لن تفهمي قلقَ الأب. إنه مختلفٌ عن قلقِ الأم. فالأبُ يشعرُ بنوعٍ خاصٍ من القلق".

فابتسمتِ السيدةُ راموتسوي ابتسامةً مطمئنةً، وقالت: "الخبرُ جيد. فليس هناك صديق".





فقال: "وماذا عن هذه الرسالة؟ وماذا عن الشخصِ الذي يُدعى جاك؟ هل هذا كلُّه خيال؟"

فقالتِ السيدةُ راموتسوي ببساطة: "نعم، إنه كذلك".

فبدا السيدُ باتل مرتبكاً. ورفعَ عكّازَه ونقرَ بقدمِه الاصطناعية عدةَ مرات. ثم فتحَ فمَه ليتكلّم، ولكنه لم يقلْ شيئاً.

وقالت السيدةُ راموتسوي: "لقد كانت نانديرا تخترعُ حياةً اجتماعيةً خاصةً لنفسها. وقد اخترعتْ لنفسها صديقاً فقط لتجلبَ بعضَ الحرية لحياتها. والشيءُ الأفضلُ الذي عليك أن تقومَ بفعله هو أن تتجاهلَ الأمرَ وأن تمنحَها بعضَ المزيدِ من الوقتِ لتُسيِّرَ حياتَها الخاصة. لا تستمرَّ بأن تطلبَ منها أن تقدمَ كشفَ حسابٍ بوقتها. ليس هناك صديقٌ وقد لا يكون هناك واحدٌ لبعضِ الوقت".

وضعَ السيدُ باتل عكّازَه على الأرض. ثم أغلقَ عينيه وهو يبدو مستغرقاً بالتفكير.

وقال بعد برهة: "ولماذا ينبغي عليَّ أن أستسلمَ لهذه الأفكارِ العصرية؟"

وكانت السيدةُ راموتسوي مستعدةً بإجابتها، فقالت: "لأنك إن لم تفعلْ ذلك فعندئذٍ قد يتحولُ الصديقُ الخيالي إلى صديقٍ حقيقي. هذا هو السبب".

راقبتْه السيدةُ راموتسوي بينما كان يتقبلُ نصيحتَها على مضض. ثم وقفَ بدون إنذار، وترنحَ لبرهةٍ قبل أن يستعيدَ توازنَه، والتفتَ ليواجهها.

وقال: "إنك امرأةٌ ذكيةٌ جداً. وسوف آخذُ بنصيحتك. وسأتركُها لتتقدمَ في حياتِها. وعندئذ، أنا واثقٌ من أنها في غضون عامين أو ثلاثة ستتجاوبُ معنا وتدعني أرتب... أساعدُها في العثور على رجلٍ مناسبٍ لتتزوّجه".

فقالت السيدةُ راموتسوي وهي تتنفسُ الصعداء: "من الممكن لذلك أن يحدثَ بسهولة".

وقال السيدُ باتل بحرارة: "نعم، وسوف أشكرك على كلِّ ذلك".

كانت السيدةُ راموتسوي تفكرُ غالباً بنانديرا عندما كانت تعودُ مارةً بمجمعِ أبنيةِ باتل ذي الجدارِ الأبيضِ العالي. وقد كانت تتوقعُ أن تراها من وقتٍ لآخر لأنها كانت عندئذٍ تعرفُ كيف كان شكلُها. ولكنها لم تفعلْ ذلك أبداً. وبعد مرورِ سنةٍ على الأقل عندما كانت تتناولُ قهوتَها الصباحيةَ في شرفةِ فندقِ بريزيدنت شعرت بأحدهم يربتُ على كتفها. فاستدارتْ في مقعدها. وكانت تلك نانديرا مع أحدِ الشبان. فاعتقدتْ أنه كان يبلغ من العمرِ حوالى الثامنةَ عشرة. وكان تعبيرُ وجهه ساراً وسمحاً.

وقالت نانديرا بطريقةٍ ودية: "أنت السيدة راموتسوي، لقد عرفتُك".

فصافحت السيدةُ راموتسوي يدَ نانديرا. وابتسمَ الشابُ لها.

وقالت نانديرا: "هذا صديقي. ولا أعتقدُ أنك قابلته من قبل".

فخطى الشابُ نحو الأمام، ومدَّ يده قائلاً: "اسمي جاك".



## الفصل العاشر

# السيدة راموتسوي تفكرُ في الأرضِ وهي تقودُ سيارتَها الفان البيضاء الصغيرة إلى فرانسيس تاون

قادت السيدةُ راموتسوي سيارتَها الفان البيضاءَ الصغيرةَ قبل الفجرِ على طول طرق غابورون النائمة مارةً بمصانعِ المشروبِ المفضل كالاهاري وبمحطة أبحاث الأراضي الجافة وخارجاً على الطريقِ المؤدي إلى الشمال. فوثبَ أحدُ الرجالِ خارجاً من بين الشجيرات على جانبِ الطريق، وحاولَ أن يشيرَ إليها لتقف. ولكنها لم تكنْ راغبةً بالوقوفِ في الظلام لأن المرءَ لا يعرفُ أبداً من قد يكونُ يريدُ توصيلةً في ساعة كتلك. فاختفى في الظلام مجدداً. ورأته في مرآتها ينكمشُ بخيبةِ أمل. وعندئذٍ، أشرقت الشمسُ، بينما كانت تمرُّ بطريقِ موتشودي الجانبية، وارتفعتْ فوقَ السهولِ الواسعة التي كانت تمتدُّ بعيداً نحو طريق ليمبوبو. وفجأةً، كانت الشمسُ تبتسمُ فوق أفريقيا ككرةٍ ذهبيةٍ حمراءَ ترتفعُ ببطءٍ بدون جهدٍ متحررةً من الأفقِ لتبددَ الخيوطُ الأخيرةُ من ضبابِ الصباح.

كانت أشجار الشوكِ قائمةً بوضوحٍ في ضوءِ الصباحِ الباهر. وكانت هناك طيورٌ عليها وأخرى تطيرُ منها كطيورِ الهدهدِ وطيورٍ صغيرةٍ أخرى لا تعرفُ اسمها. وكانت الماشيةُ تقفُ هنا وهناك عند السياجِ الذي كان يتبعُ الطريقَ ميلاً بعد ميل. وكانت ترفعُ رؤوسها وتحدّقُ أو تسيرُ بتمهلٍ وتجهدُ نفسَها بأكلِ حزماتٍ من العشبِ الجافِ الذي يتشبثُ بعنادٍ بالأرضِ القاسية.

كانت هذه أرضاً جافةً. وكانت صحراءُ كالاهاري تقعُ على بعد مسافةٍ قصيرةٍ إلى الغربِ، وهي منطقةٌ نائية تمتدُ لأميالٍ لا يمكنُ تخيلُها نحو فراغِ ناميبيا الطروب. فإذا استدارت بسيارتها الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ خارجةً على أحدِ الطرقِ التي تنحرفُ عن الطريقِ الرئيسي كان يمكنُها أن تقودَ ربما لثلاثين أو أربعين ميلاً إلى الأمامِ قبل أن تبدأَ عجلاتُ سيارتها بالغوصِ داخل الرملِ والدورانِ في مكانها بشكلٍ لا يجدي نفعاً. وكانت النباتاتُ تزدادُ ببطءٍ تفرقاً وشبهاً بنباتاتِ الصحراء. وكانت أشجارُ الشوك تزدادُ دقةً. كما كانت تظهرُ تلالٌ من الترابِ الرقيق يغطيها الرملُ المنتشرُ في كلِ مكان. وكانت تنتشرُ رقعٌ من الأراضي الجرداء وصخورٌ رمادية مبعثرةٌ دون أية دلالةٍ على وجودِ أي نشاطٍ بشري. فكان العيشُ في هذا المكانِ الجافِ العظيمِ البني القاسي قدرَ مواطني بتسوانا، وهو ما جعلهم حذرين وحريصين في اقتصادهم.

إذا خرجَ المرءُ إلى صحراءِ كالاهاري فقد يسمعُ صوتَ الأسودِ ليلاً. لأن الأسودَ كانت ما تزال موجودة على تلك الأراضي الواسعة. وقد جعلتِ الأسودُ حضورها معروفاً في الظلام بهديرها وزئيرها الذي يشبهُ صوتَ السعال. وكانت قد ذهبت إلى هناك وهي شابةٌ مع صديقتها لتزورَ إحدى محطاتِ الماشية البعيدة. فكان ذلك المكانُ في صحراء كالاهاري هو أبعدَ ما يمكنُ أن تصلَ إليه الماشيةُ. فشعرت بالعزلةِ التامة لمكانٍ ليس فيه ناس. إذ كان ذلك هو جوهرَ بلادها بتسوانا الطبيعي.

كان الفصلُ حينئذٍ الفصلَ الماطرَ. وكانت الأرضُ مكسوةً بالنباتاتِ الخضراء. إذ إن المطرَ يمكنُ أن يحولّها بسرعةٍ كبيرةٍ وقد فعلَ ذلك. فكانت مغطاةً حينئذٍ ببراعمَ من العشبِ الجديدِ الحلو وأزهارِ الأقحوان وكرومِ البطيخ ونباتاتِ الصبر وأزهارٍ حمراء وصفراء.



وكانتا قد أشعلتا ناراً ليلاً بالضبطِ خارجَ الأكواخِ البسيطة. وكانت تُستخدمُ كملجأ في محطةِ الماشية. ولكن ضوءَ النارِ كان يبدو ضئيلاً جداً تحتَ سماء الليل العظيمة الصافية بكوكبتها المنخفضة. اقتربت من صديقتها. فأخبرتها أنه لا ينبغي عليها أن تخافَ لأن الأسودَ تبتعدُ عن النيرانِ كما تفعلُ المخلوقاتُ الخارقةُ للطبيعة.

استيقظت في ساعاتِ الصباح الباكر وكانت النارُ منخفضةً. واستطاعتْ أن ترى رمادَها من خلالِ الفراغاتِ بين الأغصانِ التي كانت تشكلُ جدارَ الكوخ. وسَمعَ صوتُ زئيرٍ من مكانٍ بعيد، ولكنها لم تخفْ. فخرجتْ من الكوخِ لتقفَ تحت السماء وتستنشقَ الهواءَ النقي الجاف. وفكرت في نفسها: إنني مجردُ شخصٍ ضئيلٍ في أفريقيا. ولكن هناك متسعٌ لي وللجميع لتجلسَ على هذه الأرضِ ونلمسَها وندعوها أرضنا. وانتظرت لتأتيها فكرةٌ أخرى. ولكنْ ذلك لم يحدث. ولهذا، فقد تسللتْ عائدةً إلى الكوخ ودفءِ ملاءاتِ السريرِ على فراشِ نومها.

وعندما كانت تقودُ سيارةَ الفانِ البيضاءَ الصغيرةَ على طول تلك الأميالِ الممتدة، فكرت أنها يوماً ما قد تعودُ إلى صحراء كالاهاري وإلى تلك المسافاتِ الفارغةِ والمروجِ الواسعةِ التي تفطرُ القلب.

الفصل الحادي عشر

# شعورٌ كبيرٌ بالذنب بسبب سيارة

مضت ثلاثةُ أيامٍ على النتيجةِ المرضيةِ لقضيةِ باتل. وكانت السيدةُ راموتسوي قد قدمتْ فاتورتَها بقيمةِ ألفي بولا بالإضافةِ للنفقاتِ. وقد سُدِّدتْ بعودةِ البريدِ. وقد فاجأها هذا. فلم تستطعْ أن تصدِّقَ أن يُدفعَ لها مبلغٌ كهذا بدون أي اعتراض. وقد سببَ الاستعدادُ والابتهاجُ الواضحان اللذان سددَ بهما السيدُ باتل الفاتورةَ لها وخزاتٍ من عذابِ الضميرِ بسبب حجم الأتعاب (الأجر).

وفكرتْ في نفسِها: إنه لأمرٌ غريبٌ كيف يكونُ لدى بعضِ الناسِ إحساسٌ سريعٌ بالذنبِ بينما لا يكونُ لدى بعضِ الآخرين أيُّ شعورٍ بذلك. فكان بعضُ الناسِ ليتألموا من زلاتٍ أو أخطاءٍ بسيطةٍ من جانبهم بينما لا يشعرُ البعضُ الآخرون بأيّ تأثرٍ لأعمالِ الخيانةِ وعدمِ الأمانةِ الفادحِ التي يفعلونها. وقد كانت السيدة "بيكوين" تندرجُ تحت الفئةِ الأولى كما اعتقدت السيدةُ راموتسوي. بينما كان نوت موكوتي يندرجُ تحت الفئة الثانية.

كانت السيدةُ "بيكوين" تبدو قلقةً عندما دخلتْ مكتبَ وكالةِ التحرياتِ النسائيةِ الأولى. فقدمتْ لها السيدةُ راموتسوي فنجاناً من شاي الأعشابِ المركّز كما كانت تفعلُ دائماً مع الزبائنِ المتوترين، وانتظرتْها لتستعدَ للكلام. واعتقدتْ أنها كانت قلقةً بشأنِ أحدِ الرجالِ. فقد كانت كلُ العلاماتِ موجودةً. وماذا قد يكونُ السببُ؟ بعضُ السلوكِ الذكوري السيئ، بالطبع. ولكن ماذا؟

قالت السيدةُ بيكوين في نهايةِ المطاف: "إنني قلقةٌ لأن زوجي قد فعلَ شيئاً رهيباً، وأشعرُ بالخجلِ الشديد منه".

فأومأتِ السيدةُ راموتسوي برأسِها بلطف. وفكرتْ في نفسها: إنه سلوكٌ ذكوري سيء.

وقالت: "إن الرجالَ يفعلون أشياءَ مريعةً. وكلُّ الزوجاتِ قلقاتٌ بشأنِ أزواجهن. لذا، لستِ وحيدةً في هذا الأمر".

فتنهّدتِ السيدةُ بيكوين قائلة: "ولكن زوجي فعلَ شيئاً مريعاً حقاً".

فتصلّبتِ السيدةُ راموتسوي. فقد كان يجبُ عليها أن توضحَ لها أنه ينبغي استدعاءُ الشرطةِ إن كان السيدُ بيكوين قد قتل أحدهم. فهي لن تحلمَ أبداً بأن تساعدَ أيَّ شخصٍ على إخفاءِ قاتل.

وسألتها: "ما هو هذا الشيءُ المريع؟"

فأخفضت السيدةُ بيكوين صوتَها قائلةً: "لديه سيارةٌ مسروقةٌ".

فشعرت السيدةُ راموتسوي بالراحة. فقد كانت سرقةُ السيارات أمراً منتشراً ولا يستحقُ الملاحظةَ تقريباً. ولا بدَّ من وجود نساءٍ كثيراتٍ يقدن في أنحاءِ البلدة بسياراتِ أزواجهن المسروقة. ولم تكن السيدة راموتسوي أبداً لتتخيلَ نفسها تفعلُ ذلك بالطبع. ولم يكن يبدو على السيدة بيكوين أنها يمكنُ أن تفعلَ ذلك أيضاً.

وسألتها: "هل أخبركِ أنها مسروقة؟ هل أنت واثقةٌ من هذا؟"

فهزت السيدةُ بيكوين رأسَها، وقالت: "لقد قال إن أحدَ الرجالِ أعطاهُ إياه. فقد كان يملكُ سيارتي مرسيدس وهو يحتاجُ إلى واحدة فقط".

فضحكتِ السيدةُ راموتسوي، وقالت: "هل يعتقدُ الرجالُ فعلاً أنه يمكنهم أن يخدعونا بهذه السهولة؟ هل يعتقدون أننا حمقاوات؟"

فقالت السيدةُ بيكوين: "أعتقدُ أنهم يعتقدون ذلك".

أخذتِ السيدةُ راموتسوي قلمَها الرصاص ورسمتْ عدةَ خطوطٍ على دفترِها. وعندما نظرتْ إلى خربشتِها، رأتْ أنها قد رسمتْ سيارة.





نظرتْ إلى السيدة بيكوين، وسألتها: "هل تريدينني أن أخبرك ما تفعلين؟ هل هذا هو ما تريدينه؟"

فبدتِ السيدةُ بيكوين مستغرقةً في التفكير، ثم أجابت: "كلا، لا أريدُ ذلك. فقد قررتُ ما أريدُ أن أفعله".

"وما هو ذلك؟"

"أريدُ أن أعيدَ السيارةَ لصاحبِها".

فجلستِ السيدةُ راموتسوي منتصبةً، وقالت: "هل تريدين إذاً أن تذهبي إلى الشرطة؟ هل تريدين أن تبلغي عن زوجك؟"

"كلا، لا أريدُ ذلك. بل أريدُ فقط أن أعيدَ السيارةَ دون أن تعلمَ الشرطةُ بالأمر. وأريدُ أن يعلمَ الربُّ أن السيارةَ قد عادت إلى حيث تعودُ ملكيتُها".

فحدّقت السيدةُ راموتسوي بزبونتِها. وكان عليها أن تعترفَ أن ذلك كان أمراً معقولاً تماماً يمكنُها أن تفعله. فإذا أعيدت السيارةُ إلى المالك عندئذٍ سيكونُ ضميرُ السيدة بيكوين مرتاحاً وسوف تحتفظ بزوجِها رغم ذلك. وبدا للسيدة راموتسوي بالتأمل الناضج أن تلك كانت طريقةً جيدةً جداً لمعالجة موقفٍ صعب كهذا.

فسألت السيدةُ راموتسوي: "ولكن لماذا أتيتِ إليَّ بشأنِ هذا؟ كيف يمكنني أن أساعدكِ؟"

فأجابت السيدةُ بيكوين بدون تردد، وقالت: "أريدكِ أن تكتشفي من يملكُ تلك السيارة. وعندئذٍ أريدك أن تسرقيها من زوجي وتعيديها إلى المالكِ الشرعي. هذا هو كلُّ ما أريدكِ أن تفعليه".

في وقتٍ لاحقٍ من مساءِ ذلك اليوم، فكرت السيدةُ راموتسوي وهي تقودُ سيارتَها الفان البيضاءَ الصغيرة إلى منزلها أنه لم يكن ينبغي عليها أن توافقَ على مساعدةِ السيدة بيكوين، ولكنها فعلتْ ذلك. فكانت ملتزمةً معها حينئذ. ورغم ذلك فلن تكونَ المسألةُ بسيطةً إلا إذا ذهبتْ إلى الشرطة، الأمرُ الذي لا تستطيعُ بالطبع أن تفعله. وقد

يكونُ السيدُ بيكوين يستحقُ أن يُسلَّم للشرطة. ولكن زبونتَها كانت قد طلبتْ ألا يحدثَ ذلك. وقد كان ولاؤها الأولُ للزبون. وهكذا، كان يجبُ عليها العثورُ على طريقةٍ أخرى.

مساءَ ذلك اليوم، بعد عشائها المكوّن من الدجاجِ واليقطين، اتصلتِ السيدةُ راموتسوي بالسيد جي. إل. بي. ميتكوني، وسألتْه: "من أين تأتي سيارات المرسيدس المسروقة؟"

فقال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "من خلفِ الحدود. فهم يسرقونها من جنوبِ أفريقيا ويحضرونها إلى هنا ثم يعيدون بخّها بالطلاءِ ويبردون رقمَ المحركِ الأصلي ثم يبيعونها بسعرٍ رخيصٍ أو يرسلونها إلى زامبيا. إنني بالمناسبة أعرفُ من يفعلُ هذا، وكذلك الجميع".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "لا أحتاجُ إلى أن أعرفَ هذا. فما أحتاجُ إلى معرفتِه هو كيف يمكنك أن تتعرفَ عليها بعد أن يكونَ كلُّ هذا قد فُعلَ بها".

فتوقفَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني، ثم قال: "عليك أن تعرفي أين تبحثين. فهناك عادةً رقمٌ متسلسلٌ آخرُ (رقم الإنتاج) في مكانٍ ما على الهيكلِ المعدني أو تحتَ غطاءِ المحرك. فيمكنك عادةً أن تكتشفيه إذا كنتِ تعرفين ما تفعلين".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "أنت تعرفُ ما تفعل. فهل يمكنك أن تساعدَني؟"

فتنهدَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني. فهو لم يكن يحبُّ السيارات المسروقةَ، وكان يفضّلُ ألا تكونَ له علاقةٌ بها. ولكنَّ ذلك كان طلباً من السيدةِ راموتسوي. لذا، كان لديه جوابٌ واحدٌ ليقولَه.

فقال: "أخبريني أين ومتى".

دخلا حديقةَ منزل آلِ بيكوين مساءَ اليوم التالي بالترتيبِ لذلك مع السيدةِ بيكوين التي كانت قد وعدتْ أنها في الوقتِ المتفق



عليه ستتأكدُ من أن الكلابَ ستكونُ في الداخلِ وأن زوجَها سيكونُ مشغولاً بتناولِ وجبةٍ خاصةٍ كانت ستعدُّها له. وهكذا، لم يكن هناك شيءٌ ليوقفَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني من التسللِ تحت سيارةِ المرسيدس التي كانت مركونةً في الحديقةِ وإشعالِ مصباحه عالياً نحو هيكلِ السيارة. وعرضتِ السيدةُ راموتسوي أن تدخلَ تحتَ السيارةِ أيضاً فشكَّ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني أنها قد تتمكنُ من المرورِ تحتَها فرفضَ طلبَها. وبعد عشر دقائق، كان معه الرقمُ المتسلسلُ على قطعةٍ من الورق. فتسلل كلاهما خارجين من الحديقةِ واتجها نحو سيارةِ الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ المركونةِ أسفلَ الطريق.

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "هل أنتَ واثقٌ أن هذا هو كلُّ ما أحتاج إليه؟ هل سيكتشفون منْ هذا؟"

فقالَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "نعم، إنهم سيكتشفون".

وصَلته إلى خارج بوابته وودّعها بالظلام ملوّحاً بيده. إنها سوف تكونُ قادرةً على أن تجازيَه قريباً.

في عطلةِ ذلك الأسبوع، قادتِ السيدةُ راموتسوي سيارتَها الفان البيضاءَ الصغيرةَ إلى الجانبِ الآخرِ من الحدودِ إلى مافيكنغ. وذهبتْ مباشرةً إلى مقهى "ريلوي". واشترت نسخةً من صحيفة "جوهانسبرغ ستار"، وجلستْ إلى إحدى الطاولاتِ قربَ النافذةِ لتقرأَ الأخبار. فوجدتْ أنها كانت كلها سيئة. ولهذا، وضعتِ الصحيفةَ جانباً، وأمضتِ الوقتَ بالنظرِ إلى بقيةِ الزبائن.

"يا سيدة راموتسوي".

فرفعتْ نظرَها. وكان الذي يناديها هو بيلي بيلاني القديمُ نفسُه، وكان أكبرَ سناً بالطبع، ولكنه بقي على حاله من نواحٍ أخرى. فكانت تستطيعُ وحسب أن تتذكرَه عندما كان يجلسُ إلى مقعدِه في مدرسة موتشودي الحكومية ويحلم.

اشـــترتْ له فنجاناً من القهوةِ وكعكة محلاة كبيرةً، وشرحتْ له ما كانت بحاجةٍ له.

فقالت وهي تسلّمه قطعةَ الورقِ مع الرقمِ المتسلسلِ المكتوبِ علـيها بخطِ السيد جي. إل. بي. ميتكوني: "أريدك أن تكتشفَ من يملـكُ هـذه الـسيارةَ. وعندئذٍ، أريدُك أن تخبرَ المالكَ أو شركةَ التأمـين أو أياً يكن أنه بإمكانِهم أن يأتوا إلى غابورون وسيجدون سـيارتَهم جاهزةً ليستلموها في مكانٍ متفقٍ عليه. وكلُ ما عليهم أن يفعلـوه هو أن يحضروا لوحتي الرقمِ الموجودتين في جنوب أفريقيا وعلـيهما الـرقمُ الأصـلي. وعندئذٍ، يمكنهم أن يقودوا السيارةَ إلى ديارهم".

فـبدا بيلــي بيلاني متفاجئاً، وسأل: "وكلُ هذا بدون مقابل، ولا شيءَ ليدفعوه؟"

فقالــتْ الــسيدةُ راموتسوي: "لا شيء. فهذه مجردُ مسألة إعادةِ ملكـيةٍ إلـى صاحبها الشرعي. وهذا هو كلُ شيء. إنك تؤمنُ بهذا، أليس كذلك، يا بيلي؟"

فقال بيلي بيلاني بسرعة: "طبعاً، طبعاً".

"وأريدُك أن تنسى أنك شرطيٌ أثناءَ حدوثِ الأمر، يا بيلي. ولن يكونَ هناك أيُ اعتقالٍ لتقومَ به".

فقال بيلي بلهجةٍ خائبةِ الأمل: "ولا حتى اعتقالٌ صغير؟"

"ولا حتى ذلك".

اتصلَ بيلي بيلاني في اليومِ التالي.

وقـــال: "عـــندي التفاصيلُ من قائمتنا للسياراتِ المسروقة. وقد تحدثتُ إلى شركةِ التأمينِ التي قد دفعتْ مالاً بالفعل. ولهذا، سيكونون مـــسرورين جـــداً أن يـــسترجعوا السيارةَ. ويمكنهم أن يرسلوا أحدَ رجالهم إلى الجانبِ الآخرِ من الحدود ليأخذَها".





فقالت السيدةُ راموتسوي: "هذا جيد. وهكذا، عليهم أن يتواجدوا فـــي الـــسوقِ الأفريقي في الساعةِ السابعةِ صباحاً يومَ الثلاثاءِ القادم ومعهم لوحتا الرقم".

وتمَّ الاتفاقُ على كلِّ شيء. وفي الساعةِ الخامسةِ من صباح يوم الـثلاثاء، تـسللت السيدةُ راموتسوي داخل حديقةِ منزلِ آل بيكوين. وكمـــا تـــوقعت، فقد وجدتْ مفاتيحَ سيارة المرسيدس موضوعةً على الأرضِ خـــارجَ نافذةِ غرفةِ النوم لأن السيدةَ بيكوين كانت قد رمتها فـــي الليلة الفائتة. وكانت السيدة بيكوين قد أكدتْ لها أن نومَ زوجها كان عميقاً وأنه لا يستيقظُ أبداً حتى يرنَّ صوتُ إذاعة راديو بتسوانا عند الساعة السادسة.

لم يسمعْها وهي تشغّلُ السيارةَ وتقودُها نحو الطريق. وبالفعلِ لم يلاحظْ حتى الساعةِ الثامنةِ أن سيارةَ المرسيدس كانت مسروقة".

فـصرختِ الـسيدةُ بـيكوين: "استدعِ الشرطةَ بسرعة. استدعِ الشرطة".

ولاحظتْ أن زوجَها كان متردداً.

وقال: "ربما لاحقاً. وفي غضونِ ذلك، أعتقدُ أنني سأفتشُ عليها بنفسي".

فنظـرتْ إلـى عينيه مباشرةً. وللحظة، رأته يجفل. فقالت في نفـسها: إنـه مـذنبٌ. وقد كنتُ محقةً طوال الوقت. وهو بالطبع لن يـستطيعَ أن يـذهبَ إلى الشرطة ويخبرَهم أن سيارتَه المسروقةَ قد سرقت.

قابلـتِ الـسيدةُ راموتـسوي فـي وقـتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم وشكرتْها.

فقالت: "لقد جعلتني أشعرُ بحالٍ أفضلَ بكثير. إذ يمكنني أن أنامَ الليلةَ دون أن أشعرَ بالذنبِ بسببِ زوجي".

وقالـــتِ السيدةُ راموتسوي: "إنني مسرورةٌ جداً. وربما يكونُ قد تعلمَ درساً مثيراً للاهتمام أيضاً".

فقالتِ السيدةُ بيكوين: "وما هو ذلك الدرس؟"

فقالـــت الـــسيدةُ راموتسوي: "أن البرقَ دائماً يصعقُ في المكانِ نفـــسِه مـــرتين، (تتكررُ المصائبُ دائماً على وتيرةٍ واحدةٍ) مهما قالَ الناسُ عكسَ ذلك".



## الفصل الثاني عشر

# منزلُ السيدة راموتسوي في زيبرا درايف

كـــان قـــد بُنِي المنزلُ عام 1968 عندما توسَّعتِ البلدةُ خارجَ المحـــلاتِ والأبنيةِ الحكومية. وكان موقعُه عند ملتقى شارعين. فلم يكـــن ذلك أمراً جيداً دائماً لأن الناسَ كانوا يقفون أحياناً في الزاويةِ تحتَ أشجارِ الشوكِ التي تنمو هناك ويبصقون إلى حديقتِها أو يرمون قمامـــتَهم مـــن فوقِ سياجِها. وعندما كانت تراهم أول الأمرِ يفعلون ذلك، كانت تصرخُ من النافذةِ أو ترمي غطاءَ صندوقِ القمامةِ عليهم. ولكن كان يبدو على أولئك الناسِ أنهم بلا حياء. فقد كانوا يضحكون وحـــسب. ولهذا، استسلمت. وكان الشابُ، الذي كان يعتني بحديقتِها كل ثلاثةِ أيامٍ، يقومُ فقط بالتقاطِ القمامةِ ورميها بعيداً. فكانت تلك هي المشكلةَ الوحيدةَ التي يعاني منها المنزل. أما بالنسبة لبقيةِ الأمورِ، فقد كانت السيدةُ راموتسوي فخورةً به بشدة. وكانت كلَّ يومٍ تفكرُ متأملةً بحظهـــا الموفَّقِ أنها استطاعتْ شراءه بالضبط قبل أن ترتفعَ أسعارُ المنازلِ بحيث لم يعد الشرفاءُ قادرين على دفعِ ثمنها.

كانـــت الحديقـــةُ كبيرةً وتبلغ مساحتُها ثلثي آكر (2698 متراً مربعاً). وكانت وافرةَ الأشجارِ والشجيرات. ولم تكن الأشجارُ مميزةً فقد كانت في الغالبِ أشجارَ شوك. ولكنها كانت تُعطي ظلاً جيداً. ولم تكـــن تمـــوتُ أبداً إذا كانت الأمطارُ شحيحةً. ثم كانت توجدُ أشجارُ البوغينفيلا الأرجوانيةِ التي كانت قد زُرِعتْ بحماسٍ على يدِ المالكينَ الـــسابقين. وكانـــت قـــد انتشرتْ في الوقتِ الذي وصلتْ فيه السيدة

راموتسوي. فكان عليها أن تقطعها لتوفرَ مساحةً لأشجار البو وللبقطين.

وفي مقدمة المنزل، كانت توجدُ الشرفةُ التي كانت مكانَها المفضّل. فهناك كانت تحبُّ أن تجلسَ في الصباح عندما تشرقُ الشمسُ أو في المساءِ قبل أن ينتشرَ البعوض. وكانت قد وسّعتها بأن وضعت نباتاتٍ متسلقةً ظليلةً على شبكةٍ تدعمُها أعمدةٌ من الخشب غيرِ المصقول. وقد حجبَت هذه الكثيرَ من أشعة الشمس وسمحتْ بنمو النباتات في الضوءِ الأخضر الذي أوجدته، والتي هي عبارةٌ عن نباتاتِ أذنِ الفيل والسرخسِ التي كانت ترويها يومياً. فشكّلتْ رقعةً خضراءَ وافرةً على الترابِ البني.

وخلفَ الشرفة، كانت توجدُ غرفةُ المعيشة وهي أكبرُ غرفةٍ في المنزلِ بنافذتها الكبيرةِ التي تطلُّ على ما كان في السابقِ مرجٌ. وكان هناك موقدٌ أيضاً. وكان كبيراً بالنسبةِ للغرفة، ولكنه كان مدعاة فخرٍ للسيدة راموتسوي. فكانت قد وضعت على رفِّ الموقد طقمَها الصيني المميز وفنجانَ شاي الملكة إليزابيث الثانية وطبقاً عليه صورةُ الرئيسِ سير سيريتس خاما ورجالِ دولته. وكان يبتسمُ لها من صورته في الطبق وكأنه كان يباركُها. وكذلك فعلت الملكة، لأنها كانت تحبُّ بتسوانا أيضاً.

ولكنَّ مفخرةَ المكانِ كانت صورةَ والدها التي أُخذتْ له قبل عيد ميلاده الستين. وكان يرتدي البذلةَ التي كان قد اشتراها من بولاوايو في زيارته لابنة عمه هناك. وكان يبتسمُ رغم أنها كانت تعلمُ أنه كان متألماً حينئذ. وقد كانت السيدة راموتسوي امرأةً واقعية تعيشُ في الحاضر. ولكنها سمحت لنفسها بفكرة تواقة واحدة وهي أن تتخيلَ والدَها وهو يمشي عبرَ الباب ويحيّها مجدداً ويبتسمُ لها قائلاً: "يا ابنتي بريشس، لقد أبليت بلاءً حسناً وأنا فخورٌ بك". وتخيلت نفسَها تقودُ في أنحاءِ غابورون في سيارتِها الفان البيضاء الصغيرة وتريه



التقدمَ الذي كان قد أُحدث في المدينة. فابتسمتْ للفخر الذي كان ليشعرَ به. ولكنها لم تستطع أن تسمحَ لنفسها بالتفكيرِ في هذه الطريقة غالباً لأنها كان تنتهي بالدموعِ على كلِّ الذي مضى وكلِّ الحبِّ الذي كان في داخلها.

كان المطبخُ مُبهجاً بأرضيته الإسمنتية المُحكمة والمصقولة بطلاء الأرضيات الأحمر. وكانت خادمةُ السيدة راموتسوي المدعوة روز تحافظُ على الأرضيةِ لامعةً. وقد كانت روز تعملُ لديها منذ خمسِ سنوات. وكان لها أربعةُ أطفالٍ من آباءَ مختلفين. وكانت تعيشُ مع والدتها في تلوكوينغ. وكانت تعملُ لدى السيدة راموتسوي وتقومُ بالحياكة لصالح إحدى الجمعياتِ التعاونية. وكانت تربي أولادها بالمالِ القليل الذي لديها. وكان الصبيُّ الأكبرُ سناً يعملُ نجاراً عندئذٍ، فيعطي والدتَه مالاً يساعدُها. وكان الصغارُ دائماً بحاجةٍ لأحذيةٍ وسراويلَ جديدة. وقد كان أحدُهم لا يستطيعُ التنفسَ جيداً وبحاجةٍ لجهاز استنشاق. وكانت روز رغم ذلك تغني، وهكذا كانت السيدة راموتسوي تعرفُ أنها قد وصلتْ صباحاً بما أن مقاطعَ الأغنيةِ كانت تصلُ إلى الداخلِ من المطبخ.

# الفصل الثالث عشر

## لم لا تتزوجينني؟

لقد كانت السيدةُ راموتسوي سعيدةً في حياتها. فقد كانت بوكالةِ تحرياتِها ومنزلِها في زيبرا درايف تملكُ أكثرَ من معظمِ الناس، وكانت مدركةً لذلك. وكانت أيضاً مدركةً كيف تغيرتِ الأمورُ. فعندما تزوجت نوت موكوتي كانت واعيةً لتعاسةٍ عميقةٍ غامرةٍ تلاحقُها ككلبٍ أسود. ولكن ذلك انتهى حينئذٍ.

لو كانت قد أصغتْ لوالدِها ولزوجِ ابنةِ العم لما كانت قد تزوجتْ نوت أبداً، ولما كانت عاشتْ سنواتِ التعاسةِ التي عاشتْها. ولكنها عاشتْها لأنها كانت عنيدةً كجميعِ الناسِ في سنِ العشرين. فهم ببساطةٍ لا يستطيعون أن يروا مهما ظنوا أنفسهم يستطيعون ذلك. فكانت تعتقدُ أن العالمَ مليء بشبابٍ في العشرين، وكلُّهم عميان.

لم يكن أوبيد قد أعجبَ بنوت وكان قد أخبرَها ذلك بشكلٍ مباشر. ولكنها أجابتْ بالبكاءِ والقولِ إنه الرجلُ الوحيدُ الذي كانت ستعثرُ عليه على الإطلاقِ وإنه كان سيجعلُها سعيدةً.

فقال أوبيد: "لن يجعلكِ سعيدةً بل سيضربكِ وسيستخدمكِ بشتى الوسائل. فهو لا يفكرُ إلا بنفسه وبما يريدُه. ويمكنني أن أعرفَ ذلك لأنني كنتُ في المناجمِ. وهناك يرى المرءُ كافةَ أنواعِ الرجالِ. وقد رأيتُ رجالاً مثله من قبل".

هزتْ رأسَها واندفعتْ خارجَ الغرفةِ. فاستدعاها بصيحةٍ خفيضةٍ متألمةٍ. واستطاعتْ أن تسمعَها حينئذٍ. فمزّقتها عميقاً. إذ إنها آذتْ الرجلَ الذي أحبَها أكثرَ مما فعلَ أي شخصٍ آخر، الرجلَ الصالحَ الجديرَ بالثقةِ الذي كان يريدُ فقط أن يحميها. لو أن المرءَ يستطيعُ

فقط أن يلغي الماضي. ولو كان يستطيعُ أن يعودَ إلى الوراء ليتجنبَ الأخطاءَ ويقومَ بخياراتٍ مختلفة.

قال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني وهو يصبُّ الشاي في فنجانِ السيدةِ راموتسوي: "لطالما فكرتُ في أنه لو كان بإمكاننا أن نعودَ بالزمنِ إلى الوراء وأن نعرفَ حينئذٍ ما نعرفُه الآن". وهزَّ رأسَه بدهشة قائلاً: "يا إلهي، ربما لكنتُ عشتُ حياتي بطريقة مختلفة".

رشفتِ السيدةُ راموتسوي شايَها. وقد كانت جالسةً في مكتبِ "تلوكوينغ رود سبيدي موتورز" تحت تقويم مزودي قطعِ الغيارِ الخاص بالسيد جي. إل. بي. ميتكوني تمضي اليومَ مع صديقها كما كانت تفعلُ أحياناً عندما يكونُ مكتبُها هادئاً. وقد كان هذا أمراً لا مفرَّ منه. فأحياناً لا يريدُ الناسُ ببساطة أن يكتشفوا حقيقةَ الأمور. فلا أحدَ مفقودٌ ولا أحدَ يخدعُ زوجتَه ولا أحدَ يختلسُ مالاً. وفي أوقاتٍ كهذه قد يعلّقُ التحري الخاصُ علامة "مغلق" على بابِ المكتب ويذهبُ لزراعةِ البطيخ. وهي لم تكن تنوي أن تزرعَ البطيخ. فشربُ فنجانٍ من الشاي تتبعه رحلةُ تسوقٍ إلى السوقِ الأفريقي كان طريقةً جيدةً لقضاءِ فترةِ العصر كأيةِ طريقةٍ أخرى. وعندئذٍ، قد تذهبُ إلى مركزِ الكتبِ وترى إن كانت قد وصلت أيةُ مجلاتٍ مثيرة للاهتمام. فقد كانت تحبُّ المجلات، وتحبُّ صورَها الصغيرةَ الزاهية. وكانت تفضلُ مجلاتِ التصميم الداخلي التي كانت تظهرُ طريقةَ عيشِ الناسِ في البلاد البعيدة. فقد كان لديهم الكثيرُ في بيوتهم من الأشياء الجميلة كالطلاءِ والستائرِ الباهظةِ والأكوام من الوسائد المخملية، التي كانت لتكونَ رائعةً لشخصٍ بدينٍ ليجلسَ عليها، والأضواءِ الغريبةِ في زوايا غيرِ مألوفة.

تحمسَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني لفكرته، وقال عابساً وهو يستعيدُ الذكرى: "لقد ارتكبتُ المئاتِ والمئاتِ من الأخطاء في حياتي".





فنظرتْ إليه. وكانت قد اعتقدتْ أن كلَّ شيء كان يسيرُ على ما يرام نوعاً ما في حياته. فقد خدمَ مهنتَه كميكانيكي وادخرَ نقودَه ثم اشترى كراجَه الخاص وبنى منزلاً وتزوجَ امرأة، فتوفيتْ للأسف. وقد أصبحَ رئيسَ المجلسِ المحلي في حزب بتسوانا الديمقراطي. وكان يعرف العديدَ من الوزراءِ معرفةً سطحيةً جداً. وتمت دعوته إلى إحدى حفلاتِ الحديقةِ السنويةِ في مبنى المجلسِ التشريعي. فكان كلُّ شيء يبدو موحياً بالتفاؤل.

قالت: "لا أرى أنك ترتكبُ أية أخطاء، على عكسي أنا".

فبدا السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني متفاجئاً، وقال: "لا أستطيعُ أن أتخيلك ترتكبين أيةَ أخطاء. فأنتِ ذكيةٌ جداً بحيثُ لا تفعلين ذلك. وأنت تفكرين في كلِّ الاحتمالاتِ ثم تختارين الخيارَ الصحيح في كلِّ مرة".

فشخرتِ السيدةُ راموتسوي، وقالت ببساطة: "لقد تزوجتُ نوتي".

فبدا السيدُ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني مستغرقاً في التفكير ثم قال: "نعم، لقد كان ذلك خطأً كبيراً".

وصمتا للحظة. ثم وقفَ على قدميه. وقد كانَ رجلاً طويلَ القامة، فكان عليه أن يحذرَ لئلا يرتطمَ رأسُه عندما يقفُ منتصباً. وقد كان التقويمُ خلفَه وحاجزُ الذبابِ يتدلى من السقف فوقه. فتنحنحَ وتكلمَ قائلاً: "إنني أطلبُ منك الزواجَ بي. ولن يكونَ هذا خطأً".

فأخفتِ السيدةُ راموتسوي مفاجأتَها. فلم تجفلْ ولم توقعْ فنجانَ الشاي ولا فتحتْ فمَها ولا أصدرت أيَّ صوت. وعوضاً عن ذلك، ابتسمت وحدقتْ في صديقها.

وقالت: "إنك رجلٌ صالحٌ ولطيف. وأنت تشبهُ والدي... بعضَ الشيء. ولكنني لا أستطيعُ أن أتزوجَ مجدداً على الإطلاق. إنني سعيدةٌ كما أنا. فلدي الوكالةُ والمنزل. وحياتي مثالية".

جلس السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني. وكانت خيبةُ الأمل باديةً عليه. فمدت السيدة راموتسوي يدها لتلمسه. فتحركَ بعيداً بشكلٍ غريزي كما يبتعدُ الرجلُ المحروق عن النار.

فقالت: "إنني آسفةٌ جداً. وأريدك أن تعرفَ أنني إن كنتُ لأتزوجَ أحداً، الأمرُ الذي لن أفعله، فسأختارُ رجلاً مثلك، أو أنني سأختارك أنت بالذات. وأنا واثقةٌ من هذا".

أخذَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني فنجاناً، وصبَّ لها المزيدَ من الشاي. وكان يلتزمُ الصمتَ عندئذ، ليس بسببِ الغضبِ أو الامتعاضِ ولكنْ لأنه قد استنفدَ كلَّ طاقتِه ليصرِّحَ عن حبه هذا. فلم تعدْ لديه كلماتٌ أكثرُ في ذلك الوقت.



# الفصل الرابع عشر

## رجل وسيم

كانت أليس بوسانغ متوترةً بخصوصِ استشارة السيدةِ راموتسوي. ولكنها سرعان ما شعرت بالراحة لرؤية المرأة البدينة الجالسة خلفَ طاولة المكتب. وكانت تعتقدُ أن الأمرَ كان نوعاً ما يشبه التحدثَ إلى طبيبٍ أو كاهنٍ. ولا شيء مما يمكنُ للمرءِ أن يقولَه في استشاراتٍ كتلك قد يسبب صدمةَ أحدٍ ما.

فقالت: "إنني أشكُ في زوجي. فأنا أعتقدُ أنه يغازلُ السيدات".

وأومأت السيدةُ راموتسوي برأسها. فكلُ الرجال يغازلون السيدات حسب خبرتها. والرجالُ الوحيدون الذين لا يفعلون ذلك هم رجالُ الدين الكهنة أو مدراءُ المدارس.

وسألتها: "هل رأيته يفعل ذلك؟"

فهزت أليس بوسانغ رأسها، وقالت: "إنني أستمرُ بمراقبته ولكنني لم أرَه أبداً مع نساءٍ أخريات. فأعتقدُ أنه ماكرٌ جداً".

فكتبت السيدةُ راموتسوي هذه المعلومةَ على قطعةٍ من الورق.

"إنه يذهبُ إلى الحانات، أليسَ كذلك؟"

"نعم".

"ذلك هو المكانُ الذي يقابلون فيه أولئكَ النساءَ اللواتي يتسكعن في الحاناتِ بانتظار أزواجِ النساءِ الأخريات. فهذه المدينةُ مليئةٌ بنساءٍ كهؤلاء".

ونظرتْ إلى أليس بوسانغ. وتدفقَ بينهما تيارٌ من التفاهم. فكلُ النساءِ في بتسوانا هن ضحايا لا مبالاةِ الرجال. وليس هناك فعلياً أي

رجال في هذه الأيام يتزوجون النساء ويستقرون للعناية بأطفالهن. إذ يبدو أن الرجال كهؤلاء قد أصبحوا شيئاً من الماضي.

وقالت: "هل تريدين مني أن أتتبعه؟ هل تريدين مني أن أكتشف فيما إن كان يتعرف على نساء أخريات؟"

فأومأت أليس بوسانغ برأسها، وقالت: "نعم، أريد دليلاً فقط من أجل نفسي لكي أتمكن من أن أعرف من أي نوع من الرجال أنا متزوجة".

كانت السيدة راموتسوي مشغولة فوق الحد لتضطلع بقضية بوسانغ حتى الأسبوع التالي. وفي يوم الأربعاء، انتظرت في سيارتها الفان البيضاء الصغيرة خارج المكتب في مبنى تصنيف الماس حيث كان الزوج كرملين بوسانغ يعمل. وكانت أليس بوسانغ قد أعطتها صورة له. فألقت نظرة خاطفة عليها وهي على ركبتها. وقد كان رجلاً وسيماً ذا كتفين عريضين وابتسامة عريضة. فكان مظهره يوحي بأنه زير نساء. وتساءلت لم كانت أليس بوسانغ قد تزوجته إن كانت تريد زوجاً مخلصاً. فالأمل أنه سيكون مخالفاً للرجال الآخرين هو أمل ساذج بالطبع. حسناً، عليها فقط أن تنظر إليه لتدرك أن الأمر لن يكون كذلك.

لاحقت سيارته الزرقاء القديمة بسيارتها الفان عبر المرور إلى حانة "غو غو هاندسم مانز" بجانب محطة الحافلات. وعندئذ، بينما كان يمشي متمهلاً إلى الحانة، جلست للحظة في سيارتها الفان ووضعت المزيد من أحمر الشفاه على شفتيها ولمسة من الكريم على وجنتيها. وفي غضون لحظات، كانت ستدخل وتبدأ عملها بصورة جدية.

لم يكن المكان مزدحماً داخل حانة "غو غو هاندسم مانز". فقد كانت هناك امرأتان أخريان فقط. وميزت كلتيهما على أنهما امرأتان سيئتان. فحدقتا فيها، ولكنها تجاهلتهما واتخذت لنفسها مقعداً عند البار على بعد كرسيين فقط من كرملين بوسانغ.



اشترت كأساً من مشروب مفضل. ونظرت حولها وكأنها تعيش في جو الحانة للمرة الأولى.

فقال كرملين بوسانغ: "إنك لم تأت إلى هنا من قبل، يا أختاه. إن هذه حانة جيدة".

فالتقت عيناها بعينيه، ثم قالت: "إنني آتي إلى الحانات فقط في المناسبات الكبيرة مثل اليوم".

فابتسم كرملين بوسانغ، وسأل: "أهو عيد ميلادك؟"

فقالت: "نعم، دعني أشتر لك شراباً لنحتفل".

اشترت له كأساً من مشروب مفضل. وتحرك إلى المقعد بجانبها. فلاحظت أنه كان رجلاً حسن المظهر كما أظهرته الصورة بالضبط. وكانت ثيابه مختارة بعناية. شربا كأسين من المشروب المفضل معاً. ثم طلبت له كأساً آخر. وأخذ يخبرها عن وظيفته.

وقال: "إنني أقوم بتصنيف الماس. وهو عمل صعب كما تعلمين. فهو يحتاج إلى بصر جيد".



فقالت: "إنني أحب الماس كثيراً".

وقال: "إننا محظوظون جداً بامتلاكنا الكثير من الماس في هذه البلاد. عجباً لكل ذلك الماس".

حركت ساقها اليسرى بعض الشيء فلامست ساقه. ولاحظ ذلك لأنها رأته يلقي نظرة خاطفة إلى الأسفل. ولكنه لم يبعد ساقه.

فسألته بهدوء: "هل أنت متزوج؟"

فقال بدون تردد: "كلا، إنني لم أكن متزوجاً أبداً. إذ إنه من الأفضل أن يكون المرء عازباً من أجل الحرية، كما تعلمين".

فأومأت برأسها، وقالت: "وأنا أيضاً أحب أن أكون حرة. إذ يمكنني عندئذ أن أقرر كيف أمضي وقتي الخاص".

وقال: "هذا صحيح تماماً".

فشربت كأسها، وقالت: "يجبُ عليَّ الذهاب". ثم قالت بعد توقف قصير: "ربما تحبُ أن تأتي لتشربَ شيئاً في منزلي. فلدي بعضُ المشروب المفضل هناك".

فابتسمَ وقال: "نعم، هذه فكرةٌ حسنةٌ. فليسَ لديَّ شيءٌ لأفعلَه أيضاً".

تبعَها إلى البيتِ بسيارته. فدخلا معاً إلى المنزلِ، وشغَّلا بعضَ الموسيقى. وصببتْ له كأساً من المشروب المفضل، فشربَ نصفَه دفعةً واحدة. ثم وضعَ يدَه حولَ خصرِها، وأخبرها أنه يحبُّ النساءَ البديناتِ الحسناوات وأن كلَّ ذلك الأمر المتعلق بالنحافة هو هراءٌ لا يناسبُ أفريقيا.

فقال: "إن النساءَ البديناتِ أمثالكِ هن ما يريده الرجالُ فعلاً".

فقهقهت. وكان عليها أن تعترفَ أنه كان ساحراً. ولكنَّ ذلك كان عملاً فكان عليها أن تكونَ محترفةً تماماً. وكان عليها أن تتذكرَ نفسَها أنها كانت بحاجةٍ لدليل. وكان من الممكنِ للأمرِ أن يكونَ أكثرَ صعوبةً لتحصل عليه.



فقالت: "تعال واجلس بجانبي. فلا بدَّ أنك متعبٌ من الوقوفِ طوال اليوم وأنت تعملُ بتصنيفِ الماس".

كانت مستعدةً بأعذارِها، فقبلَها بدون اعتراض. فقد كان عليها أن تكونَ في العملِ باكراً صباحَ اليوم التالي، ولم يكن باستطاعتهِ البقاءُ. ولكنه كان سيكونُ أمراً مؤسفاً أن ينهيا أمسيةً جيدة كتلك دون أي تذكارٍ منها.

"أريدُ أن ألتقطَ صورةً لنا لأحتفظَ بها من أجلي فقط. وهكذا، يمكنني أن أنظرَ إليها وأتذكرَ هذه الليلة".

فابتسمَ لها وقرصَها بلطف قائلاً: "إنها فكرةٌ حسنة".

وهكذا، أعدتْ لقطةَ الكاميرا المؤجلة. وقفزت عائدةً إلى الأريكة لتنضمَ إليه. فقرصَها مجدداً، ووضعَ يدَه حولَها وقبَّلها بحرارة بينما أضيءَ الفلاش.



وقال: "يمكنكِ أن تنشري هذه الصورةَ في الصحفِ إن أحببتِ. بعنوان "صورة السيد وسيم مع السيدة بدينة"".

فضحكت، وقالت: "إنك زيرُ نساءٍ حقيقي يا كرملين. وقد عرفتُ ذلك حالما رأيتك للمرةِ الأولى".

فقال: "حسناً، على أحدهم أن يعتني بالسيدات".

عادتْ أليس بوسانغ إلى المكتبِ في يوم الجمعةِ، ووجدتِ السيدةَ راموتسوي بانتظارِها.

وقالت لها: "يؤسفني أن أخبرك أن زوجكِ غيرُ مخلص، فلديَّ الدليل على ذلك".

أغلقت أليس عينيها. فقد توقعت هذا، ولكنها لم تكن لتريده. ففكرت في نفسها: سأقتله. ولكن كلا، ما زلتُ أحبه. بل أكرهُه. لا، بل أحبُّه.

سلمتها السيدةُ راموتسوي الصورة، وقالت: "هذا هو دليلك".

فحدقتْ أليس بوسانغ في الصورة قائلةً في نفسها: بالتأكيد لا. بل هذه هي، التحرية.

وقالت متلعثمةً: "أنت... كنتِ مع زوجي؟"

فقالت السيدةُ راموتسوي: "بل هو كان معي. لقد أردتِ دليلاً، أليس كذلك؟ وها قد حصلتُ لكِ على أفضلِ دليلٍ يمكنكِ أن تتمنيه".

فأوقعتْ أليس بوسانغ الصورة، وقالت: "ولكنكِ... ذهبتِ مع زوجي..."

فعبست السيدةُ راموتسوي قائلة: "أنتِ طلبتِ مني الإيقاعَ به، أليس كذلك؟"

فضاقتْ عينا أليس بوسانغ، وصرخت: "أيتها الحقيرةُ البدينة. لقد أخذتِ زوجي كرملين، يا سارقة الأزواج. أيتها اللصة".

فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى زبونتها بخيبةِ أمل. فقد كانت ستضطرُ للتنازلِ عن أتعابها في تلك القضية.

## الفصل الخامس عشر

# الاكتشافُ الذي حققَه

# السيد جي. إل. بي. ميتكوني

اقتيدت ألـيس بوسانغ خارجَ الوكالةِ وهي لا تزالُ تصرخُ بشتائمها على السيدة راموتسوي قائلة: "أيتها الحقيرة البدينة. إنك تعـتقدين أنـك تحرية، ولكنك فقط جائعةٌ للرجال مثل كل أولئك الفتـيات فـي الحانة. يجبُ على المرء أن لا ينخدعَ بهذه المرأة. فهـي ليست تحرية، بل هي صاحبةُ وكالةِ سرقة الأزواج الأولى، هكذا هي".

عـندما انتهـى الـشجارُ، نظـرتِ السيدةُ راموتسوي والسيدةُ ماكوتـسي إلـى بعضهما البعض. وماذا يسعُ المرءَ أن يفعلَ سوى الـضحك؟ لقـد كانـت تلك المرأةُ تعلمُ طوال الوقتِ أن زوجها كان متورطاً مع النساءِ. ولكنها أصرتْ على الدليل. وعندما حصلتْ عليه ألقتْ باللائمة على من قدمه لها.

قالـتِ الـسيدةُ راموتـسوي: "اعتني بالمكتب بينما أذهبُ إلى الكراج. إذ يجبُ عليَّ أن أخبرَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني عن هذا الأمر".

كـان جالساً في مقصورةِ مكتبه ذاتِ الواجهةِ الزجاجيةِ يصلحُ قطعةً لإحدى السيارات.

وقال: "إن الرملَ يصلُ إلى كلِّ مكان. انظري إلى هذه".

واسـتخرجَ قطعـةً مـن السيليكا من أنبوبِ معدني، وأظهرَها لزائرته بابتهاجِ المنتصر.

وقـــال: "لقد أوقفت هذه القطعةُ الضئيلةُ من الرمل شاحنةً كبيرةً في مسارها".

فقالـــت السيدةُ راموتسوي وهي تتذكرُ عصرَ أحدِ الأيام البعيدةِ في مدرسةِ موتشودي الحكوميةِ عندما استشهدَ المعلم بأحدِ الأقوال:

"بدون المسمارِ لا تُصنعُ الحدوة وبدون الحدوة..." ثم توقفت فقد عجزتْ عن تذكّرِ الباقي.

فأكملَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني متطوعاً: "يقعُ الحصان. فقد تعلمتُ هذا أيضاً".

وضـــع قطعة السيارة على طاولته وخرجَ ليملأ الإبريق. وكان عــصرَ يــومٍ حار. فكان فنجانٌ من الشاي سيجعلهما كليهما يشعران بحالٍ أفضل.

أخبرته عن ألِيس بوسانغ وردةِ فعلها على الدليلِ على نشاطاتِ زوجِها كرملين.

وقالـــت: "كان ينبغي عليك أن تراه. فهو زيرُ نساءٍ حقيقي بمادةٍ مصففةٍ في شعرهِ ونظارةٍ شمسيةٍ وحذاءٍ فاخر. ولم تكن لديه فكرةٌ كم كـــان يــبدو مضحكاً. إنني أفضلُ أكثرَ الرجالَ ذوي الأحذيةِ العاديةِ والسراويلِ الشريفة".

ألقـــى السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني نظرةً قلقةً إلى الأسفلِ نحو حذائه، وكان عبارةً عن جزمةٍ قديمةٍ من جلد السويد مغطاةٍ بالشحم، وإلى سرواله. هل كان شريفاً؟

وتابعـــت الـــسيدةُ راموتسوي قائلةً: "لم أستطعْ حتى أن أفرضَ عليها أتعاباً بعدما فعلته".

فأومـــأ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني، وكان يبدو مشغول الفكرِ بشيءٍ ما. وكان قد تناولَ قطعةَ السيارةِ مجدداً محدقاً خارجَ النافذة.

"هل أنت قلقٌ بخصوص شيءٍ ما؟" وتساءلت في نفسِها فيما إذا كـــان رفضُها لطلبه يدَها قد أزعجَه أكثرَ مما تخيلت. إنه لم يكن من



النوعِ الذي يحملُ الأحقاد. ولكن هل كان ممتعضاً منها؟ لم تكن تريدُ أن تخــسرَ صـــداقته. فقـــد كان نوعاً ما أفضلَ أصدقائها في البلدة. والحياةُ بدون حضورهِ المواسي كانت لتكون أكثرَ بؤساً بشكلٍ واضح.

"في ماذا تفكرُ يا سيد جي. إل. بي. ميتكوني؟" وطرحتِ السؤالَ بدون وعي. فندمت عليه على الفور.

وقـــفَ وأغلـــقَ البابَ الذي كان مواربَاً بعضَ الشيء. ولم يكن هناك أحدٌ ليسمعهما. فقد كان الميكانيكيان الآخران في الجانبِ الآخرِ من الكراج يشربان شاي فترةِ العصر.

وقـــال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "لو لم تأتِ لرؤيتي لكنتُ أتيتُ لرؤيتك. فقد وجدتُ شيئاً ما".

فشعرتْ بالراحة. إذ إنه لم يكن منزعجاً لأنها رفضته. ونظرتْ إليه بترقب.

وقـــال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "لقد وقعَ حادثٌ، ولم يكن حادثاً سيئاً. إذ إن الركابَ أصيبوا بالصدمةِ بعضَ الشيء، ولكنهم لم يــتأذوا. وقد حدثَ ذلك عند الموقفِ القديم ذي الأربعةِ اتجاهات. وقد كانـــت إحـــدى الـــشاحناتِ قادمةً من الطريقِ الملتوية، ولم تتوقف، فــصدمت ســيارةً قادمةً من القرية، ودفعتها إلى خندقِ العواصف. فانبعجتِ السيارةُ بشكلٍ سيئ. وتحطمَ ضوءُ الشاحنةِ الأمامي، وحدثَ بعضُ الضررِ في مشعاعها. وهذا هو كلُ شيء".

"وماذا بعد؟"

جلسَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني، وحدّقَ في يديه.

"اســتُدعيتُ لأخـــرجَ السيارةَ من الخندق. فأخذتُ شاحنةَ الإنقاذِ ورفعناها بالونشِ ثم قطرناها إلى هنا وتركناها في المؤخرة. وسوف أريكِ إياها لاحقاً".

توقـــفَ للحظةٍ قبل أن يكملَ. وكانت القصةُ تبدو بسيطةً بما فيه الكفاية. ولكن كان يبدو أنها كانت تكلفه جهداً كبيراً ليحكيها.

فحصتُها. وكانت بحاجةٍ لتسويةِ هيكلِها المتبعج. فاستطعتُ بسهولةٍ أن أحضرَ أحدَ العاملين بتسويةِ هياكلِ السياراتِ ليأخذَها إلى ورشتِه ويقومَ بتقييمِ حالتِها. ولكن كان هناك أمرٌ أو اثنان توجبَ عليَّ أن أفعلَهما أولاً. فقد كان عليَّ أولَ الأمرِ أن أتفقدَ الأجزاءَ الكهربائية. إذ إن تلك السياراتِ الباهظةَ الجديدةَ تحتوي الكثيرَ من الأسلاكِ بحيث أن ضربةً هنا أو هناك قد تعطلُ كلَّ شيء. فلن يتمكنَ المرءُ من إقفالِ الأبوابِ إذا كانت الأسلاكُ مشقوقة. إذ إن أجهزةَ منعِ السرقةِ سوف تُعطلُ كلَّ شيءٍ في السيارةِ. والأمرُ معقدٌ جداً كما يكتشفُ هذان الشابان اللذان يشربان الشاي هناك على حسابِ وقتي للتو فقط.

وعلى أيةِ حال، كان عليَّ أن أبلغَ علبةَ صماماتٍ كهربائيةٍ تحت لوحةِ أجهزةِ القياس. وبينما كنتُ أفعلُ ذلك فتحتُ بدون قصد قسمَ القفازات. ونظرتُ داخلاً، ولا أعرفُ لماذا. ولكنَّ شيئاً ما جعلني أفعلُ ذلك. فوجدتُ حقيبةً صغيرةً".

وكان ذهنُ السيدةِ راموتسوي يسبقه. فكانت واثقةً من أنه عثر على ماسٍ غيرِ مشروع.

"أهو ماس؟"

فقال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "كلا، بل هو أسوأ من ذلك".

نظرتُ إلى الحقيبةِ الصغيرةِ التي كان قد أخرجها من خزنته ووضعها على الطاولة. وكانت مصنوعةً من جلدِ الحيوانات. وقد كانت كيساً في الواقع. فكان شبيهاً بالحقائبِ التي كان "البساروا" يزينونها بأجزاءٍ من قشرِ بيضِ النعام. ويستخدمونها لتخزينِ الأعشابِ والمعجونِ من أجلِ سهامهم.

وقال: "سأفتحه. فإنني لا أريدُ أن أجعلك تلمسينه".

فراقبته وهو يفكُّ الحبالَ التي تغلقُ فتحةَ الكيس. وكان تعبيرُ وجهه يدلُّ على النفور. وكأنه كان يمسكُ شيئاً ذا رائحةٍ كريهة.

وفاحت رائحةٌ جافةٌ عفنةٌ وهو يستخرجُ الأشياءَ الصغيرةَ



الثلاث من الكيس. وعندئذ فهمت. فلم يكن بحاجة ليقول أكثر مما قال. وفهمت لماذا كان يبدو مذهولاً وغير مرتاح. لقد وجد السيد جي. إل. بي. ميتكوني "موتي". لقد وجد دواء.

فلم نقل شيئاً بينما كانت الأشياء موضوعةً على الطاولة. وماذا من الممكن للمرء أن يقول عن هذه البقايا المثيرة للشفقة، وعن العظمة وقطعة الجلد وعن القارورة الخشبية الصغيرة المسدودة ومحتوياتها الفظيعة؟

وكز السيد جي. إل. بي. ميتكوني العظمة بقلم رصاص غير راغب في لمسها.

وقال ببساطة: "أرأيت؟ هذا هو ما وجدته".

نهضت السيدة راموتسوي عن كرسيها واتجهت نحو الباب وشعرت بغثيان في معدتها كما يفعل المرء عندما يواجه رائحة مقرفة كالرائحة الشديدة لجيفة حمار ميت في حفرة.

وعندما انقضى ذلك الشعور، التفتت قائلة: "سآخذ هذه العظمة وأتفحصها. إذ يمكن أن نكون مخطئين. فقد يكون حيواناً ما، مثل غزال أفريقي أو أرنب بري".

فهز السيد جي. إل. بي. ميتكوني رأسه، وقال: "لن يكون ذلك. إنني أعرف ماذا سيقولون".

فقالت السيدة راموتسوي: "وإن كان ذلك. ضعها في ظرف، وسآخذها".

فتح السيد جي. إل. بي. ميتكوني فمه ليتكلم، ولكنه فكر في الأمر بشكل أفضل، وأراد أن يحذرها أن من الخطورة العبث بهذه الأشياء، ولكن ذلك كان ليعني أنه كان يؤمن بقواها. وهو لم يكن يفعل هذا، أليس كذلك؟

وضعت الظرف في جيبها، وابتسمت قائلة: "لا يمكن أن يحدث شيء لي الآن، فأنا محمية".

حاول السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني أن يضحكَ على دعابتِها ولكنه لم يتمكنْ من ذلك. فقد كان استخدامُ تلك الكلمات يتحدى العناية الإلهية. وتمنى ألا يكونَ لديها سببٌ لتندمَ عليها.

وقالت السيدةُ راموتسوي وهي تغادرُ المكتب: "هناك شيٌ أودُ أن أعرفَه. من يملكُ تلك السيارة؟"

فألقى السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني نظرةً خاطفةً على الميكانيكيين، وكانا كلاهما خارجَ مرمى السمع. ولكنه أخفضَ صوتَه رغم ذلك وهو يخبرُها قائلاً: "إنه ذلك الرجلُ الذي يُدعى تشارلي غوتسو".

فاتسعت عينا السيدة راموتسوي، وقالت: "غوتسو؟ تلك الشخصيةُ الهامة؟"

فأومأ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني برأسِه. وكان الجميعُ يعرفون تشارلي غوتسو. فقد كان أحدَ أكثرِ الرجالِ نفوذاً في البلاد. وكان يتمتعُ بحاسةِ سمعٍ. ولم يكن هناك بابٌ في البلادِ مغلقٌ في وجهِه. فلا يستطيعُ أحدٌ أن يرفضَ له طلباً أو خدمة. فإذا طلبَ تشارلي غوتسو من أي أحد أن يفعلَ شيئاً له فسيفعله لأنه إن لم يفعل فعندئذ قد يجدُ أن حياتَه بدأتْ تصبحُ أكثرَ صعوبةً. وكان يحدثُ الأمرُ دائماً بدقة شديدة – فقد يواجهُ طلبُه لرخصةٍ من أجل عملٍ ما تأجيلاً غيرَ متوقع، أو قد يجدُ أن شراكَ السرعة تبدو موجودةً دائماً على الطريقِ المحددِ إلى عمله، أو قد يصبحُ موظفوه غير مرتاحين فيتركونه ليعملوا لصالحِ أحدٍ آخر. ولم يكن هناك أبداً شيء يمكن أن يتوقعَه. لم تكن تلك هي الحالُ في بتسوانا. ولكن التأثيرَ قد يكونُ حقيقياً جداً.

قالت السيدةُ راموتسوي: "يا إلهي".

فقال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "بالضبط. يا إلهي".



## الفصل السادس عشر

# قطعُ الأصابع والأفاعي

في البداية، وهذا يعني بالفعلِ في غابورون قبل ثلاثين سنة، كانت هناك مصانعُ قليلةٌ جداً. وفي الواقع، عندما راقبت الأميرةُ مارينا إنزالَ رايةِ الاتحاد في الملعبِ في تلك الليلة العاصفة عام 1966 ولم تعد محمية بيتشوانالند موجودة، لم تكن هناك أيةُ مصانع. وكانت السيدةُ راموتسوي فتاةً في الثامنةِ من عمرِها حينئذ. فكانت تلميذةً في المدرسةِ الحكوميةِ في موتشودي. وكانت مدركةً بغموضٍ أن شيئاً مميزاً كان يحدث وأن شيئاً كان الناسُ يدعونه الحرية قد وصل. ولكنها لم تشعرْ بأي شيء مختلفٍ في اليوم التالي. فتساءلتْ عما كانت تعنيه الحرية. أما الآن فقد عرفت ذلك بالطبع، وكان قلبُها مفعماً بالفخرِ عندما كان تفكرُ بكلِّ ما تم تحقيقه في غضون ثلاثين سنة قصيرة. فقد ازدهرتْ رقعةُ الأرضِ الكبيرةُ التي لم يكن البريطانيون يعرفون ما يفعلون بها فعلاً لتصبحَ أفضلَ الدولِ إدارةً في أفريقيا حتى تلك اللحظة. فأصبحَ باستطاعةِ الناسِ أن يصيحوا جيداً قائلين "بولا، بولا!" "مطر، مطر!" بفخر.

لقد نمتْ غابورون وتغيرت كثيراً بحيثُ أصبحَ من المتعذَّرِ تمييزُها. فعندما ذهبتْ إلى هناك أولاً وهي طفلةٌ صغيرةٌ لم يكن هناك سوى القليلِ من المنازلِ المتحلِّقة حول السوق والقليل من المكاتبِ الحكومية. وقد كانت أكبرَ بكثير مما في موتشودي بالطبع وأكثرَ تأثيراً بأبنيتها الحكومية ومنزل "سيريتس خاما". ولكنها كانت لا تزالُ صغيرةً تماماً بالفعلِ إذا شاهدَ المرءُ صوراً لجوهانسبرغ أو حتى بولاوايو. ولم تكن فيها مصانعُ على الإطلاق.

وعندئذٍ، تغيرت الأمورُ شيئاً فشيئاً. فقد بنى أحدُهم ورشةً لصنعِ الأثاث. وكانت تنتجُ كراسيَ قويةً لغرفِ المعيشة. ثم قررَ أحدُهم أن يؤسسَ مصنعاً صغيراً لصناعةِ قطعٍ حجريةٍ من نفايةِ الفحم (طوب خرساني فيه فحم الكوك الدقيق) لبناءِ المنازل. وتبعَهم آخرون. وسرعان ما كانت هناك قطعةُ أرضٍ على طريق لوبيتس بدأ الناسُ يدعونها المواقعَ الصناعية. وسبّبَ هذا الكثيرَ من الشعورِ بالفخر. فاعتقدَ الناسُ أن هذا هو ما جلبتْه الحريةُ معها. وتم تأسيسُ الهيئةِ التشريعيةِ ومجلسِ الزعماءِ بالطبع حيث كان الناسُ يستطيعون أن يقولوا ما يريدون، وكانوا يفعلون ذلك. ولكن أنشئتْ أيضاً المصانعُ الصغيرةُ والأعمالُ التي تترافق معها. فأصبحَ هناك أيضاً مصنعُ شاحناتٍ على طريقِ فرانسيس تاون يقومُ بتجميعِ عشرِ شاحناتٍ في الشهرِ ليرسلَها إلى الكونغو. وكلُ هذا بدأ من لا شيءٍ.

كانت السيدةُ راموتسوي تعرفُ بعضَ مدراءِ المصانعِ وأحدَ مالكي المصانع. وكان مالكُ المصنعِ، وهو أحدُ مواطني بتسوانا جاءَ إلى البلادِ من جنوب أفريقيا ليستمتعَ بالحريةِ التي كان محروماً منها على الجانبِ الآخرِ من الحدود، قد بدأ عملَه بصناعةِ المساميرِ برأسِ مالٍ ضئيلٍ مثل فضلةٍ من الآلاتِ المستعملةِ التي اشتراها من مزادِ إفلاسٍ في بولاوايو وقوةِ عملٍ تتألفُ منه وصهرِه وصبيٍ معاقٍ عقلياً كان قد وجدَه جالساً تحت إحدى الأشجار فأثبتَ على أنه قادرٌ تماماً على تصنيفِ المسامير. وقد ازدهرَ العملُ بشكلٍ كبير لأن فكرتَه كانت بسيطة جداً. وكان ما يصنعُه المصنعُ هو نوعاً واحداً من المسامير كان يُحتاج إليه لإصلاحِ الأسطحِ المعدنيةِ المكهربة التي تغطي عوارضَ الأسطح. وكانت هذه عمليةً بسيطةً تتطلبُ نوعاً واحداً فقط من الآلاتِ التي لا تتعطلُ أبداً ونادراً ما تحتاجُ إلى صيانة.





كان مصنعُ المدعو "هيكتور ليبودايز" قد نمى بشكلٍ سريع. وبحلولِ الوقتِ الذي تعرفتْ فيه السيدةُ راموتسوي عليه كان لديه ثلاثون موظفاً وينتجُ مساميرَ تثبتُ الأسطحَ إلى عوارضِها في أماكنَ تصلُ حتى "مالاوي" شمالاً. وفي بادئ الأمرِ، كان كلُ موظفيه من أقاربِه باستثناءِ الولدِ المعاقِ عقلياً الذي رُفعَ فيما بعد ليصبحَ موظفاً لصنعِ الشاي. وعلى أيةِ حال، بينما كان العملُ ينمو تضاءلَ تزويدُه بالأقارب، وبدأ هيكتور يوظفُ الغرباء. وقد حافظَ على طريقتِه الأبويةِ في عاداتِ التوظيف. فكان لديه دائماً متسعٌ من الوقتِ للجنائزِ بالإضافةِ لرواتبَ كاملةٍ لمن هم مرضى بشكلٍ فعلي. ونتيجةً لذلك، كان عمالُه عادةً شديدي الإخلاصِ له. ورغم ذلك، فبطاقمِ عمالٍ يتألفُ من ثلاثين عاملاً، منهم اثنا عشر من الأقارب، كان مما لا مفرَّ منه وجودُ البعضِ ممن قد يحاولون أن يستغلوا طيبتَه. وهنا تدخلتِ السيدةُ راموتسوي.

قال هيكتور وهو يشربُ القهوةَ مع السيدةِ راموتسوي على شرفةِ فندقِ بريزيدنت: "لا أستطيعُ أن أضعَ يدي على الأمر، ولكنني لم أثقْ بذلك الرجل أبداً. فقد جاءَ إلي منذ ستةِ أشهر فقط. والآن حدث هذا الأمر".

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "أين كان يعملُ من قبل؟ وماذا قالوا عنه؟"

فهزَّ هيكتور كتفيه، وقال: "كانت لديه شهادةُ مؤهلاتٍ من أحدِ المعاملِ وراءَ الحدود. وقد كتبتُ إليهم. ولكنهم لم يزعجوا أنفسَهم بالرد. فبعضُهم لا يأخذوننا على محملِ الجد كما تعلمين. فهم يعاملوننا كأحدِ السكانِ البانتوستانيين البائسين. فأنت تعرفين كيف هم".

أومأتِ السيدةُ راموتسوي برأسِها فقد كانت تعرف. ولم يكونوا جميعاً سيئين بالطبع، ولكنَّ كثيراً منهم كانوا فظيعين، الأمرُ الذي كان

يحجبُ الصفاتِ الأفضلَ لبعضِ الأشخاصِ اللطيفين. فكان أمراً حزيناً جداً.

وتابعَ هيكتور قائلاً: "وهكذا، جاءَ إليَّ منذ ستةِ أشهرٍ فقط. وكان جيداً تماماً في العملِ على الآلات. وهكذا، وضعتُه على الآلةِ الجديدةِ التي اشتريتُها من الهولنديين. وكان يعملُ بها جيداً. فرفعتُ راتبَه إلى خمسين بولا في الشهر. ثم غادرني فجأةً. وهذا هو كلُّ ما حدثَ".

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "هل هناك أي سبب؟"

فعـبس هيكتور وهو يقول: "ليس هناك أي سبب أستطيعُ أن أفهمَـه. فقـد قبضَ راتبَه في أحدِ أيامِ الجمعةِ، ولم يعد وحسب. حـدث هـذا قبلَ شهرين تقريباً. فسمعتُ منه تالياً عن طريقِ أحدِ المحامـين في ماهالابي. فقد كتبَ لي رسالةً يقولُ فيها إن موكلَه السيد سولومون موريتسي أقامَ دعوى قانونيةً ضدي مطالباً بأربعةِ آلاف بـولا تعويضاً عن فقدانه أحدَ أصابعِه بسبب حادثٍ صناعي في مصنعي".

صـبت السـيدةُ راموتـسوي فـنجانَ قهوة آخر لكليهما وهي تستوعبُ تطورَ الأحداثِ، وقالت: "وهل جرى حادثٌ ما؟"

فقـال هيكتور: "لدينا كتابٌ للحوادثِ في العمل. فإذا أصيبَ أي شـخصٍ بأذى يكونُ عليه أن يُدوِّنَ التفاصيلَ في الكتاب. وقد نظرتُ إلـى التاريخِ الذي ذكرَه المحامي، فرأيتُ أن شيئاً قد حدث. فقد كان موريتسي قد دوَّن أنه آذى أحدَ أصابعِ يدِه اليمنى، وكتبَ أنه كان قد وضـعَ ضـمادةً علـيه. وكان يبدو على ما يرام. فسألتُ في أنحاءِ المـصنعِ. فقـال أحدُهم إنه قد ذكرَ لبقيةِ العمالِ أنه كان يغادرُ آلتَه لبعضِ الوقتِ ليعالجَ إصبعَه الذي كان قد جرحَه. فاعتقدوا أنه لم يكن جرحاً كبيراً. ولم يزعجْ أحدٌ نفسَه أكثر بشأنِ هذا الأمرِ".

"وعندئذٍ غادر؟"

فقال هيكتور: "نعم، لقد حدثَ هذا قبل بضعةِ أيامٍ من مغادرتِه".



نظـرتِ الـسيدةُ راموتسوي إلى صديقِها. وكانت تعلمُ أنه كان رجلاً شريفاً وربَّ عملٍ صالح. وإذا كان أحدُهم قد تعرضَ لأذى كان ليقومَ بما في وسعِه من أجلِه.

أخذَ هيكتور رشفةً من قهوتِه، وقال: "إنني لا أثقُ بذلك الرجل. ولا أعـتقدُ أننـي وثقتُ به قط. فأنا لا أصدق ببساطة أنه قد فقدَ أحدَ أصابعِه في مصنعي. فقد يكونُ فقدَه في مكانٍ آخر، ولكنَّ هذا ليست له علاقةٌ بي".

فابتسمتِ السيدةُ راموتسوي قائلةً: "هل تريدُ مني أن أجدَ لك هذا الإصبع؟ ألهذا السبب دعوتني إلى فندقِ بريزدنت؟"

فـضحكَ هيكتور، وقال: "نعم، وقد دعوتُك أيضاً لأنني أستمتعُ بالجلـوس معك هنا. وأودُّ أن أطلبَ منك أن تتزوجيني، ولكنني أعلمُ أن الجوابَ سيكونُ نفسَه دائماً".

مدتِ السيدةُ راموتسوي يدَها وربتت على ذراعِ صديقِها قائلةً: "إن الزواجَ جيد. ولكنَّ كوني التحريةَ الأولى في البلادِ ليس حياةً سهلةً. فلا أستطيعُ أن أقومَ بالجلوسِ في البيتِ والطهو- وأنت تعلمُ ذلك".

فهـزَّ هيكتور رأسَه، وقال: "لطالما وعدتُك بطاهية أو طاهيتين إن أردتِ. فما يزال بإمكانك أن تكوني تحرية".

فهزتِ السيدةُ راموتسوي رأسَها قائلةً: "كلا. ويمكنك أن تستمرَّ بالطلبِ مني، يا هيكتور ليبودايز. ولكن يؤسفُني أن الجوابَ ما يزال كـلا. فأنت تعجبُني كصديق، ولكنني لا أريدُ زوجاً. فقد انتهيتُ من موضوعِ الأزواجِ إلى الأبد".

تفحـصت الـسيدةُ راموتسوي الأوراقَ في غرفةِ مكتبِ مصنعِ هيكـتور. وكانت غرفةً حارةً وغيرَ مريحة وغير محميّة عن ضجة المصنعِ. وكانت فيها بالكادِ مساحةٌ كافيةٌ لتتسعَ لخزانتي حفظ الملفاتِ والطاولتـين. وكانت الأوراقُ موضوعةً على نحوٍ مبعثرٍ على سطح كلِّ طاولة. وكانت تتضمنُ إيصالاتٍ وفواتيرَ ونشراتٍ تقنية.

وقـال هيكـتور: "لـو كانت لي زوجةٌ عندئذ لن يكونَ هذا المكـتبُ فـي حالـةِ فوضى كهذه. وستكونُ هناك أماكنُ للجلوس وزهـورٌ فـي مزهـرية على مكتبي. فالمرأةُ تستطيعُ أن تحدثَ تغييراً".

ابتسمتِ السيدةُ راموتسوي لسماع ملاحظته. ولكنها لم تقلْ شيئاً. وتـداولتِ دفتـرَ سجلِ الحوادثِ القذرَ الذي كان موضوعاً أمامَها، وتـصفحته. فقـد كـان فيه بالتأكيد التدوينُ الذي يعطي تفصيلاً عن إصـابةِ موريتـسي. وكانـت الكلماتُ مكتوبةً بالأحرفِ الكبيرة بيد شخصٍ بالكادِ يجيدُ الكتابة.

جُرِحَ إصبعُ موريتسي بفعلِ الآلة. وهو الإصبعُ الثاني بعدَ الإبهام في اليد اليمنى. ووضعَ الضمادات بنفسه. التوقيع: سولومون موريتسي. الشاهد: يسوع المسيح.

أعـادت قـراءةَ التدوين، ثم نظرتْ إلى رسالةِ المحامي. وكان الـتاريخُ يوافقُ التاريخَ الذي تذكرُه الرسالةُ: "يقولُ موكلي إن الحادثةَ جـرتْ فـي العاشرِ من أيار/مايو الماضي. فأُدخلَ إلى مستشفى الأميـرة ماريـنا فـي اليوم التالي. فضُمِّدَ الجرحُ. ولكنه أُصيبَ بالتهابِ نَقِيِّ العظم. فأُجريتْ له عمليةٌ جراحيةٌ في الأسبوعِ التالي، وبُتِرَ الإصبعُ المتضررُ عند مفصلِ السلاميةِ الأقربِ (راجع تقرير المستـشفى المرفق). ويدَّعي موكلي أن هذا الحادثَ نجمَ كلياً عن إهمالـك الذي أدى إلى إخفاقِك في تسييجِ الأجزاءِ العاملةِ المُشغَّلة فـي مصنعِك بشكلٍ ملائم. وقد وكَّلني لأرفعَ دعوى عطلٍ وضررٍ نيابةً عنه. ومن الواضحِ أن الأمرَ سيكونُ لفائدةِ كلِّ الأطرافِ إذا تمـتْ تسويةُ هذه القضيةِ فوراً. وننصح موكلي وفقاً لذلك أنَّ مبلغ أربعـةِ آلافِ بـولا سـيكونُ مقـبولاً بالنسبةِ له بدلاً من العطل والضررِ الصادرِ بحكمِ المحكمة".



قـرأتِ الـسيدةُ راموتـسوي بقيةَ الرسالةِ التي كانت حسبما فهمـتْ عـبارةً عن لغةِ اصطلاحيةٍ لا معنى لها كان المحامي قد تعلَّمَهـا في كليةِ الحقوق. إن أولئك الناسَ مستحيلون. فهم يقضون بـضعَ سـنواتٍ فـي حضورِ المحاضراتِ في جامعة بتسوانا ثم يعتبـرون أنفـسَهم خبراء في كل شيء. وماذا كانوا يعرفون عن الحـياة؟ إن كـلَّ ما يعرفونه هو كيف يرددون كالببغاء عباراتِ مهنتهم ويستمرون بالعنادِ حتى يدفعَ لهم أحدُهم مالاً في مكانٍ ما. وهـم يكـسبون عن طريقِ الاستنزافِ في معظمِ القضايا. ولكنهم يستنتجون بأنفسهم أنَّ تلك هي مهارة. فيستمرُّ القليلُ منهم في هذه المهنة التي تتطلبُ البراعةَ وحدةَ الذهن.

نظرتْ إلى نسخةِ التقريرِ الطبي. فكان مختصراً ويذكرُ تماماً ما كـان المحامـي قـد أوجزَه. وكان التاريخُ صحيحاً. فكانت الورقةُ المروَّسةُ تبدو حقيقية. وكان توقيعُ الطبيبِ موجوداً في أسفلِها. وكان اسمُ طبيبٍ تعرفُه.

رفعتِ السيدةُ راموتسوي نظرَها من الأوراقِ لتنظرَ إلى هيكتور الذي كان يحدقُ فيها مترقباً.

وقالـت: "يـبدو الأمرُ واضحاً. جُرِحَ إصبعُه فأُصيبَ بالتهاب. ماذا تقولُ شركةُ تأمينك؟"

فتنهَّدَ هيكتور، وقال: "يقولون إنه ينبغي عليَّ أن أدفعَ. ويقولون إنهـم سـيقومون بتغطيتي من أجل هذا. فسيكونُ هذا أرخصَ على المدى الطويل. إذ حالما يبدأ المرءُ بالدفعِ للمحامين للدفاع عن قضيته يمكـنُ للنفقاتِ أن تتجاوزَ قيمةَ العطلِ والضرر. وعلى ما يبدو، فهم سيستقرون على عشرةِ آلاف بولا بدون جدال رغم أنهم أخبروني ألا أخبـرَ أحداً بشأنِ ذلك، فهم لا يرغبون أن يعتقدَ الناسُ أنه من السهلِ الحصولُ على المالِ منهم".

سألتِ السيدةُ راموتسوي: "ألا ينبغي عليك أن تفعلَ ما يقولونه؟"

وكان يبدو لها أنه لا جدوى من إنكارِ أن الحادثةَ قد وقعت. فمن الواضحِ أن هذا الرجلَ قد فقد أحدَ أصابعِه ويستحقُ بعض التعويض. فلماذا يقومُ هيكتور بكل هذا التدقيقِ في حين أنه لم يكن عليه حتى أن يدفعَ مالاً؟

خمـنَ هيكـتور بمـاذا كانت تفكرُ، فقال: "لن أفعل ذلك. إنني أرفضُ وحسب. فلماذا ينبغي عليَّ أن أدفعَ مالاً لأحد أعتقدُ أنه يحاول خداعـي؟ فـإذا دفعتُ له هذه المرة عندئذٍ سيفعلُ ذلك مع أحدٍ آخر. وأفضّلُ أن أدفعَ الأربعة آلاف بولا لأحد استحقها".

وأشارَ إلى البابِ الذي يصلُ المكتبَ بأرضِ المصنع.

وقـال: "كـان لي امرأةٌ هناك لديها عشرةُ أطفال. نعم، عشرة. وهـي عاملـةٌ جيدةٌ أيضاً. فكري ماذا يمكنها أن تفعلَ بأربعةِ آلاف بولا".

فقاطعته السيدةُ راموتسوي قائلةً: "ولكنها لم تفقدْ أحدَ أصابعها. أما هو فقد يحتاجُ إلى ذلك المال إذا لم يعدْ يستطيعُ أن يعملَ جيداً بعد الآن".

"هـذا هراء. إن ذلك الرجلَ محتال. ولم أستطعْ أن أصرفَه من الخدمـة لأنه لم يكن لدي شيءٌ ضده. ولكنني كنتُ أعلمُ أنه لم يكن جيداً. وبعضُ الآخرين لم يكونوا معجبين به أيضاً. ولطالما كان الفتى الـذي لديـه ثقبٌ في دماغه والذي يصنعُ الشاي يعلمُ ذلك. فلم يكن يصنعُ له الشاي. وكان يقولُ إن الرجل كان "كلباً" ولم يكن بإمكانه أن يـشربَ الـشاي. أترين؟ لقد كان يعلم. فأولئك الناسُ يشعرون بتلك الأمور".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "ولكنّ هناك فرقاً كبيراً بين أن تضمرَ الـشكَ وأن تكونَ قادراً على إثباتِ شيءٍ ما. فلا يمكنك أن تقفَ في المحكمـة العلـيا في لوبيتس وتقولَ إن شيئاً يتعلقُ بذلك الرجل لم يكن صائباً تماماً. فسيقومُ القاضي بمجردِ الضحك. إذ إن هذا ما يفعلُه القضاة



عندما يقولُ الناسُ هذا النوعَ من الأشياء. إنهم يضحكون وحسب".

فالتزمَ هيكتور الصمت.

وقالت السيدةُ راموتسوي بهدوء: "اقبلْ بالتسوية وحسب. وافعلْ ما يقولُ لك الناسُ في شركة التأمين أن تفعلَه وإلا فسينتهي بك الأمرُ بأن تدفعَ فاتورةً تتعدى الأربعةَ آلاف بولا بكثير".

فهزّ هيكتور رأسه، وقال من خلال أسنانٍ مطبقة: "لن أدفعَ من أجـل شيء لم أفعلْه. وأريدُ منك أن تكتشفي ما الذي سيُقدِمُ عليه هذا الـرجل. ولكنك إن عدتِ إلي في غضون أسبوع وقلت إنني مخطئ عندئذٍ سأدفعُ دون أن أتفوه بكلمة. هل سينفعُ هذا؟"

فأومـأتِ الـسيدةُ راموتسوي برأسها. فقد كان باستطاعتها أن تـتفهمَ عـدمَ رغبته بدفع العطلِ والضررِ اللذين كان يعتقدُ أنه ليس مديـناً بهما. ولن تكونَ أتعابُها لمدة أسبوعٍ من العملِ مرتفعةً بالنسبة لـه. فقد كان رجلاً غنياً، وكان مخوّلاً أن ينفقَ ماله في سبيل المبدأ. وإذا كـان موريتسي محتالاً عندئذٍ سيبدو عليه الارتباكُ أثناءَ تطورِ الأحـداث. ولهـذا السبب، وافقتْ على العمل، وقادتْ سيارتَها الفان البيـضاء الـصغيرة متسائلةً في نفسها فيما إذا كانت ستتمكنُ من أن تثـبتَ أن الإصـبعَ المفقود لم تكن له علاقةٌ بمصنعِ هيكتور. وبينما كانـت تـركنُ سيارتَها الفان خارجَ مكتبها وتتجهُ نحو برودةِ غرفةِ انـتظارِها، أدركـتْ أنهـا لم تكن لديها أية فكرةٍ على الإطلاقِ عنِ الكيفـية التي ستباشرُ بها العمل. فقد كانت تبدو على تلك القضية كلُ مظاهرِ القضيةِ الميؤوس منها.

في تلك الليلة بينما كانت مستلقيةً في غرفة النوم في منزلها في زيبـرا درايـف، شـعرتِ السيدةُ راموتسوي أن النومَ كان يجافيها. فنهـضتْ وارتـدتْ خفَّهـا الزهري، الذي لطالما ارتدته منذ لسعتْها عقـربٌ وهـي تمشي ليلاً في أنحاءِ البيت، وذهبت إلى المطبخِ لتعدَّ إبريقاً من شاي الأعشاب.

كان المنزلُ يبدو مختلفاً جداً أثناءَ الليل. وقد كان كلُّ شيءٍ في مكانه الصحيح بالطبع. ولكنَّ الأثاثَ كان يبدو على نحوٍ ما محددَ الزوايا أكثر. وكانت الصورُ على الجدارِ تبدو أكثر ذات بُعدٍ واحد. فتذكرت قولَ أحدهم إن الناسَ في الليل يكونون غرباء حتى بالنسبةِ لأنفسهم. وقد استوقفها ذلك بكونه صحيحاً. فقد كانت كل الأشياءِ المألوفة من حياتها اليومية تبدو وكأنها تنتمي لشخصٍ آخر يدعى السيدة راموتسوي التي لم تكن تماماً هي المرأة التي كانت تمشي في الأنحاء مرتدية الخفَّ الزهري. وحتى صورةُ والدِها مرتدياً بذلته الزرقاءَ اللامعة كانت تبدو مختلفة. فكان ذلك الشخصُ يدعى الوالد راموتسوي بالطبع، ولكنه لم يكن الوالدَ الذي كانت تعرفه والذي ضحّى بكل شيءٍ من أجلها والذي كانت آخرُ أمنية له هي أن يراها مسرورة ومستقرة بالعملِ بأحدِ المشاريع. كم كان ليشعرَ بالفخرِ أن يراها حينئذٍ وهي مالكة وكالةِ التحريات النسائيةِ الأولى المعروفة لكل الشخصياتِ الهامةِ في البلدة وحتى للسكرتيرات الدائمات ولوزراء الحكومة. وكم كان ليشعرَ بالأهميةِ لو رآها صباحَ ذلك اليوم بالذات وهي تكادُ تصطدمُ بالمفوّضِ السامي الملاوي بينما كانت تغادر فندق بريزدنت. فقال المفوضُ السامي: "صباح الخير يا سيدة راموتسوي. لقد كدتِ توقعينني، ولكن ليس هناك أحدٌ أفضلُ أن يوقعني سواكِ، يا إلهي". وأن تكون معروفةً من قبل مفوضٍ سامٍ، وأن تتم تحيتها بالاسم من قبلِ أناسٍ كهؤلاء كان شيئاً يدعو للعجب، ليس لأنها كانت لتتأثرَ بهم بالطبع حتى لو كانوا مفوضين. ولكن والدها كان ليتأثرَ بهم. فشعرتْ بالندم لأن والدَها لم يعشْ ليرى خططه من أجلها تثمر.

أعدتِ الشاي، وجلستْ لتشربَه على أكثر الكراسي راحةً لديها. وقد كانت تلك ليلةً حارةً. وكانت الكلابُ تعوي في أرجاءِ البلدةِ وتثيرُ بعضَها بعضاً في الظلام. فاعتقدتْ أن ذلك لم يعد صوتاً يلاحظه المرءُ. فقد كانت تلك الكلابُ العاويةُ موجودةً هناك دائماً تدافعُ عن حدائقهم ضدَّ كلِّ أشكالِ الظلالِ والرياح. يا لتلك المخلوقات الغبية!

وفكرت بهيكتور. وقد كان رجلاً عنيداً بامتياز. ولكنها كانت تحترمُه نوعاً ما بسبب ذلك. فلماذا كان ينبغي عليه أن يدفع؟ وتذكرت قولَه: "إذا دفعتُ له هذه المرةَ عندئذٍ سيفعلُ ذلك مع شخصٍ آخر". وفكرتْ للحظة، ثم وضعتْ فنجانَ الشاي على الطاولة. فقد خطرت لها الفكرةُ فجأةً كما كان يبدو على كل أفكارِها الجيدة. فقد كان هيكتور هو الشخصَ الآخر. وربما يكونُ الرجلُ قد أدلى بادعاءاتٍ أخرى في مكانٍ آخر، فلا يكونُ هيكتور أولَ شخصٍ رفع دعوى ضده.

أصبحَ النومُ أكثرَ سهولةً بعد ذلك. فاستيقظتْ في صباحِ اليوم التالي وهي واثقةٌ من أن بعضَ التحقيقاتِ وربما رحلةً إلى ماهلابي ستكونُ كلَّ ما هو مطلوبٌ ليحسمَ ادعاءَ موريتسي الكاذب. فتناولت فطورَها بسرعةٍ وقادتْ سيارتَها مباشرةً إلى المكتب. وكان الشتاءُ يوشكُ أن ينتهي مما يعني أن درجةَ حرارةِ الجو كانت مناسبةً تماماً. وكانت السماءُ صافيةً وزرقاءَ شاحبةً. وكانت تفوحُ في الجو رائحةُ دخانِ الخشب. وقد كانت تلك الرائحةُ تشعرُها بالحزنِ لأنها كانت تذكرُها بالأمسياتِ حول النارِ في موتشودي. وقد كان تفكرُ بالعودةِ إلى هناك عندما تكونُ قد عملت مدةً طويلةً بما يكفي لتتقاعدَ. فكانت ستشتري منزلاً أو ربما تبني واحداً وتطلب من إحدى بنات عمها أن تعيشَ معها. فكانتا ستزرعان البطيخ في الأراضي. وقد تشتري حتى دكاناً صغيراً في القرية. وكانت ستجلسُ كل صباحٍ أمام منزلها وتتنشقُ دخانَ الخشبِ وتتطلعُ لقضاءِ اليوم وهي تتحدثُ مع أصدقائها. كم كانت تشعرُ بالأسفِ لأولئك الناسِ البيض الذين لم يكونوا يستطيعون أن يفعلوا أياً من ذلك والذين كانوا دائماً يندفعون في الأنحاء ويقلقون على الأمورِ التي كانت ستحدثُ على أية حال. فأيةُ فائدةٍ ستُجنى من امتلاك كل ذلك المال إن لم يستطع المرءُ أبداً

أن يجلس ساكناً أو أن يراقبَ ماشيته وهي ترعى العشب؟ لم تكن هناك أية فائدة في نظرها على الإطلاق. ورغم هذا، فهم لا يعرفون ذلك. وغالباً ما يلتقي المرءُ شخصاً أبيض يتفهمُ ويدركُ كيف كانت الأمور فعلاً. ولكنّ أولئك الناسَ هم قلائلُ جداً. وهم غالباً ما يُعاملون بريبةٍ من الناسِ البيضِ الآخرين.

كانت المرأةُ التي تكنسُ مكتبَها قد وصلت قبلَها. فسألتْها عن عائلتها، وأخبرتْها المرأةُ عن آخرِ أخبارِهم. وقد كان لها ابنٌ يعمل سجاناً في السجن وآخر يعملُ طباخاً متدرباً في فندق "صن". وكانا كلاهما يبليان بلاءً حسناً في عمليهما. وكانت السيدةُ راموتسوي دائماً مهتمةً بسماع إنجازاتهما. ولكنها في صباح ذلك اليوم قاطعت الخادمةَ بأدبٍ قدر المستطاع، وباشرت عملَها.

زوّدها الدليلُ التجاري بالمعلومات التي كانت بحاجة لها. فقد كانت هناك عشرُ شركات تأمين تعملُ في غابورون، أربعٌ منها كانت صغيرةً ومتخصصةً على الأرجح. وكانت قد سمعتْ عن ست شركاتٍ أخرى ونفّذت عملاً لأربعٍ منها. فوضعتها في قائمة، ودوّنت أرقام هواتفها. وبدأت عملها.

كانت شركة "بتسوانا إيغل" هي الشركةَ الأولى التي اتصلت بها. وكانت راغبة بالمساعدة. ولكنها لم تستطع أن تدلي بأية معلومات. ولم تستطع ذلك أيضاً شركة "ميوتشوال لايف أف سذرن أفريكا" أو شركة "سذرن ستار" للتأمين. ولكنها عندما اتصلتْ بالشركة الرابعة، وهي شركة "كالاهاري" للحوادث والتأمين التي طلبتْ قرابة ساعةٍ للبحثِ في السجلات، عثرتْ على ما كانت بحاجة لتعرفه.

قالتِ المرأةُ على الجهة الأخرى من الخط: "لقد وجدنا ادعاء واحداً تحت ذلك الاسم. فقبل عامين، كان لدينا ادعاء من أحد الكراجاتِ في البلدة. فقد ادعى أحدُ عمال الوقود أنه قد آذى أحد



أصابعه وهو يضعُ موزعَ مضخةِ البترول على حامله. ففقدَ أحدَ أصابعه. وادعوا بموجبِ بوليصةِ صاحب المصنع".

فقفزَ قلبُ السيدةِ راموتسوي من مكانه، وسألت: "هل كان المبلغ أربعةَ آلاف بولا؟"

وقالت الموظفةُ: "اقتربتِ بما فيه الكفاية. لقد قمنا بالتسوية على ثلاثة آلافٍ وثمانمائة".

فأكدتِ السيدةُ راموتسوي قائلة: "أهي اليد اليمنى؟ الإصبعُ الثاني بعدَ الإبهام؟"

قلّبت الموظفةُ بعضَ الأوراق. وقالت: "نعم، هناك تقرير طبي يقولُ شيئاً عن... لستُ واثقةً كيف ألفظُها... التهاب..."

فلقنتها السيدةُ راموتسوي قائلةً: "تقي العظم، ويتطلبُ استئصال الإصبع عند مفصل السلامية الأقرب".

وقالت الموظفةُ: "نعم، بالضبط".

بقيتْ هناك بضعةُ تفاصيل أخرى يجبُ الحصولُ عليها ففعلت السيدةُ راموتسوي ذلك قبل أن تشكرَ الموظفة وتنهي المكالمة. وجلست هادئة تماماً للحظاتٍ وهي تستمتعُ بالشعورِ بالرضا أنها قد كشفت الخدعة بهذه السرعة. ولكن كانت ما تزالُ هناك بعضُ الأجزاء غير المنجزة يجبُ الاهتمامُ بها. فكان عليها أن تذهبَ إلى ماهالابي من أجل هذا الأمر. وكانت راغبةً أن تقابلَ موريتسي إن أمكنها ذلك. وكانت تتطلعُ أيضاً لمقابلةٍ مع محاميه. واعتقدتْ أن هذا سيجلبُ لها المتعة خلال ساعتين من القيادة على طريق فرانسيس تاون المريع.

أبدى المحامي أنه راغبٌ تماماً بمقابلتها عصرَ ذلك اليوم. وقد اعتقد أن هيكتور قد فوّضها لطلب التسوية. فتخيل أنه سيكونُ من السهولة أن يُرهبَها لترضى بالتسوية بشروطه. وقد يحاول وموكّله الحصولَ على أكثر من أربعة آلاف بقليل. وفي الواقع، كان بإمكانه

أن يقولَ إنه كانت هناك عواملُ جديدةٌ في تقييم العطلِ والضرر تجعلُ الأمرَ ضرورياً أن يطلبا المزيد. وكان سيستخدمُ كلمة كمية (quantum) وهي كلمةٌ لاتينية على حدّ اعتقاده أو سيشيرُ حتى إلى قرارٍ جديدٍ لمحكمةِ الاستئناف أو حتى قسم الاستئناف في "بلويمفونتين". فكان هذا ليخيفَ أياً كان ولا سيما امرأة! وكان واثقاً أن السيد موريتسي سيكونُ قادراً على أن يتواجدَ هناك. لقد كان رجلاً مشغولاً بالطبع. كلا، بل لم يكن كذلك في الواقع. إذ إن الرجلَ المسكينَ لا يستطيعُ العملَ نتيجةً لإصابته. ولكنه كان سيتأكدُ من أنه سيتواجدُ هناك.

ضحكت السيدةُ راموتسوي ضحكةً خافتةً وهي تضعُ السماعة. وتخيلت أن المحامي كان سيحضرُ موكلَه من إحدى الحانات حيث سيكونُ على الأرجح يحتفلُ مسبقاً بجائزةِ الأربعة آلاف بولا. حسناً، لقد كانت تنتظرُه مفاجأةٌ غير سارة. فكانت السيدة راموتسوي ستؤدي مهمةَ وكيلة العقاب.

تركتْ مكتبَها في رعايةِ سكرتيرتها، وانطلقتْ إلى ماهالابي في سيارةِ الفان البيضاء الصغيرة. وقد ازدادَ اليومُ حرارةً. فقد كان الطقسُ في وقتِ الظهرِ حاراً فعلاً. وفي غضون بضعةِ أشهر، كان الطقسُ سيصبحُ غيرَ محتملٍ في وقتِ الظهر. وكانت ستكرهُ أن يكونَ عليها القيادةُ أيةَ مسافةٍ في مثلِ هذه الحرارة. فسافرت ونافذتُها مفتوحةٌ. وكان الهواءُ المندفعُ يخففُ الحرارةَ في سيارةِ الفان. وقادت السيارةَ مروراً بالتلالِ إلى شرقِ موتشودي ونزولاً إلى الوادي العريضِ الذي يقعُ خلفَها. وكان كلُّ ما حولها مجردَ قفرٍ لا نهايةَ له ممتدٍ إلى حدود صحراء كالاهاري على أحد الجانبين وسهول ليمبوبو على الجانبِ الآخر. كان قفراً فارغاً ولا شيء فيه سوى بعضِ الماشيةِ هنا وهناك يراها المرءُ بين الحين والآخر وبعضِ طواحين الهواء التي تصدرُ صوتَ صريرٍ وتخرجُ مجرى رقيقاً من الماء من



أجلِ الحيواناتِ العطشى. ولم يكن هناك شيء آخر. فقد كان الفراغُ هو ما كانت بلادُها تشتهر به.

كانت على بعد نصف ساعةٍ من ماهالابي عندما انطلقتِ الأفعى عبرَ الطريق. ورأتها أولاً عندما كان جسمُها في حوالى منتصفِ الطريق. فكانت تبدو كرمحٍ أخضرِ اللونِ على الإسفلتِ الأسود. وعندئذ، أصبحت سيارةُ الفان فوقَ الأفعى. فأخذتْ نفساً عميقاً، وأبطأتْ سرعةَ السيارةِ وهي تنظرُ خلفَها بالمرآة. أين كانت الأفعى؟ هل نجحت في عبورِ الطريق في الوقتِ المناسب؟ كلا، إنها لم تفعل ذلك. فقد رأتها تدخلُ تحت سيارةِ الفان. وكانت واثقةً من أنها قد سمعتْ صوتاً كصوتِ ارتطامٍ غيرِ واضح.

توقفتْ على جانبِ الطريقِ ونظرتْ في المرآةِ مجدداً. ولم يكن هناك دليلٌ على وجود الأفعى. فنظرتْ إلى عجلة القيادة، ونقرتْ بأصابعها عليها بخفة. ربما كانت الأفعى أسرعَ من أن تُرى، فتلك الأفاعي يمكنها أن تتحركَ بسرعة مدهشة. ولكنها كانت قد نظرتْ إليها مباشرةً تقريباً. وكانت أفعى كبيرةً جداً بحيثُ لا يمكنُ أن تختفي هكذا وحسب. كلا، بل كانت الأفعى في مكانٍ ما من سيارةِ الفان في الأجزاءِ الميكانيكية أو ربما تحت مقعدها. وقد سمعت أكثرَ من مرةٍ عن أناسٍ يأخذون أفاعيَ كركاب، وأولُ ما يعرفونه عنها هو عندما تعضُّهم. وقد سمعت عن أناس يموتون عند عجلة القيادة، وهم يقودون، بعضاتِ أفاعٍ تعلقُ بأنابيبَ وقضبان في هذا الاتجاه أو ذاك تحت سياراتهم.

شعرت السيدةُ راموتسوي برغبةٍ مفاجئة في مغادرةِ سيارةِ الفان. ففتحتِ البابَ بترددٍ أول الأمرِ ثم دفعته إلى الوراء، وقفزت إلى الخارج، ووقفتْ بجانبِ السيارة وهي تلهثُ. لقد كانت هناك أفعى تحت سيارة الفان البيضاء الصغيرة، وكانت متأكدة من ذلك حينئذ. ولكن كيف كانت ستتمكنُ من إخراجها؟ وأي نوعٍ من الأفاعي كانت؟ لقد كانت خضراء اللون كما تذكرت، مما يعني أنها لم تكن من نوعِ

المامبا على الأقل. لقد كان ما يقوله الناسُ عن أفاعي المامبا الخضراء مقبولاً من بعضِ النواحي، فقد كانت موجودةً بالتأكيد. ولكنّ السيدة راموتسوي كانت تعلمُ أنها محدودةٌ جداً في انتشارها. وهي بالتأكيد غيرُ موجودةٍ في أي جزء من بتسوانا. فاعتقدتْها من أفاعي الكوبرا على الأرجح لأنها كانت كبيرةً كفايةً لتكون كذلك. ولم تستطع أن تفكرَ بأيةِ أفعى خضراء أخرى بذلك الطول.

وقفتِ السيدةُ راموتسوي ساكنةً تماماً. إذ كان من الممكن أن تكونَ الأفعى تراقبُها في تلك اللحظةِ بالذات وهي جاهزةٌ للهجوم إن اقتربتْ منها أكثر. أو من الممكنِ لها أن تكونَ قد تسللتْ إلى داخل سيارةِ الفان أو أن تكونَ حتى مستقرةً تحت مقعدِها. فانحنتْ إلى الأمام وحاولتْ أن تنظرَ تحت سيارةِ الفان. ولكنها لم تستطعْ أن تنخفضَ كفايةً دون أن تجثوَ على يديها وركبتيها. وإن فعلتْ ذلك واختارت الأفعى أن تتحرك فقد كانت تخشى ألا تتمكن من الابتعاد بسرعة كافية. فوقفت مجدداً، وفكرت بتفكير. فهذه هي أهميةُ وجود الأزواج. فلو كانت قد قبلتْ به زوجاً منذ وقتٍ طويل عندئذٍ ما كانت لتقودَ وحدها إلى ماهالابي. وكان ليتواجدَ معها رجل. فكان لينزل تحت سيارة الفان ليخرجَ الأفعى من مكانها.

كان الطريقُ هادئاً جداً. ولكن كانت تمرُّ منه سيارةٌ أو شاحنةٌ بين الحين والآخر. وعندئذٍ، شعرتْ بوجود سيارةٍ قادمة من اتجاه ماهالابي. وأبطأتِ السيارةُ سرعتَها وهي تقتربُ منها ثم توقفت. وكان هناك رجلٌ جالسٌ في مقعدِ السائقِ وصبيٌّ صغيرٌ بجانبه.

وناداها بأدبٍ قائلاً: "هل أنت في ورطةٍ، يا سيدتي؟ هل تعطلتْ سيارتُك؟"

فقطعتِ السيدةُ راموتسوي الطريقَ، وتكلمتْ معه عبرَ نافذته المفتوحة، وشرحتْ له أمرَ الأفعى. فأطفأ محرك سيارته، وخرج آمراً الصبي أن يبقى في مكانه.



وقال: "إنها تدخلُ إلى الأسفلِ. ويمكنُ للوضعِ أن يكونَ خطراً. وقد كنتِ محقةً بالوقوف".

اقتربَ الرجلُ من سيارةِ الفانِ بحذر. ثم مدَّ يده منحنياً من خلال بابِ السيارةِ المفتوحِ إلى الرافعةِ التي تحررُ الغطاءَ المعدني، ونقرَها نقرةً قوية. ثم مشى ببطءٍ حول مقدمةِ سيارةِ الفان وهو يشعرُ بالرضا لأنها قد عملت، وبدأ يفتحُ الغطاءَ بحرص. فانضمتِ السيدةُ راموتسوي إليه مختلسةً النظرَ من فوق كتفه ومستعدةً للهربِ بمجرد أن ترى الأفعى.

وفجأةً، تسمرَ الرجلُ في مكانه، وقال بنعومةٍ شديدة: "لا تأتي بأيةِ حركةٍ مفاجئة. فها هي هنا، انظري إليها".

اختلستِ السيدةُ راموتسوي النظرَ إلى مكانِ المحرك. فلم تستطعْ للحظاتٍ أن تميزَ أي شيء غير اعتيادي. ولكنّ الأفعى تحركتْ عندئذٍ بعضَ الشيء، فرأتها. وكانت على حق، فقد كانت أفعى كوبرا ملتفةً حول المحرك. وكان رأسُها يتحركُ ببطءٍ إلى اليمين واليسار وكأنها تبحثُ عن شيء ما.

كان الرجلُ ساكناً تماماً، ثم لمسَ ذراعَ السيدةِ راموتسوي، وقال: "امشي بحذرٍ شديد عائدةً إلى البابِ وادخلي السيارةَ وشغلي المحرك. أتفهمين هذا؟"

فأومأتِ السيدةُ راموتسوي برأسها. ثم تحركتْ ببطءٍ قدر المستطاع. وعندئذٍ، أرختْ نفسَها على مقعد القيادة، ومدتْ يدَها إلى الأمام لتديرَ المفتاح.

اشتغلَ المحركُ مباشرةً كما لطالما كان يفعل. إذ إن سيارةَ الفانِ البيضاءَ الصغيرة لم تخفقْ قط في العملِ من المرةِ الأولى.

وصاح الرجل: "اضغطي على دواسةِ البنزين، وشغلي المحرك".

ففعلتِ السيدةُ راموتسوي كما قال لها. فهدرَ المحركُ بصوتٍ مغمغم. وصدرَ صوتُ ضجةٍ من المقدمةِ وصوتُ ارتطامٍ آخر. ثم

أشـارَ الـرجلُ إليها لتطفأ المحرك. ففعلت السيدةُ راموتسوي ذلك. وانتظرت ليقول لها فيما إذا كان من الأمانِ الخروجُ أم لا.

فنادى قائلاً: "يمكنك الخروجُ. فهذه هي نهايةُ الكوبرا".

خرجتِ السيدةُ راموتسوي من السيارة والتفتْ نحو المقدمة. ثم نظـرتْ إلـى المحـركِ، وشاهدتْ الكوبرا قد انفصلتْ إلى قطعتين. وكانت ساكنةً تماماً.

وقال الرجلُ وقد بدا الاشمئزازُ على وجهه: "لقد لفتْ نفسَها على شـفراتِ المـروحة. يـا لها من ميتةٍ مثيرةٍ للاشمئزاز حتى بالنسبة لأفعـى. ولكـن كـان من الممكنِ لها أن تزحفَ إلى داخلِ السيارةِ وتعضك، كما تعلمين. ولكن ها أنتِ ما تزالين حية".

شكرتْه السيدةُ راموتسوي، وقادت السيارةَ مبتعدةً تاركةً الأفعى علـى جانـبِ الطـريق. وأثبتتِ الرحلةُ أنها رحلةٌ حافلةٌ حتى لو لم يحدثْ شيء آخر خلال نصفِ الساعة الأخيرة.

قال السيد جايمسن موبوتسوين المحامي من ماهالابي وهو جالسٌ فـي مكتبِه غير الجذاب الواقعِ بجانب دكان أحد اللحّامين: "سيكونُ على موكلـي المسكين أن يتأخرَ قليلاً لأن الرسالةَ وصلتْه منذ وقتٍ قصير. ولكن يمكنني وإياكِ أن نناقشَ تفاصيلَ التسويةِ قبل أن يصل".

استـمتعتِ الـسيدةُ راموتـسوي بهـذه اللحظة. فاستندتْ على كرسيها، ونظرتْ في أنحاءِ الغرفةِ ذاتِ الأثاثِ البسيط، وقالت: "إذاً، ليس العملُ جيداً جداً هذه الأيام". وأضافت قائلةً: "هنا".

فاتخذ جايمسن موبوتسوين مظهراً عدائياً، وقال: "ليس سيئاً. في الواقعِ، إنني مشغولٌ جداً. فأنا آتي إلى هنا في الساعةِ السابعة. وأبقى ناشطاً في العملِ حتى السادسة".

فسألتِ السيدةُ راموتسوي ببراءة: "كل يوم؟"

فحدّق جايمسن موبوتسوين بها بغضب قائلاً: "نعم، كل يوم، بما في ذلك أيام السبت والأحد أحياناً".



فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "يبدو أن لديك الكثيرَ لتفعلَه".

فاعتبرَها طريقةً للاسترضاءِ، وابتسم. ولكن السيدةَ راموتسوي تابعـتْ قائلةً: "نعم، لديك الكثيرُ لتفعلَه وأنت تحاولَ تمييزَ الأكاذيبِ التـي يخبـرُك إياهـا موكلوك عن الحقائقِ التي يقولونها بين الحين والآخر".

فوضع جايمسن موبوتسوين قلمَه على طاولةِ مكتبِه، وحدقَ فيها بغـضب. وفكـرَ متسائلاً من تكونُ هذه المرأةُ الفضوليةُ، وبأي حقٍ تـتكلمُ عـن موكلـيه هكذا؟ وإذا كانت هذه هي الطريقةُ التي كانت سـتلعبُ بها اللعبةَ إذاً كان ليسرَّه الأمرُ تماماً أن لا يرضى بالتسوية، فـيكونُ علـيه أن يرضى بالأتعابِ حتى لو كان وصولُ القضيةِ إلى المحكمةِ سيؤجلُ دفعَ العطلِ والضررِ لموكله.

وقال ببطء: "إن موكليَّ لا يكذبون. أو أنهم لا يفعلون ذلك أكثرَ مـن أيِّ شـخصٍ آخر على أية حال. ولا دخلَ لك، إن سمحتِ لي، لتقترحي أنهم كاذبون".

فـرفعتِ الـسيدةُ راموتسوي أحدَ حاجبيها، وقالت متحديةً: "آه، كـلا. حسناً، دعنا وحسب نأخذُ السيدَ موريتسي كمثالٍ على ذلك. كم إصبعاً لديه؟"

ونظـرَ جايمـسن موبوتسوين إليها بازدراء، وقال ساخراً: "إنه لتصرفٌ رخيصٌ أن تسخري من المصابين. فأنت تعلمين جيداً أنَّ له تـسعةَ أصـابع، أو تـسعةً ونصف إن أردتِ أن تجادلي في توافه الأمور".

فقالـتِ السيدةُ راموتسوي: "هذا مثيرٌ جداً للاهتمام. وإذا كانت هذه هي القضيةُ إذاً كيف يمكنُ له أن يكونَ قد قام بادعاءٍ ناجحٍ ضد شـركةِ "كالاهاري" للحوادث والتأمين منذ ثلاث سنوات تقريباً بسبب فقدان أحدِ أصابعه في حادثةٍ بإحدى محطات الوقود. كيف يمكنك أن تشرح هذا؟"

فجلسَ المحامي بسكونٍ تام، ثم قالَ بضعف: "أفقدَ أحدَ أصابعِه منذ ثلاث سنوات؟"

فقالتِ السيدة راموتسوي: "نعم، وطلبَ أربعةَ آلاف بولا. يا لها من مصادفة! وقبلَ بالتسوية على ثلاثة آلاف وثمانمائة. وقد أعطتني الشركةُ رقم الدعوى إن أردتَ التحقق. إن أصحابها دائماً متعاونون، كما اكتشفت. فعندما تكونُ هناك أيةُ مسألة تتعلقُ باكتشاف خدعةٍ في التأمين يكونون متعاونين بشكلٍ ملحوظ.

لم يقلْ جايمسن موبوتسوين شيئاً. فشعرتِ السيدةُ راموتسوي فجأةً بالأسفِ عليه. فهي لم تكن تحبُ المحامين، ولكنه كان يحاولُ أن يكسبَ عيشَه كبقيةِ الناس. وربما كانت قاسيةً جداً عليه، فقد يكونُ يعيلُ والدين كبيرين في السن.

وقالت بلطفٍ تقريباً: "أرني التقريرَ الطبي، فأنا مهتمةٌ برؤيته".

ومدَّ المحامي يده إلى ملف على طاولة مكتبه، وأخرجَ تقريراً، وقال: "تفضلي. إنه يبدو حقيقياً تماماً".

ونظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى الورقة المروّسة، ثم أومأت برأسِها قائلةً: "إنه تماماً كما اعتقدت. انظر إلى التاريخِ هناك. لقد مُحي وطُبعَ تاريخٌ جديد. فقد بُترَ أحدُ أصابعِ صاحبنا في السابقِ وقد يكونُ ذلك حتى نتيجةً لحادث. ولكنَّ كلَّ ما فعلَه عندئذٍ هو أنه حصلَ على سائلٍ مصححٍ وغيرَ التاريخ واختلقَ حادثةً جديدة، هكذا ببساطة".

أخذَ المحامي الورقةَ ورفعَها إلى الضوء، ولم يكن بحاجة حتى ليفعلَ ذلك. فقد كان السائلُ المصححُ مرئياً بوضوحٍ كافٍ من النظرة الأولى.

وقالتِ السيدةُ راموتسوي: "إنني متفاجئةٌ أنك لم تلاحظ ذلك. فالأمرُ لا يحتاجُ إلى مختبرٍ شرعي لترى ما فعلَه".



وحدثَ في تلك اللحظة من خزي المحامي أن وصلَ موريتسي. فدخلَ إلى المكتب، ومدَّ يدَه ليصافحَ السيدة راموتسوي. فنظرتِ إلى يده، ورأتِ الإصبعَ المبتور، فرفضتْ أن تصافحه.

وقال له جايمسن موبوتسوين ببرود: "اجلس".

فبدا موريتسي متفاجئاً ولكنه فعلَ ما قال له، وقال: "إذاً أنت هي السيدةُ التي جاءت لتدفع...".

فقاطعَه المحامي قائلاً: "إنها لم تأتِ لتدفعَ أي شيء، بل قطعتْ كلَّ الطريقِ من غابورون لتسألك لماذا تستمرُ بالادعاء من أجل أصابعَ مفقودة".

وراقبتِ السيدةُ راموتسوي تعبيرَ وجه السيد موريتسي بينما كان المحامي يتكلم. فحتى لو لم يكن هناك دليلٌ على تغيير تاريخِ التقرير الطبي لكانت نظرتُه المخزيةُ لتقنعَها. إذ إن الناسَ دائماً ينهارون عندما يواجَهون بالحقيقة. والقليلُ منهم فقط هم الذين يواجهونها بشجاعة.

وقال بضعف: "استمرُ بالادعاء؟"

فقالتِ السيدة راموتسوي: "نعم، فأنت تدعي، كما أعتقدُ، أنك قد فقدتَ ثلاثةَ أصابع. ورغم ذلك فإذا نظرتُ إلى يدكِ اليوم أرى أن اثنين قد عاودا النمو بمعجزة! هذا رائع! ربما تكونُ قد اكتشفتَ دواءً جديداً يساعدُ الأصابعَ على معاودةِ النمو بعد أن تكونَ قد بترت".

فقال المحامي بارتباك: "ثلاثة؟"

فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى موريتسي، وقالت: "حسناً، هناك شركةُ كالاهاري للحوادث. وهناك... هل يمكنك أن تنعشَ ذاكرتي؟ إنها مكتوبةٌ لدي في مكانٍ ما".

نظرَ موريتسي إلى محاميه طلباً للدعم، ولكنه لم يرَ سوى الغضب.

وقال بهدوء: "شركةُ ستار للتأمين".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "آه، شكراً لك لتذكيري بذلك".

والتقط المحامي التقرير الطبي ولوحَ به لموكله قائلاً: "وقد توقعتَ أن تتمكنَ من خداعي بهذا التزوير غير المتقن؟ وتوقعتَ أن تنجو بفعلتك؟"

فلم يقلْ موريتسي شيئاً وكذلك السيدةُ راموتسوي. فهي لم تكن متفاجئةً بالطبع. إذ إن أولئك الناسَ مخادعون تماماً حتى لو كانت لديهم شهادةٌ في القانون تكتبُ بعد أسمائهم.

وقال جايمسن موبوتسوين: "على أية حال، هذه هي نهايةُ خدعك. فسوف تواجهُ تهماً بالخداع كما تعلم. وسيكونُ عليك الذهابُ إلى محامٍ آخر ليدافعَ عنك. فأنا لن أفعلَ ذلك، يا صاحبي".

فنظرَ موريتسي إلى السيدةِ راموتسوي التي نظرتْ إليه مباشرةً وسألته: "لماذا فعلتَ هذا؟ أخبرني وحسب لماذا ظننتَ أنك ستنجو بفعلتك".

فأخرجَ موريتسي منديلاً من جيبه ونظفَ أنفه.

وقال: "إنني أعتني بوالديّ. ولي أختٌ تعاني من مرض يقتل الجميعَ في هذه الأيام. إنك تعرفين ما أتحدثُ عنه. وهي لها أطفال، وعليّ أن أعيلهم".

فنظرت السيدةُ راموتسوي إلى عينيه. وقد كانت قادرةً دائماً أن تعتمدَ على قدرتها في معرفة فيما إذا كان أحدُهم يقولُ الحقيقةَ أم لا. فعرفتْ أن موريتسي لم يكن يكذب. وفكرت بسرعة أنه لم تكن هناك فائدةٌ من إرسالِ ذلك الرجلِ إلى السجن. فماذا سيحققُ ذلك؟ إنه بالكاد سيضيفُ إلى معاناة آخرين، وهم والداه وأخته المسكينة. فكانت تعلمُ عما كان يتكلمُ وكانت تفهم ما يعني.

فقالت: "حسناً، لن أخبرَ الشرطةَ عن شيءٍ من هذا. ولن يفعلَ موكلي ذلك أيضاً. وبالمقابل، ستعدني أنه لن تكونَ هناك أي أصابعَ مفقودة. هل تفهم هذا؟"



فأومأ موريتسي برأسه، وقال: "إنك سيدةٌ مسيحيةٌ صالحة. وسوف يسهلُ الربُ الأمورَ عليك في السماء".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "آملُ ذلك. ولكنني أيضاً سيدةٌ مزعجةٌ جداً أحياناً. وإذا حاولتَ أن تفعلَ أياً من هذا الهراء مع شركاتِ التأمين عندئذٍ ستجدُ أنني أصبحُ بغيضةً جداً".

قال موريتسي: "إنني أفهمك تماماً".

وقالت السيدةُ راموتسوي وهي تلقي نظرةً خاطفةً على المحامي اليقظ: "هناك بعضُ الناس في هذه البلاد، بعضُ الرجالِ خاصةً، يعتقدون أن النساء ناعماتٌ ويمكنُ استعطافُهن بهذه الطريقةِ أو تلك. حسناً، إنني لستُ كذلك. فيمكنني أن أخبرك إن كنتَ مهتماً أنني قد قتلتُ أفعى كوبرا كبيرةً وأنا في طريقي إلى هنا عصرَ هذا اليوم".

قال جايمسن موبوتسوين: "أوه. ماذا فعلت؟"

فقالت السيدةُ راموتسوي: "لقد قطعتُها نصفين".

# العظمُ السنْعي الثالث

كــلُ ذلــك كــان تسليةً. فقد كان التعاملُ مع قضيةٍ كهذه بتلك السرعةِ والوصولُ إلى رضا الزبون التام أمراً ساراً. ولكنّ المرءَ لا يستطيعُ أن يُبعدَ من ذهنه حقيقةَ أنه كان هناك ظرفٌ بني صغير في الدرجِ فيه محتوياتٌ لا يمكنُ تجاهلُها.

أخــرجتْه بحذرٍ غير راغبةٍ أن تراه السيدةُ ماكوتسي. فقد كانت تعــتقدُ أنــه بإمكانها الوثوقُ بها. ولكنّ تلك كانت مسألةً أكثرَ سريةً بكثيرٍ من أيةِ مسألةٍ أخرى صادفتها حتى ذلك الوقت. فقد كانت تلك مسألةً خطرة.

غــادرت المكتبَ مخبرةً السيدةَ ماكوتسي أنها كانت ذاهبةً إلى المــصرف. فقد وصلتْ عدةُ شيكات، وكان يجبُ أن يتمَ إيداعُها في المــصرف. ولكــنها لــم تذهب على المصرف، أو على الأقل ليس مباشــرة. فقــد قادت سيارتَها عوضاً عن ذلك إلى مستشفى الأميرةِ مارِيــنا، وتــبعتِ اللافتاتِ التي كُتبَ عليها "علم الأمراض". فأوقفتْها إحــدى الممرضــات قائلةً: "هل أتيتِ للتعرفِ على إحدى الجثث، يا سيدتي؟"

فهــزت الــسيدةُ راموتــسوي رأسَها، وقالت: "لقد أتيتُ لرؤيةِ الدكــتور "غولوبــين". إنــه لا يتوقعُ زيارتي، ولكنه سيقابلُني. فأنا جارته".

فنظــرت الممرضــةُ إليها بارتياب، ولكنها قالت لها أن تنتظرَ ريــثما تذهبُ لتحضرَ الطبيبَ. ثم عادت بعد بضعِ دقائقَ، وقالت إن الطبيبَ سيكونُ معها بعد وقتٍ قصير.

وقالت باستنكار: "ينبغي عليك ألا تزعجي أولئك الأطباءَ في المستشفى، فهم أناسٌ كثيرو الانشغال".

فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى الممرضة. كم كان عمرُها؟ تسعة عشر؟ عشرون؟ في أيام والدها لم تكن فتاةٌ في التاسعة عشرة لتتحدثَ مع امرأةٍ في الخامسة والثلاثين بتلك الطريقة. فقد تحدثتْ إليها وكأنها كانت طفلةً تطلبُ طلباً مزعجاً. ولكنّ الأمورَ اختلفت الآن، فالشبابُ الصاعدُ لا يبدي أي احترامٍ للذين هم أكبرُ منهم سناً وحجماً أيضاً. هل كان ينبغي عليها أن تخبرَها أنها تحريةٌ خاصة؟ كلا، إذ لم تكن هناك فائدةٌ من المشاركةِ بالحديثِ مع شخصٍ مثلها. فرأتْ أنه كانَ من الأفضلِ أن تتجاهلَها.

وصلَ الدكتور غولوبين. وكان يرتدي مئزراً أخضرَ اللون. والسماءُ وحدها تعلمُ أيةَ مهمةٍ مريعةٍ كان يؤديها. فكان يبدو مسروراً تماماً أنه قد تم إبعادُه عنها.

وقال: "تعالَي معي إلى مكتبي. ويمكننا التحدثُ هناك".

تبعتْه السيدةُ راموتسوي في ممرٍ إلى مكتبٍ صغيرٍ مؤثثٍ بطاولةٍ فارغةٍ تماماً وهاتفٍ وخزانةِ ملفاتٍ رماديةٍ معطوبة. فكان المكتبُ شبيهاً بمكتبِ موظفٍ مدني صغير. وكانت هناك كتبٌ طبيةٌ فقط على الرف مما يفصحُ عن الغرضِ الحقيقي منه.

وبدأت قائلةً: "إنني أعملُ تحريةً في هذه الأيام، كما تعلم".

ابتسمَ الدكتور غولوبين ابتسامةً عريضةً. فاعتقدتْ أنه كان رجلاً مبتهجاً بشكلٍ ملحوظٍ إذا أُخذتْ طبيعةُ عمله بعينِ الاعتبار.

وقال: "لن تجعليني أتحدثُ عن مرضاي حتى لو كانوا جميعاً موتى".

فشاركتْه الدعابةَ قائلةً: "ليس هذا ما أريدُه. فكلُّ ما أودُّ منك أن تفعلَه هو أن تتعرفَ على شيءٍ من أجلي، وهو معي". وأخرجت الظرفَ، وأفرغتْ محتوياتِه على طاولةِ المكتب.



فتوقفَ الدكتورُ غولوبين عن الابتسامِ مباشرةً، وتناولَ العظمةَ، وعدّلَ وضعَ نظارته، وتمتمَ قائلاً: "إنه عظمٌ سنعي ثالث لطفلٍ في الثامنةِ أو التاسعة، أو شيءٌ من هذا القبيل".

واستطاعتِ السيدةُ راموتسوي أن تسمعَ صوتَ نفسِها وهي تقول: "أهي بشرية؟"

فقال الدكتور غولوبين: "بالطبع. إنها من طفل، كما قلت. فعظمةُ إنسانٍ راشدٍ ستكونُ أكبرَ حجماً. ويمكنك أن تعرفي هذا من نظرة واحدة. إنه طفلٌ في الثامنةِ أو التاسعة، وربما أكبرُ قليلاً".

وضعَ الطبيبُ العظمةَ على الطاولة، ونظرَ إلى السيدةِ راموتسوي قائلاً: "من أين حصلتِ عليها؟"

فهزت السيدةُ راموتسوي كتفيها، وقالت: "أحدُهم أراها لي. ولن تجعلني أتحدثُ عن زبائني أيضاً".

أصبحَ وجهُ الدكتور غولوبين معبراً عن الاشمئزاز وهو يقول: "لا ينبغي أن يتم تداولُ هذه الأشياء هكذا. إنّ الناسَ لا يظهرون احتراماً".

فأومأتِ السيدةُ راموتسوي برأسها موافقةً، وقالت: "ولكن هل يمكنك أن تخبرَني المزيد؟ هل يمكنك أن تخبرَني متى... متى توفي الطفل؟"

فتحَ الدكتور غولوبين أحدَ الأدراجِ، وأخرجَ عدسةً مكبرةً قام بواسطتِها بفحصِ العظمةِ أكثر وهو يقلّبُها على راحةِ يده.

وقال: "ليس من وقتٍ طويل. إذ إنّ هناك كميةً صغيرةً من النسيجِ هنا على القمة. وهي لا تبدو جافةً كلياً. فربما حدث ذلك منذ بضعة أشهر وربما أقل. ولا يمكنك أن تكوني واثقةً من هذا".

ارتجفتِ السيدةُ راموتسوي، فقد كان التعاملُ مع عظمةٍ شيئاً، ولكنّ التعاملَ مع نسيجٍ بشري كان مسألةً مختلفةً تماماً".

وقال الدكتور غولوبين: "وهناك أمرٌ آخر. كيف تعرفين أن الطفل صاحبَ العظمة قد توفي؟ لقد اعتقدت أنك التحرية وأنك بالتأكيد قد فكرت: إن هذه هي أحد الأطراف. ويمكنُ للناسِ أن يفقدوا الأطرافَ ويبقوا على قيدِ الحياة رغم ذلك. هل فكرتِ بذلك، يا سيدتي التحرية؟ أراهنُ أنك لم تفعلي ذلك".

نقلت تلك المعلوماتِ إلى السيد جي. إل. بي. ميتكوني أثناء تناولهما العشاء في المنزل. وكان قد قبل دعوتها على العشاء في المنزلِ بسرور. فأعدت قدْراً كبيراً من اليخنة وطبقاً آخرَ من الأرز والبطيخ. وفي أثناء الوجبة، أخبرته عن زيارتها للدكتور غولوبين فتوقفَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني عن الأكل.

وقال بخيبةِ أمل في صوته: "طفل؟"

"هذا ما قاله الدكتور غولوبين. ولم يتمكنْ أن يتأكدَ من عمره. ولكنه قال إنه في حوالى الثامنة أو التاسعة".

فأجفلَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني. فقد كان ليكون من الأفضلِ بكثير لو أنه لم يجدِ الكيسَ أبداً. لقد كانت تلك الأمور تحدث. وكان الجميعُ يعرفون ذلك. ولكنّ المرء لا يريد أن يتورطَ بها، فهي قد تعني المتاعبَ فقط، ولا سيما إذا كان تشارلي غوتسو متورطاً بها.

سألته السيدةُ راموتسوي: "ماذا سنفعل؟"

فأغمضَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني عينيه، وابتلع بصعوبة قائلاً: "يمكننا أن نذهبَ إلى الشرطة. وإذا فعلنا ذلك، فسيسمعُ تشارلي غوتسو عن إيجادي للكيس. وهذا ستكونُ فيه نهايتي، أو تقريباً كذلك".

فوافقته السيدةُ راموتسوي. فالشرطةُ لديها اهتمامٌ محدودٌ بمطاردةِ الجريمةِ. وهناك أنواعٌ محددةٌ من الجريمة لم تكنْ تهمها على الإطلاق. إذ إن تورطَ أقوى الشخصياتِ بالسحر يكونُ بالتأكيد من الفئة الأخيرة".



وقالت السيدةُ راموتسوي: "لا أعتقدُ أنه ينبغي علينا الذهابُ إلى الشرطة".

فثبّتَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني نظره على السيدةِ راموتسوي بنظرةٍ مناشدة قائلاً: "إذاً ننسى الأمرَ وحسب؟"

فقالت: "كلا، لا نستطيعُ ذلك. لقد نسيَ الناسُ هذا النوعَ من الأشياء لمدةٍ طويلةٍ بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟ لذا، لا نستطيعُ نحن ذلك".

أخفضَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني نظره، وكان يبدو أن شهيتَه قد هجرته عندئذ. فكانت يخنتُه تتجمدُ على طبقه.

وقالت: "إن أولَ ما علينا أن نفعله هو أن نرتبَ لكسر زجاج سيارةِ تشارلي غوتسو الأمامي. ثم تتصل به وتخبره أن اللصوصَ قد اقتحموا السيارةَ وهي في الكراج وأنه لا يبدو أنّ شيئاً قد سرق. ولكنك ستدفعُ عن طيبِ خاطرٍ ثمنَ زجاجٍ أمامي بنفسك. ثم تنتظرُ وترى".

"ترى ماذا؟"

"ترى إن عادَ وقال إن هناك شيئاً مفقوداً. فإذا فعلَ ذلك تخبره أنك سوف تأخذُ على عاتقك استعادةَ ذلك الشيء شخصياً مهما كان، وتقولُ له إنّ لديك إحدى المعارف وهي تحريةٌ خاصةٌ بارعةٌ جداً باستعادةِ الأشياء المسروقة. وهي أنا، بالطبع".

وكان فكُّ السيدِ جي. إل. بي. ميتكوني قد تدلى. فالمرءُ لا يستطيعُ ببساطةٍ أن يصعدَ إلى تشارلي غوتسو هكذا وحسب. بل يجب عليه أن ينشدَ مساعدةَ بعضِ أصحابِ النفوذ ليراه.

"وماذا عندئذ؟"

"عندئذ، أعيدُ الكيسَ له. وتتركُ الأمرَ لي، فسأحصلُ على اسم الطبيبِ المشعوذ. ثم... حسناً، سنفكرُ بماذا سنفعل بعد ذلك".

جعلتِ الأمرَ يبدو بسيطاً بحيث إنه وجدَ نفسَه مقتنعاً أن الأمرَ سينجح. فكان ذلك الشيءَ الرائعَ حيال الثقة – وهو أنها من الأشياءِ المُعْدية.

فاستعادَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني شهيتَه، وأنهى اليخنةَ، وأخذَ حصةً أخرى من الطعام. وبعد ذلك، شربَ فنجاناً كبيراً من الشاي قبل أن ترافقه السيدةُ راموتسوي إلى السيارةِ مودعةً.

وقفتْ في مدخلِ السيارات، وراقبتْ أضواءَ سيارتِه وهي تختفي. واستطاعت أن ترى من خلالِ الظلام أضواءَ منزل الدكتور غولوبين. وكانت ستائرُ غرفةِ المعيشةِ مفتوحةً. وكان الطبيبُ واقفاً عند النافذةِ المفتوحةِ ينظرُ إلى الخارجِ نحو الظلام. ولم يكن باستطاعته رؤيتَها لأنها كانت واقفةً في الظلام وكان هو في الضوء. ولكنَّ الأمرَ بدا تقريباً وكأنه كان يراقبُها.



## الفصل الثامن عشر

# الكثيرُ من الأكاذيب

ربتَ أحدُ الميكانيكيين الشبان على كتفِ السيدِ جي. إل. بي. ميتكوني تاركاً آثارَ أصابعَ من الشحم على ملابِسه. ولطالما كان هذا الشاب يفعلُ ذلك. فكان الأمرُ يزعجُ السيدَ جي. إل. بي. ميتكوني بشدة.

وكان قد قالَ في أكثرَ من مناسبة: "إذا أردتَ لفتَ انتباهي يمكنك دائماً أن تأتي للتحدثِ معي. فأنا لي اسم، وهو السيد جي. إل. بي. ميتكوني، وأستجيبُ لهذا الاسم. فليس عليك أن تأتي وتضعَ أصابعَك القذرة عليّ".

وكان الشابُ قد اعتذرَ عن ذلك، ولكنه ربتَ على كتفِه في اليوم التالي. فأدركَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني أنه كان يخوضُ معركةً خاسرة.

وقال الميكانيكي: "هناك رجلٌ يريدُ رؤيتك، يا سيدي. إنه ينتظرُ في المكتب".

ووضعَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني مفتاحَ الربط جانباً، ومسحَ يده بقطعةٍ من القماش. وقد كان منهمكاً بعمليةٍ دقيقةٍ بشكلٍ خاص، وهي ضبطٌ دقيقٌ لمحرك سيارةِ السيدة "غريس مابوندوي" التي كانت معروفةً بأسلوبِها الرياضي بالقيادة. وكان الأمرُ موضعَ فخرٍ للسيدِ جي. إل. بي. ميتكوني أن الناسَ كانوا يعرفون أن صوتَ محركِ سيارةِ السيدة مابوندوي الهادرَ كان يُعزى إلى جهوده. فكانت تلك دعايةً مجانيةً له بطريقةٍ ما. وللأسف، فقد دمرتْ سيارتَها. وكان الأمرُ يصبحُ أصعبَ فأصعبَ بالنسبة له ليجعلَ الحياةَ تدبُّ في المحرك الذي كان يزدادُ بطءاً.

كان الزائرُ جالساً في المكتب على كرسي السيد جي. إل. بي. ميتكوني. وكان قد تناول إحدى نشرات الإطارات، فكان يتصفحُها عندما دخلَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني الغرفة. وعندئذٍ، ألقى بها إلى الأسفل بلا مبالاة، وانتصبَ واقفاً.

لاحظَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني مظهرَ الرجلِ الآخر بسرعة. فقد كان يرتدي اللون الكاكي وكأنه أحدُ الجنود، وكان لديه حزامٌ باهظُ الثمنِ مصنوعٌ من جلدِ الأفاعي. وكان يرتدي أيضاً ساعة يد فاخرةً ذاتَ أقراصِ أرقامٍ متعددة وعقربِ ثوانٍ واضح. فكان السيد جي. إل. بي. ميتكوني يعتقدُ أنها من نوع الساعات التي يرتديها أولئك الناسُ الذين يشعرون بأهمية الثواني.

قال الزائرُ: "لقد أرسلني السيد غوتسو. فقد اتصلتُ به هاتفياً صباحَ هذا اليوم".

فأومأ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني برأسه. وقد كان كسرُ الزجاجِ الأمامي وبعثرةُ شظايا الزجاج في أنحاء السيارة أمراً سهلاً. وكذلك كان الاتصالُ بمنزلِ السيد غوتسو وإخبارُه أن السيارةَ قد تم اقتحامها. ولكن ذلك الجزءَ كان أكثرَ صعوبةً. فقد كان كذباً في وجه أحدهم. وفكرَ في نفسه: إنه خطأ السيدةِ راموتسوي. إنني ميكانيكي بسيط، ولم أطلبْ أن أتورطَ بألعابِ التحريين السخيفة هذه. فأنا ضعيفٌ جداً وحسب.

وقد كان كذلك عندما كان الأمرُ يتعلقُ بالسيدةِ راموتسوي. فقد كان باستطاعتها أن تطلبَ أي شيء منه، وكان يتجاوبُ معها. حتى إن السيدَ جي. إل. بي. ميتكوني كان لديه حلمُ يقظة، وكان يستمتعُ به شاعراً بالذنب دون أن يعترفَ بذلك. وكان يساعدُ فيه السيدة راموتسوي حيث يكونان معاً في صحراء كالاهاري ويهددُ أحدُ الأسود السيدةَ راموتسوي. فيصرخُ للفت انتباه الأسد إليه، ويلتفتُ الحيوان ويزأر. فكان هذا يمنحُها فرصةً للهرب بينما يقتلُ هو الأسدَ



بسكين الصيد. فكان ذلك حلمَ يقظةٍ بريء بما يكفي كما يمكنُ للمرء أن يعتقد.

لقد كان ليحبَ أن ينقذها من الأسد. ولكن ذلك الموقفَ كان مختلفاً. فقد كان عليه حتى أن يقدمَ بلاغاً كاذباً للشرطة مما أخافه فعلاً حتى مع أنهم لم يزعجوا أنفسهم بالقدوم والتحقيق. واعتقدَ أنه أصبحَ مجرماً حينئذٍ. وكلُ ذلك لأنه كان ضعيفاً. لقد كان ينبغي عليه أن يرفض. وكان ينبغي عليه أن يخبرَ السيدةَ راموتسوي أن وظيفتَها ليستْ أن تكونَ شديدةَ الحماس.

قال الزائرُ: "إن السيد غوتسو غاضبٌ جداً. فقد كانت تلك السيارةُ عندك لمدة عشرة أيام. والآن تتصلُ بنا وتخبرُنا أنه قد تم اقتحامها. أين تدابيرُك الأمنية؟ هذا ما يقولُه السيد غوتسو: أين هي تدابيرُك الأمنية؟"

شعرَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بقطرةٍ من العرقِ تجري على ظهره. فقد كان ذلك مريعاً، وقال: "إنني آسفٌ جداً، يا سيدي. إذ إن من يقومون بطرقِ الصفائح يستغرقون وقتاً طويلاً. ثم كان علي الحصولُ على قطعة جديدة. إذ لا يمكنك أن تضعَ أي شيء في تلك السيارات الباهظة...".

فنظرَ موظفُ السيد غوتسو إلى ساعته، ثم قال: "حسناً، حسناً. أعلمُ كم هم هؤلاء الناس بطيئون. أرني السيارة وحسب".

فأرشدَه السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني إلى الطريقِ خارجَ المكتب. وكان الرجلُ يبدو أقلَ تهديداً في ذلك الوقت. هل كان صرفُ الغضبِ بهذه السهولة؟

وقفا أمام السيارة. وكان قد سبقَ واستبدلَ الزجاجَ الأمامي ولكنه كان قد سندَ ما بقيَ من الزجاجِ المحطمِ على جدارٍ قريب. وكان أيضاً قد احتاطَ بأن ترك بضعَ قطعٍ من الزجاج المكسور على مقعدِ السائق.

فتحَ الزائرُ البابَ الأمامي وأنعمَ النظرَ داخلاً.

وقـال الـسيدُ جـي. إل. بي. ميتكوني: "لقد استبدلتُ الزجاجَ الأمامي بدون أي تكلفة. وسوف أجري تخفيضاً كبيراً في الفاتورة".

لم يقلْ الرجلُ الآخرُ شيئاً. وكان عندئذٍ منحنياً إلى الداخلِ يفتحُ قسمَ القفازات. فراقبَه السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بهدوء.

خرجَ الرجلُ من السيارةِ ونفضَ يده على بنطالِه. وكان قد جرحَ نفسَه بإحدى قطعِ الزجاج الصغيرة.

"هناك شيءٌ مفقودٌ من قسم القفازات. هل تعرفُ أيَّ شيءٍ عن هذا؟"

فهزَّ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني رأسَه ثلاث مرات.

وضـعَ الـرجل يدَه على فمِه ليمتصَّ الجرح، وقال: "لقد نسي السيد غوتسو أنه كان يحتفظُ بشيءٍ ما هناك. وتذكرَ ذلك فقط عندما أخبـرته عـن اقتحام السيارة. ولن يكونَ مسروراً أن يسمعَ أن هذا الشيءَ قد اختفى".

نـاول السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني الرجل قطعةً من القماش، وقال: "إنني آسف أنك قد جرحت نفسك. فالزجاجُ يصلُ إلى كل مكانٍ عندما ينكسرُ الزجاجُ الأمامي".

فشخرَ الرجل وقال: "لا يهمني الأمر. فما يهمني هو أن أحدَهم قد سرقَ شيئاً يخصُ السيدَ غوتسو".

فحكَّ الـسيدُ جي. إل. بي. ميتكوني رأسَه قائلاً: "إن الشرطةَ عديمـةُ الفائـدة. فهم لا يأتون حتى. ولكنني أعرفُ أحداً يستطيعُ أن يهتمَّ بهذا الأمر".

"آه، نعم؟ من يمكنه أن يفعلَ هذا؟"

"هـناك تحـريةٌ في هذه الأيام. ولديها مكتبٌ على ذلك الطريق قرب تلة غيل هيل. هل رأيته؟"



"ربما أكونُ رأيته. وربما لا".

فابتسمَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني، وقال: "إنها سيدةٌ مدهشةٌ. وهـي تعرفُ كلَّ ما يجري. فإذا سألتَها ستكونُ قادرةً أن تكتشفَ من فعـلَ هـذا الـشيء. وقـد تـتمكنُ حتى من إعادة الشيء. ما هو، بالمناسبة؟"

"إنه شيءٌ صغير يخصُ السيد تشارلي غوتسو".

"فهمتُ هذا".

نـزعَ الـرجلُ قطعـةَ القماشِ من على وجهه وألقى بها على الأرض.

وقـال متذمـراً: "هل يمكنك أن تسألَ هذه السيدةَ أن تعيدَ هذا الشيءَ للسيدِ غوتسو؟"

فقال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "سأفعلُ هذا. وسأتحدثُ إليها مـساءَ هذا اليوم. وأنا واثقٌ من أنها ستصل لنتائج. أما في غضونِ ذلـك، فالسيارةُ جاهزةٌ ويمكنُ للسيد غوتسو أن يأخذَها في أي وقت. وسوف أنظفُ القطعَ الباقية من الزجاج".

فقـال الزائرُ: "من الأفضلِ لك أن تفعلَ ذلك. فالسيدُ غوتسو لا يحبُّ أن تُجرحَ يده".

السيدُ غوتسو لا يحبُ أن تُجرحَ يدُه! وفكرَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني في نفسه: يا لك من صبيٍّ صغير. إنك مجردُ صبي صغير مـشاكس. وأنا أعرفُ بشكلٍ كافٍ من أي نوعٍ من الأشخاصِ أنت. وأتذكـرُك، أو أحداً يشبهك كثيراً، وأنت في ملعب مدرسةِ موتشودي الحكومـيةِ تتنمرُ على الصبيةِ الآخرين وتكسرُ الأشياء متظاهراً أنك قوي. وحتى عندما كان المعلمُ يجلدُك، كنتَ تتظاهرُ أنك أكثر شجاعة من أن تبكي.

والـسيدُ تشارلي غوتسو هذا بسيارتِه الباهظةِ وطرقه الشريرة هو صبيٌّ أيضاً، مجردُ صبي صغير.

كان السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني مصمماً أنه لا ينبغي أن تنجو السيدةُ راموتسوي بفعلتها. فقد كان يبدو عليها أنها تفترضُ أنه يفعل أيَّ شــيء تقـولهُ لــه، ونادراً ما تسألُه فيما إذا كان يريدُ المشاركة بخططها. وقد كان بالطبع خنوعاً جداً لأنه تجاوبَ معها. وكانت تلك هي المشكلة فعلاً. فقد كانت تعتقدُ أنه يمكنها أن تنجو بفعلتها لأنه لم يكـن يواجهها أبداً. حسناً، لقد كان سيريها تلك المرة، وكان سيضعُ حداً لكل ذلك الهراء المتعلق بالتحري.

غـادرَ الكـراجَ، وهو ما يزالُ منزعجاً ومشغولاً بالتدربِ في ذهنه على ما كان سيقولُه لها عندما يصلُ إلى المكتب:

لقـد جعلتني أكذب، يا سيدة راموتسوي. وقد جذبتني إلى قضية سخيفة وخطرة. وهي ببساطةٍ ليست من شأننا. إنني ميكانيكي أُصلحُ السيارات، ولا يمكنني أن أُصلحَ الحياة.

ولفتـته العبارةُ الأخيرةُ بقوتها. نعم، لقد كان هذا هو الفرقُ بينهما. كانت هي مصلحةً للحياة، كما هنَّ العديدُ من النساء. بينما كـان هـو مـصلحاً للآلات، وكان سيخبرُها بذلك. فكان سيكونُ علـيها أن تتقبلَ الحقـيقة. إنه لم يكن يريدُ أن يتلفَ صداقتَهما، ولكـنه لم يستطعِ الاستمرارَ بذلك التظاهرِ والخداع. إذ إنه لم يكن قـد كذبَ قط حتى أمامَ أعظمِ الإغراءات. وها هو الآن عالقٌ في شـبكةٍ كاملةٍ من الخداع متضمنةً الشرطةَ وأحدَ أقوى الرجالِ في بتسوانا!

قابلـته عن باب وكالةِ التحرياتِ النسائيةِ الأولى. وكانت ترمي ثفـلَ الـشاي مـن الإبريقِ إلى الحديقةِ بينما كان يقودُ سيارةَ الفان الخاصةَ بكراجه.

فقالت: "حسناً، هل تمَّ كلُّ شيء كما خُطط له؟"

"يا سيدة راموتسوي، إنني أعتقدُ فعلاً..."

"هل جاءَ بنفسه أم أرسلَ أحداً من رجاله؟"



"لقـد أرسلَ أحدَ رجاله. ولكن، أصغي إلي. أنت مصلحةٌ للحياةِ أما أنا فأقومُ وحسب..."

"وهل أخبرتَه أنه بإمكاني أن أعيدَ الشيء؟ وهل بدا مهتماً؟"

"بتصليح الآلات. ولا أستطيع... إنني لم أكذب قط. لم أكذب من قـبلُ فـي حياتي حتى عندما كنتُ طفلاً صغيراً. فلساني يتصلّبُ إذا حاولتُ أن أكذب، فلا أستطيعُ ذلك".

قلـبتِ السيدةُ راموتسوي إبريقَ الشاي للمرةِ الأخيرة، وقالت: "لقد أبليتَ على نحو جيد جداً هذه المرة. فالأكاذيبُ مسموحٌ بها تماماً عندما تكونُ لسبب وجيه. أليس سبباً وجيهاً أن تكتشفَ من قتل طفلاً بـريئاً؟ هل الأكاذيبُ أسوأ من القتل، يا سيد جي. إل. بي. ميتكوني؟ هل تعتقدُ ذلك؟"

"القتل أسوأ، ولكن..."

"حسناً، ها أنت ذا تعترفُ بذلك. إنك لم تفكرْ بالأمرِ جيداً، أليس كذلك؟ والآن تعرف".

ونظرتْ إليه وابتسمت. ففكرَ في نفسه: إنني محظوظٌ أنها تبتسمُ لــي. فلـيس هناك أحدٌ يحبُّني في هذا العالم. ويوجدُ هنا أحدٌ يحبُّني ويبتسمُ لي. وهي محقةٌ فيما يتعلق بجريمةِ القتل. إنها أسوأ بكثيرٍ من الأكاذيب.

وقالـت الـسيدةُ راموتـسوي: "ادخل لتشربَ الشاي. لقد غلتِ الـسيدةُ ماكوتسي الإبريق. فيمكننا أن نشربَ الشاي ونحن نقررُ ماذا سنفعل تالياً".

## الفصل التاسع عشر

# السيد تشارلي غوتسو

# حامل درجة البكالوريوس في الآداب

نظرَ السيدُ تشارلي غوتسو إلى السيدةِ راموتسوي. وكان يحترمُ النساء البدينات. فقد تزوجَ إحداهن بالفعلِ قبل خمسِ سنوات. فبرهنت على أنها امرأةٌ تافهةٌ ومزعجةٌ. وقد أرسلَها في نهايةِ المطافِ لتعيشَ في مزرعةٍ قربَ لوبيتس ليس فيها هاتف تقعُ على طريقٍ يصبحُ صعباً في الطقسِ الممطرِ. وكانت قد تذمرت بسببِ نسائه الأخريات باستمرارٍ وبشدة. ولكن ماذا كانت تتوقع؟ هل كانت تعتقدُ بجديةٍ أن السيد تشارلي غوتسو سيقيدُ نفسَه بامرأةٍ واحدة كأحدِ الموظفين من مصلحةٍ حكومية في حين أنه كان يملكُ كلَّ ذلك المالِ والنفوذِ وشهادة بكالوريوس أيضاً؟ لقد كانت تلك هي مشكلةَ الزواجِ من امرأةٍ غير متعلمةٍ لا تعرف أي شيءٍ عن الدوائرِ التي كان يتحركُ ضمنها. فقد زارَ نيروبي ولوساكا. وكان يعرفُ ما يفكرُ فيه الناسُ في تلك الأماكن. فكانت امرأةٌ ذكيةٌ تحملُ شهادةَ بكالوريوس لتعرفَ هذا بشكلٍ أفضل. ولكنه ذكَّرَ نفسه بأن تلك المرأةَ البدينةَ في لوبيتس قد سبقَ وأنجبتْ له خمسةَ أطفال. وعلى المرءِ أن يعترفَ بتلك الحقيقة. وليتها كانت فقط لا تشكو بسببِ النساءِ الأخريات.

"أنتِ المرأةُ التي أرسلَها ميتكوني؟"

لم يعجبْها صوتُه. فقد كان خشناً كورقِ الصنفرةِ. وكان يخلطُ نهاياتِ الكلماتِ بكسلٍ وكأنه لا يريدُ أن يزعجَ نفسَه بأن يوضِّحَ كلامَه. فشعرتْ أن ذلك يأتي نتيجةَ شعورِه باحتقارِ الآخر. فإذا كان

المرءُ قوياً مثله لِمَ كان ينبغي عليه عندئذٍ أن يزعجَ نفسه بالتواصل بشكلٍ ملائم مع من هم أدنى منه منزلةً؟ فطالما أنهم كانوا يفهمون ما يريدُه منهم – هذا هو الشيءُ الهام.

"لقد طلبَ مني السيد جي. إل. بي. ميتكوني أن أساعدك، يا سيدي. فأنا تحريةٌ خاصة".

فحدّقَ السيدُ غوتسو فيها بابتسامةٍ طفيفةٍ على شفتيه قائلاً: "لقد رأيتُ منزلكِ، ورأيتُ اللافتةَ عندما كنتُ أقودُ سيارتي مروراً بكِ. إنها وكالةُ تحرياتٍ خاصة للسيدات، أو شيءٌ من هذا القبيل".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "إنها ليست فقط للسيدات، يا سيدي. بل نحن تحرياتٌ ولكننا نعملُ لصالح الرجالِ أيضاً كالسيد باتل على سبيل المثال. فقد قام باستشارتنا في أمرٍ خاصٍ به".

فأصبحتْ ابتسامته أعرضَ وهو يقول: "أتعتقدين أنه يمكنكِ أن تخبري الرجالَ بالأشياء؟"

فأجابتِ السيدةُ راموتسوي بهدوء: "أحياناً، إذ إن الأمر يعتمدُ على المناسبة. فأحياناً يكونُ الرجالُ أكثرَ تكبراً من أن يصغوا إلينا. ونحن لا نستطيعُ أن نخبرَ الرجالَ من ذلك النوع أي شيء".

فأضاق عيناه. إذ إن ملاحظتَها كانت غامضةً. وكان من الممكن أنها كانت توحي أنه متكبرٌ. أو من الممكن أنها كانت تتحدثُ عن رجالٍ آخرين. إذ إن هناك رجالاً آخرين بالطبع.

فقال السيدُ غوتسو: "إذاً، على أية حال. إنكِ تعلمين أنني قد فقدتُ شيئاً يخصني من سيارتي. ويقولُ ميتكوني إنكِ قد تتمكنين من معرفةِ من أخذه وتعيدينَه لي".

حنت السيدةُ راموتسوي رأسَها موافقةً، وقالت: "لقد فعلتُ ذلك. وقد اكتشفتُ من اقتحمَ سيارتك. وكانوا مجردَ أولاد".

فرفعَ السيدُ غوتسو أحدَ حاجبيه، وقال: "وما هي أسماؤهم؟ أخبريني مَنْ هم".





فقالت السيدةُ راموتسوي: "لا أستطيعُ فعلَ ذلك".

"إنني أريدُ أن أضربَهم. لذا، عليكِ أن تخبريني مَنْ هم".

فرفعتِ السيدةُ راموتسوي نظرَها عالياً إلى السيدِ غوتسو والتقت عيناها بعينيه. وللحظة، لم يقلْ أحدُهما شيئاً. ثم تكلمتْ قائلةً: "لقد وعدتُهم أنني لن أذكرَ أسماءهم لأي شخص إذا أعادوا الشيءَ الذي سرقوه. فقد كانت تلك صفقةً عقدتُها معهم". وفيما كانت تتحدث، نظرتْ في أنحاءِ مكتبِ السيد غوتسو. وقد كان يقعُ خلفَ السوقِ تماماً في شارعٍ جانبي غير جذاب. ووُضعتْ عليه من الخارج لافتةٌ زرقاءُ كبيرةٌ كُتبَ عليها: "مجموعةُ شركاتِ غوتسو". وفي الداخل، كانت الغرفةُ مؤثثةً على نحو بسيط. ولولا الصور على الجدران لما عرفَ المرءُ أن تلك الغرفةَ كانت غرفةَ رجلٍ ذي نفوذ. ولكن الصورَ كانت تفصحُ عن ذلك. فقد كان السيدُ غوتسو يظهرُ فيها مع كلٍّ من "موشوشو" ملك باسوتو، ومع "هاسيتنغز باندا" (رئيس مالاوي)، ومع "سوبهوزا" الثاني (زعيم سوازيلند). فقد كان ذلك رجلاً امتدّ نفوذه إلى ما وراء الحدود.

"هل قطعتِ وعداً بالنيابةِ عني؟"

"نعم، فعلتُ ذلك. فقد كانت تلك هي الطريقةَ الوحيدةَ التي استطعتُ أن أستعيدَ بها الشيء المسروق".

كان السيدُ غوتسو يبدو مستغرقاً في التفكير للحظة. ونظرتِ السيدةُ راموتسوي إلى إحدى الصور عن كثبٍ أكثر. وكان السيدُ غوتسو يمنحُ شيكاً كبيراً لقضيةٍ نبيلة. وكان عنوانُ الصحيفةِ المقتطع تحتها يقول: "شيكٌ بمبلغٍ كبير يُسلَّمُ من أجلِ الأعمالِ الخيرية".

قال: "حسناً، أعتقدُ أن ذلك هو كلُّ ما استطعتِ فعلَه. والآن، أين هو الشيءُ الذي يخصني؟"

فمدت السيدةُ راموتسوي يدَها إلى حقيبتها، وأخرجتِ الحقيبةَ الجلديةَ الصغيرة.

"هذا هو ما أعطوني إياه".

ووضعتها على الطاولة، فعبرَ الغرفةَ، وأخذَها بيده.

"إنــه ليس لي بالطبع. فهو شيءٌ كان يملكه أحدُ رجالي. وكنتُ أعتني به من أجله، وليست لدي فكرةٌ عما هو".

"إنه "مُوتي"، يا سيدي. إنه دواءٌ من طبيبٍ مشعوذ".

وكــان تعبيرُ وجه السيد غوتسو صلباً كالفولاذ وهو يقول: "آه، نعم. أهو بعضُ السحرِ من أجلِ المؤمنين بالخرافات؟"

فهـزتِ السيدةُ راموتسوي رأسَها، وقالت: "كلا، لا أعتقدُ ذلك. بل أعتقدُ أنها مادةٌ قويةٌ وأنها على الأرجح باهظةُ الثمن".

"قوية؟" ولاحظتْ أن رأسَه بقي ساكناً تماماً أثناءَ كلامه. فكانت شـفتاه فقط تتحركان بينما انزلقت الكلماتُ غير المنتهية خارجةً من بينها.

"نعـم، إنها جيدة. وإنني أودُّ أن أتمكنَ من الحصول على شيءٍ كهذا بنفسي. ولكنني لا أعرف أين يمكنني العثورُ عليه".

تحركَ السيدُ غوتسو عندئذٍ بعضَ الشيء، وتجولتْ عيناه متأملةً السيدة راموتسوي.

"ربما يمكنني مساعدتكِ، يا سيدتي".

ففكرت بسرعة. وحينئذٍ أجابت قائلة: "أودُّ أن تساعدني وعندئذٍ ربما أستطيعُ مساعدتكَ بطريقةٍ ما".

وأثناءَ ذلك مدَّ يدَه ليأخذَ سيجارةً من علبةٍ صغيرةٍ على الطاولة، وقام بإشعالها. ومرةً أخرى، لم يتحركْ رأسُه.

"بأيةِ طريقةٍ يمكنكِ مساعدتي، يا سيدتي؟ هل تعتقدين أنني رجلٌ وحيد؟"

"لستَ وحيداً. فقد سمعتُ أنك رجلٌ ذو صديقاتٍ كثيرات، ولست بحاجةٍ لأخرى".



"بالطبع، فأنا أفضلُ من يتخذُ حكماً في ذلك".

"كلا، أعتقدُ أنك رجلٌ يحبُّ المعلومات، وأنك بحاجةٍ لذلك لتبقى قوياً وبحاجةٍ لسحرِ "الموتي" أيضاً، أليس كذلك؟"

أخرجَ السيجارةَ من فمه، ووضعَها على منفضةِ سجائرَ زجاجيةٍ كبيرة.

وقال: "يجب أن تكوني حذرةً وأنت تقولين أشياء كهذه". وكانت كلماتُــه التــي قالَهــا ملفوظةً بوضوحٍ شديد، فقد كان باستطاعته أن يـتحدثَ بوضوحٍ عندما يريدُ ذلك. وقال: "يمكنُ للناسِ الذين يتهمون الغيرَ بالشعوذةِ أن يندموا على ذلك فعلاً".

"ولكنني لا أتهمُك بشيء. وقد أخبرتُك بنفسي أنني قد استخدمته، ألــيس كذلك؟ كلا، ما كنتُ أقولُه هو أنك رجلٌ يحتاجُ إلى أن يعرف مــا يجري في هذه البلدة. فمن الممكنِ للأشياءِ أن تفوتك بسهولةٍ إن كانت أذناك مسدودتين بالشمع".

الــتقطَ الــسيجارةَ مجـدداً، وقرّبها من فمه، وقال: "أيمكنك أن تخبريني بعضَ الأشياء؟"

فأومــأتِ السيدةُ راموتسوي برأسها، وقالت: "إنني أسمعُ أشياءَ مثيرةً للاهتمام كثيراً في عملي. فعلى سبيل المثال، يمكنني أن أخبرك عــن الرجل الذي يحاولُ أن يبني متجراً بجانب متجرك في السوق. أتعــرفه؟ أتودُّ أن تعرفَ ما كان قد فعلَه قبل أن يأتي إلى غابورون؟ إنه لا يرغبُ أن يعرفَ الناسُ ذلك، كما أعتقد".

فتحَ السيدُ غوتسو فمه، وأخرجَ قطعةً من التبغ من بين أسنانه، وقــال: "إنك امرأةٌ مثيرةٌ للاهتمامِ كثيراً، يا سيدة راموتسوي. وأعتقدُ أننــي أفهمك جيداً. لذا، سأعطيك اسم الطبيبِ المشعوذِ إذا أعطيتني هذه المعلوماتِ المفيدة. هل يناسبك هذا؟"

فطقطقــتِ السيدةُ راموتسوي بلسانها موافقةً، وقالت: "هذا جيدٌ جــداً. فــسأتمكنُ من أن أحصلَ على شيءٍ من هذا الرجل يساعدني

على الحصولِ على معلوماتٍ أفضل. وإذا سمعتُ شيئاً آخر فسيسرّني أن أخبرك به".

فقال السيدُ غوتسمو وهو يتناولُ ورقةً صغيرة: "إنك امرأةٌ صالحةٌ جداً. وسوف أرسمُ لك خريطةً تخطيطية. فهذا الرجلُ يعيشُ في القفرِ ليس بعيداً عن مولبولول. ومن الصعب العثورُ على هذا المكان. ولكنَّ هذه الخريطةَ ستريك أين تذهبين تماماً. وبالمناسبة، إنني أحذرك أن أتعابَه ليست رخيصةً. ولكنكِ إن قلتِ إنك من أصدقاءِ السيد تشارلي غوتسمو عندئذٍ ستجدين أنه قد خصمَ عشرين بالمائة. وهذا لا بأسَ به إطلاقاً، أليس كذلك؟"



# الفصل العشرون

## أمورٌ طبية

كانت المعلوماتُ لديها عندئذ. فكانت لديها خريطةٌ تمكنُها من العثورِ على المجرم. وكانت ستعثرُ عليه. ولكن كانت لا تزالُ أمامَها وكالةُ التحريات لتقومَ بإدارتِها والقضايا التي يجبُ معالجتُها، بما فيها قضيةٌ تتضمنُ نوعاً مختلفاً جداً من الأطباء ومستشفى.

لم تكنِ السيدةُ راموتسوي تطيقُ المستشفيات. فقد كانت تكرهُ رائحتَها. وكانت ترتجفُ من منظرِ المرضى الجالسين على المقاعدِ الطويلةِ في الشمسِ وقد أسكتهم الألم. وكانت تصيبُها الكآبةُ لرؤيةِ البيجاماتِ الزهريةِ النهاريةِ التي كانوا يعطونَها لأولئك المصابين بالسل. فكانت المستشفياتُ بحجارتِها القرميدية تذكّرُها بالموت. وكانت شيئاً مريعاً يذكّرُ بالنهايةِ المحتومةِ التي سنؤولُ إليها جميعاً. ولكنها كانت تشعرُ أنه يفضلُ أن يتجاهلَها المرءُ أثناءَ انشغاله بأمورِ الحياة.

أما الأطباءُ فقد كانوا أمراً مختلفاً كلياً. فلطالما كانت السيدةُ راموتسوي معجبةً بهم. وكانت معجبةً بشكلٍ محددٍ بإحساسهم بسريةِ الأمور. وكانت ترتاحُ لحقيقةِ أنه يمكنُ للمرءِ أن يخبرَ الطبيبَ شيئاً فيحملُ سرّه إلى القبرِ كما يفعلُ الكاهن. ولا يجدُ المرءُ هذا قط بين المحامين فهم أناسٌ متبجحون. وهم بشكل عام مستعدون دائماً لإفشاءِ قصةٍ ما على حسابِ أحدِ موكليهم. وعندما يفكرُ المرءُ بالأمرِ يجدُ أن بعضَ المحاسبين غير حكماء في مناقشةِ الدخل. أما بالنسبةِ للأطباء فيمكنُ أن يحاولَ المرءُ قدرَ استطاعتِه الحصولَ على معلوماتٍ منهم ولكن كتمانَهم للأمورِ كان أمراً محتوماً.

وفكـرتِ السيدةُ راموتسوي في نفسها: هذا ما ينبغي أن يكونَ علـيه الأمـرُ. فأنا لا أحبُّ أن يعرفَ الجميعُ عن... وما الذي كانت تشعرُ بالحرجِ منه؟ ففكرتْ كثيراً. وقد كان وزنها بالكاد أمراً سرياً. إذ إنها كانت فخورة بكونها سيدةً ذات بنيةٍ أفريقيةٍ تقليديةٍ على عكسِ تلـك المخلـوقاتِ المريعة الشبيهةِ بالعصي اللواتي يراهن المرءُ في الإعلاناتِ. ثم كانت هناك مساميرُ قدميها. حسناً، لقد كانت تلك تقريباً شيئاً بادياً للعيان عندما كانت ترتدي صندلَها. وبالفعل، لم يكن هناك أي شيء كانت لتشعرَ بأن عليها أن تخفيَه.

أما الإمساكُ فقد كان مسألةً مختلفةً. فهو أمرٌ مريعٌ يعرفُ العالمُ كلُّـه متاعبَه. وكانت تشعرُ بأسفٍ مريرٍ لأولئك الناسِ الذين يعانون من الإمساكِ. وكانت تعرفُ أن الكثيرَ من الناسِ يعانون منه. فقد كان هناك على الأرجح عددٌ منهم يكفي لتشكيلِ حزبٍ سياسي – ربما مع فرصـــة لتشكيل حكومة – ولكن ماذا كان حزبٌ كذلك ليفعل لو كان فـي السلطة؟ لا شيء، كما تخيلت. فقد كان ليحاول أن يقرَّ القوانين، ولكنه كان سيفشلُ في ذلك.

تـوقفتْ عـن أحلامِ يقظتِها، والتفتتْ إلى العملِ الذي كان بين يـديها. فقـد كان صديقُها القديم الدكتور ماكيتسي قد اتصلَ بها من المستـشفى وسألها إن كان باستطاعته أن يمرَّ بمكتبها في طريقه إلى البـيت مـساءَ ذلك اليوم. فوافقتْ برحابةِ صدر. فقد كانت والدكتور ماكيتسي كلاهما من موتشودي. ورغم أنه كان يكبرُها بعشرِ سنوات فقـد كانت تشعرُ بقربٍ شديدٍ منه. ولهذا، ألغتْ موعدَ ضفرِ شعرِها في الـبلدة، وبقـيت جالسةً إلى مكتبها لتتابعَ القيامَ ببعضِ الأعمالِ المكتبية المملة حتى ناداها الدكتور ماكيتسي بصوته المألوف. ثم دخلَ المكتب.

تـبادلا حديثاً عائلياً لفترةٍ وهما يشربان شاي الأعشاب. وفكرا بـتأملٍ كيف أن موتشودي قد تغيرتْ منذ أيامِ طفولتِهما. وسألته عن عمـته، وقد كانت معلمةً متقاعدةً ما يزالُ نصفُ سكانِ البلدةِ يلجأون



إليها طلباً للنصيحة. فقالَ إنها لم تفقدْ طاقتها بعدُ، وإنه كان عندئذٍ يلحُّ عليها لترشحَ نفسها للبرلمان، الأمر الذي قد تفعلُه.

وقال الدكتور ماكيتسي: "إننا بحاجةٍ للمزيدِ من النساءِ في الحياةِ العامة، فهن عملياتٌ جداً خلافاً لنا نحن الرجال".

فـسرعان مـا وافقـته السيدةُ راموتسوي قائلةً: "إذا كان هناك المزيدُ من النساءِ في السلطة، فهن لن يدعن الحروب تندلع. فلا يمكن للنـساءِ أن يزعجن أنفسهن بكل ذلك القتال. فنحن نرى الحربَ كما هي: مجردُ مسألةِ أجسامٍ محطمةٍ وأمهاتٍ باكيات".

ففكـرَ الدكتور ماكيتسي للحظة. وقد كان يفكرُ بالسيدة "غاندي" التـي خاضت حرباً وبالسيدة "غولدا مائير" التي خاضت حرباً أيضاً. كما كانت هناك أيضاً...

فـسلَّم بكلامهـا قـائلاً: "إن النساءَ هن لطيفاتٌ معظم الوقت. ولكنهن يستطعن أن يكنَّ قاسياتٍ عندما تدعو الحاجةُ لذلك".

وأصـبحَ الدكتور ماكيتسي عندئذٍ متلهفاً لتغيير الموضوعِ لأنه خـشي أنَّ السيدةَ راموتسوي قد تسألُه فيما إذا كان يجيدُ الطهو. وهو لـم يكن يريدُ أن تتكررَ المحادثةُ التي كان قد أجراها مع شابةٍ عادت بعد أن قضتْ عاماً في الولايات المتحدة. فقالت له بتحدٍ وكأن الفرقَ بـين عمريهما كان بلا أهمية: "إذا كنتَ تأكلُ ينبغي عليك أن تطهو. فالأمـرُ بهـذه البساطة". لقد أتت تلك الأفكارُ من أمريكا، وقد تكونُ جـيدةً جـداً مـن الناحية النظرية. ولكن هل جعلت الأمركيين أكثرَ سعادة؟ بالتأكيد، يجبُ أن تكونَ هناك بعضُ الحدود لكلِ ذلك التطورِ والتغيير غير المستقر. فقد سمعَ مؤخراً عن رجالٍ تجبرهم زوجاتهم علـى تغييـر فـوطِ أطفالهم. فارتجفَ لتلك الفكرة. وفكرَ متأملاً أن أفـريقيا لم تكن مستعدةً لذلك. وقد كانت بعضُ أوجه الأنظمة القديمة فـي أفـريقيا ملائمـةً ومريحة إذا كان المرءُ رجلاً، كما كان شأنُ الدكتور ماكيتسي بالطبع.

قال بمرح: "ولكن هذه قضايا كبيرة. والتحدث عن اليقطين لا يجعله ينمو". وقد كانت حماته تقول تلك العبارة غالباً. ورغم أنه كان يخالفها في كل شيء كانت تقوله تقريباً إلا أنه كان غالباً ما يجد نفسه يكرر كلامها.

فضحكت السيدة راموتسوي قائلة: "لماذا أتيت لرؤيتي؟ هل تريدني أن أعثر لك على زوجة جديدة ربما؟"

فطقطق الدكتور ماكيتسي بلسانه باستنكار ساخر، وقال: "لقد أتيت إليك بمشكلة حقيقية، وليست مجرد مشكلة صغيرة تتعلق بالزوجات".

وأصغت السيدة راموتسوي بينما كان الطبيب يشرح لها مدى حساسية المشكلة. فأكدت له أنها كانت تؤمن بالسرية مثله.

وقالت: "ولا حتى سكرتيرتي ستسمع ما ستقوله لي".

فقال الدكتور ماكيتسي: "هذا جيد. لأنني إن كنت مخطئاً في هذا وإذا سمع أحدهم عن الأمر فسوف أكون محرجاً بشدة، وكذلك سيكون المستشفى بأكمله. ولا أريد للوزير أن يأتي بحثاً عني".

فقالت السيدة راموتسوي: "أدرك هذا". وكان فضولها قد أثير بكل معنى الكلمة. فكانت متلهفة لتسمع أية مسألة ممتعة كانت تقلق صديقها. وكانت قد أثقلت عليها مؤخراً عدة قضايا مملة إلى حد ما بما فيها قضية مهينة جداً تتضمن اقتفاء أثر كلب أحد الرجال الأثرياء. كلب! لم يكن ينبغي على التحرية الوحيدة في البلاد أن تضطر للتنازل إلى مستويات كتلك. وبالفعل ما كان للسيدة راموتسوي أن تفعل ذلك لولا حقيقة أنها كانت بحاجة للأتعاب. وقد اكتسبت سيارة الفان البيضاء الصغيرة صوت قعقعة منذر بالشؤم في المحرك. فزارها السيد جي. إل. بي. ميتكوني زيارة قصيرة ليدرس المشكلة، وأخبرها بلطف أنها كانت بحاجة لإصلاحات غالية الثمن. وقد ثبت في النهاية أن الكلب المطارد كان كلباً مريعاً كريه الرائحة.





وقد عثرت على الحيوان في نهاية المطاف تقوده بخيط مجموعة من الأولاد الأشرار كانوا قد سرقوه. فكافأ الكلب محررته بعضة في كاحلها.

قال الدكتور ماكيتسي: "إنني قلق بشأن أحد أطبائنا الشباب. اسمه الدكتور "كوموتي". وهو نيجيري".

"فهمت هذا".

فقال الدكتور ماكيتسي: "إنني أعلم أن بعض الناس يشكون بالنيجيريين".

وقالت السيدة راموتسوي وعيناها تلتقيان بعيني الطبيب: "أعتقد أن هناك بعض الناس هم على هذه الشاكلة". ثم أبعدت نظرها مجدداً بسرعة وهي تشعر بالذنب تقريباً.

شرب الدكتور ماكيتسي آخر ما بقي من شاي الأعشاب، ووضع فنجانه على الطاولة.

ثم قال: "دعيني أخبرك عن الدكتور كوموتي من الوقت الذي جاء فيه أول الأمر للمقابلة. وقد كانت مهمتي أن أجري المقابلة معه، في الواقع، رغم أنه يجب علي أن أعترف أنها كانت إجراء شكلياً نوعاً ما. فقد كنا نعاني من عوز للموظفين بشكل ملح حينئذ، وكنا بحاجة لمن يكون قادراً على المساعدة في قسم الحوادث. لذا، لم يكن بإمكاننا فعلاً أن نكون انتقائيين فوق الحد، كما تعلمين. وعلى أية حال، فقد كان يبدو عليه أن لديه سيرة ذاتية معقولة. وقد أحضر معه عدة شهادات تثبت مؤهلاته. وقد عمل في نيروبي لبضع سنوات. وهكذا، اتصلت بالمستشفى التي كان فيها، فأكدوا أن سيرته كانت ممتازة. وهكذا، قبلت به.

"بدأ عمله قبل حوالى ستة أشهر. وكان مشغولاً بعض الشيء في قسم الحوادث. وأنت تعلمين على الأرجح كيف هي الأمور هناك. فهناك حوادث الطرقات والشجارات وشؤون يوم الجمعة الاعتيادية.

والكثيرُ من العمل بالطبع هو عبارةٌ عن مجرد تنظيفٍ للجروح وإيقافٍ للنزيف وإنعاشٍ بين الحين والآخر وذلك النوع من الأشياء.

"كان يبدو على كلِّ شيء أنه يسيرُ على ما يرام. ولكن بعد أن قضى الدكتور كوموتي هناك حوالى ثلاثة أسابيع أجرى المستشارُ المسؤولُ محادثةً صغيرةً معي. فقال إنه كان يعتقدُ أن الطبيبَ الجديدَ كانت تعوزُه الممارسةُ الجيدة بعض الشيء. فقد كانت بعضُ الأشياء التي يقومُ بها تبدو مفاجئةً قليلاً. فعلى سبيل المثال، كان قد قامَ بخياطةِ بعض الجروح بشكلٍ سيء تماماً فكان ينبغي إعادةُ تقطيبها.

"ولكنه كان جيداً فعلاً في بعضِ الأحيان. فعلى سبيل المثال، كانت لدينا قبل بضعة أسابيع امرأةٌ تعاني من الاسترواح الصدري التوتري (الضاغط). وهذه مسألةٌ خطيرةٌ نوعاً ما. إذ إن الهواءَ يدخلُ في التجويف حول الرئتين ويجعلُ الرئة تنهارُ كالبالون المنفجر. وإذا حدث ذلك فيتوجبُ على الطبيبِ أن يفرّغ الهواء بأسرع ما يمكنه حتى تتمكنَ الرئةُ من التمدد مجدداً.

"وهذا عملٌ دقيقٌ تماماً بالنسبة لطبيبٍ غير متمرس. إذ يجبُ عليه أن يعرفَ أين يضعُ مفرّغ الهواء. فإذا وضعَه في المكانِ الخاطئ فقد يثقبُ القلبَ أو يسببُ كل أنواع التلف الأخرى. وإذا لم يفعل ذلك بسرعةٍ فيمكنُ أن تموتَ المريضة. وقد كدتُ بنفسي أن أفقدَ أحد المرضى بمرضٍ كهذا قبل بضع سنوات، وقد أصبتُ بفزعٍ تام من جراء ذلك.

"وقد أثبتَ الدكتور كوموتي على أنه بارعٌ تماماً بهذا، وأنقذَ حياةَ تلك المرأةِ بدون شك. وقد حضرَ المستشارُ قبلَ نهاية العملية، فتركَه ينهيها. وقد كان متأثراً بما فعله، فذكرَ الأمرَ لي. ولكن في نفس الوقت، هذا هو نفسُ الطبيبِ الذي كان قد فشلَ في تشخيصِ حالةٍ واضحةٍ لطحالٍ متضخمٍ في اليوم السابق".

فقالتِ السيدة راموتسوي: "هل هو متقلب؟"



وقال الدكتور ماكيتسي: "بالضبط. إنه جيدٌ في بعضِ الأحيانِ، ولكنه في أحيانٍ أخرى يوشكُ أن يقتلَ مريضاً سيء الحظ".

فكرتِ السيدةُ راموتسوي متذكرةً خبراً في صحيفةِ "ذا ستار"، فقالت: "لقد كنتُ أقرأ في أحد الأيام عن جرّاحٍ مزيفٍ في جوهانسبرغ. وكان قد تدربَ لحوالى عشر سنوات. ولم يكن أحدٌ يعلمُ أنه لم يكنْ يحملُ أيةَ مؤهلات. ثم اكتشفَ أحدُهم ذلك عن طريقِ المصادفة، فانكشفَ أمرُه".

فقال الدكتور ماكيتسي: "إنه أمرٌ غير اعتيادي. فهذه الحالاتُ تبرزُ على نحو غير متوقع من وقتٍ لآخر. وغالباً ما ينجو هؤلاء بفعلتهم لوقتٍ طويلٍ وربما لسنوات".

وسألتِ السيدةُ راموتسوي: "هل تحققتَ من مؤهلاته؟ إذ إنه من السهولةِ بمكانٍ تزويرُ الوثائقِ في هذه الأيام باستخدام آلاتِ التصوير وطابعاتِ الليزر – ويمكنُ لأيٍّ كان أن يفعلَ ذلك. فربما لا يكونُ طبيباً على الإطلاق. وربما كان بواباً في إحدى المستشفياتِ أو شيئاً من هذا القبيل".

فهزّ الدكتور ماكيتسي رأسَه قائلاً: "لقد قمنا بدراسةِ كلِّ ذلك. وتحققنا من كليةِ الطب في نيجيريا. ويمكنني أن أعلمَك أنها كانت بمثابة معركة. وكذلك تحققنا من المجلسِ الطبي العامِ في بريطانيا حيث عمل بوظيفة أمينِ السجل لمدةِ سنتين. حتى إننا حصلنا على صورةٍ من نيروبي. وكان هو نفسَ الرجل. لذا، فأنا واثقٌ تماماً أنه تماماً ما قال عن نفسه".

فسألتِ السيدةُ راموتسوي: "ألا تستطيعُ أن تمتحنَه وحسب؟ ألا تستطيعُ أن تحاولَ أن تكتشفَ كم يعرفُ عن الطب بمجردِ أن تسألَه بعضَ الأسئلة الدقيقة؟"

ابتسمَ الدكتور ماكيتسي، وقال: "لقد سبقَ وفعلتُ ذلك. فقد سنحت لي الفرصةُ للتحدثِ معه عن قضيةٍ صعبةٍ أو اثنتين. فنجحَ

في المناسبة الأولى بشكلٍ جيد تماماً، وأعطى جواباً جيداً نسبياً. فكان من الواضح أنه كان يعلمُ عما كان يتكلم. ولكنه بدا في المناسبة الثانية مراوغاً، وقال إنه يريدُ أن يفكرَ بالأمر. فأزعجني هذا. ولهذا، ذكرتُ شيئاً عن القضية التي كنا قد ناقشناها من قبل. فأخرجه هذا من حذره وقام بمجرد تمتمة شيءٍ غير ذي صلةٍ بالموضوع. فكان الأمرُ وكأنه قد نسي ما قاله لي قبل ثلاثةِ أيام".

رفعتِ السيدةُ راموتسوي نظرَها إلى السقف. وقد كانت تعلمُ بشأنِ النسيان. إذ إن والدَها المسكين كان قد أصبحَ كثيرَ النسيانِ قبلَ وفاته. فكان أحياناً بالكاد يتذكرُها. وكان ذلك أمراً معروفاً عند كبارِ السنِ ولكن ليسَ عندَ طبيبٍ شاب، إلا إذا كان مريضاً. وفي تلك الحالة، يكونُ شيءٌ ما قد تعطلَ في ذاكرته.

قالَ الدكتور ماكيتسي وكأنه كان يتوقعُ سؤالاً منها: "ليس هناك خطبٌ به عقلياً. فهذه على حدِّ معرفتي ليستْ حالةَ جنونٍ ما قبل الخرفِ أو شيئاً من هذا القبيل. وما أخشاه هو المخدرات. إذ إنني أعتقدُ أنه ربما يسيءُ استخدامَ المخدرات، وأنه في نصفِ الوقتِ الذي يعالجُ فيه المرضى لا يكونُ صاحياً تماماً".

توقفَ الدكتور ماكيتسي عن الكلام، فقد ألقى بقنبلته وتراجعَ للخلف، وكأن مضامينَ ما كان قد قاله قد أسكتته. فقد كان ذلك سيئاً تقريباً بقدرِ السماحِ لطبيبٍ غير مؤهلٍ بممارسة الطب. وإذا سمعَ الوزيرُ أن أحدَ الأطباء كان يعالجُ المرضى في المستشفى وهو تحت تأثيرِ المخدرات فقد يبدأ بالتساؤل عن مدى دقة الإشراف في المستشفى.

وتخيلَ الوزيرَ يقولُ أثناءَ المقابلة: "الآن يا دكتور ماكيتسي، ألم تستطعْ أن ترى من الطريقةِ التي كان ذلك الرجلُ يتصرفُ بها أنه كان تحت تأثيرِ المخدرات؟ إنه ينبغي عليكم بالتأكيد أن تكونوا قادرين على اكتشافِ أشياء كتلك. فإذا كان الأمرُ واضحاً لي بما فيه



الكفاية عندما أمشي في الشارع أن أحدَهم كان يدخنُ الحشيش عندئذ ينبغي أن يكونَ ذلك واضحاً كفاية لواحدٍ مثلك. لو أنني أتخيلُ بحماقةٍ أنكم تتمتعون بحدةِ ملاحظةٍ أكثرَ مما أنتم عليه فعلاً...".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "يمكنني أن أفهمَ سبب قلقك. ولكنني لستُ واثقةً فيما إذا كنتُ أستطيعُ مساعدتك. فأنا لا أعرفُ طريقي فعلاً في أنحاء عالم المخدرات. فهذا أمرٌ يتعلقُ فعلاً بالشرطة".

فصرفَ الدكتورُ ماكيتسي الفكرةَ بقوله: "لا تتحدثي معي عن الشرطة. فهم لا يبقون أفواههم مغلقةً أبداً. فإذا ذهبتُ إليهم ليتحققوا من الأمر فسوف يتعاملون معه وكأنه تحقيقُ مخدراتٍ عادي، وسوف يقتحمون منزلَه ويفتشونه. وعندئذ، سيتكلمُ أحدُهم عن الأمر. وفي غضونِ وقتٍ قصير، سيكون الخبرُ قد انتشرَ في كل أنحاء البلدة أنه مدمنُ مخدرات". وتوقفَ عن الكلام وهو مهتمٌ بأن تفهمَ السيدةُ راموتسوي دقةَ ورطته. ثم قال: "وماذا لو لم يكن كذلك؟ وماذا لو كنتُ مخطئاً؟ عندئذ، سأكونُ وكأنني قد حطمتُ سمعته بدون سبب. فقد يكونُ غيرَ كفؤٍ من وقتٍ لآخر. ولكن ليس هناك سببٌ للتشهير به".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "ولكن إن اكتشفنا فعلاً أنه يتعاطى المخدرات، وأنا لستُ واثقةً كيف سنتمكنُ من القيامِ بذلك، فماذا ستفعلُ عندئذ؟ هل ستطردُه من الخدمة؟"

فهزَّ الدكتور ماكيتسي رأسَه بقوة، وقال: "إننا لا نفكرُ بالمخدراتِ من هذا المنطلق. فهي ليستْ مسألةَ سلوكٍ جيد أو سيء. وسوف أدرسُ المشكلةَ على أنها مشكلةٌ طبية، فسأحاولُ أن أساعدَه، وسأحاولُ تصنيفَ هذه المشكلة".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "ولكنك لا تستطيعُ أن تصنفَ هؤلاء الناس. فتدخينُ الحشيش هو أمرٌ مختلفٌ عن تعاطي الحبوبِ والأمورِ الأخرى. أرني مدمنَ مخدراتٍ واحداً استقامتْ حاله. فربما هم موجودون ولكنني لم أرَهم قطّ".

وهزَّ الدكتور كتفيه، وقال: "أعلمُ أنهم قد يكونون أشخاصاً متلاعبين. ولكنَّ بعضهم يتخلصون من الإدمان. ويمكنني أن أريك بعضَ الأرقام".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "حسناً، ربما، وربما لا. والقصدُ هو: ماذا تريدُ مني أن أفعل؟"

وقال الدكتور ماكيتسي: "اكتشفي أمرَه. لاحقيه لبضعة أيام واكتشفي فيما إذا كان متورطاً بعالم المخدرات. وإذا كان كذلك، فاكتشفي فيما إذا كان يزودُ الآخرين بالمخدراتِ فيما تكونين قريبة لأن تلك ستكونُ مشكلةً أخرى بالنسبة إلينا. فنحنُ نحافظُ على زمامٍ ضيقٍ على المخدراتِ في المستشفى ولكن يمكنُ للأشياء أن تضيع. وآخرُ شيء نريدُه هو طبيبٌ يمررُ مؤنَ المستشفى من العقاقير للمدمنين. فلا يمكنُ لنا أن نسمحَ بحدوث هذا".

حفزتْه السيدةُ راموتسوي قائلةً: "وهل ستصرفه من الخدمة عندئذٍ؟ ألن تحاولَ أن تساعدَه؟"

فضحكَ الدكتور ماكيتسي قائلاً: "سنصرفُه من الخدمةِ بشكلٍ جيدٍ وملائم".

وقالتِ السيدةُ راموتسوي: "هذا جيدٌ وملائمٌ أيضاً. والآن، عليَّ أن أخبركَ عن أتعابي..."

فتغيرَ تعبيرُ وجه الدكتور ماكيتسي، وقال: "لقد كنتُ قلقاً بشأن ذلك. فهذا تحقيقٌ دقيقٌ وبالكاد يمكنني أن أجعلَ المستشفى يدفعُ من أجله".

فأومأتْ السيدةُ راموتسوي عن عمد، وقالت: "لقد كنتَ تعتقدُ لأنني صديقةٌ قديمة أن..."

فقال الدكتور ماكيتسي بسرعة: "نعم، لقد اعتقدتُ أنكِ كصديقةٍ قديمةٍ قد تتذكرين عندما كان والدُكِ مريضاً جداً قبلَ وفاته كيف..."



وكانت السيدةُ راموتسوي تتذكرُ بالفعل. فقد كان الدكتور ماكيتسي يأتي إلى المنزلِ بلا انقطاعٍ كلَّ مساءٍ طوال ثلاثة أسابيع. وقد رتبَ في نهاية المطافِ لوضعِ والدها في غرفةٍ خاصةٍ في المستشفى، وكلُّ ذلك كان بلا مقابل.

فقالت: "أتذكرُ جيداً. وقد ذكرتُ الأتعابَ فقط لأخبركَ أنه لن تكونَ هناك أية أتعاب".

حصلتْ على كلِّ المعلوماتِ التي كانت بحاجةٍ لها لتبدأ تحقيقها عن الدكتور كوموتي. فحصلتْ على عنوانه في "كوندا واي" وعلى صورةٍ له زودَها بها الدكتور ماكيتسي. كما حصلت على رقم السيارةِ الخضراء التي كان يقودُها. وكذلك على رقم هاتفه ورقم صندوقِ بريده في مكتب البريد أيضاً رغم أنها لم تستطع أن تتخيل أية ظروف قد تحتاجُ فيها إلى هذه الأشياء. وكل ما كان عليها فعله عندئذ هو أن تبدأ مراقبة الدكتور كوموتي وأن تعرفَ ما تستطيعُ أن تعرفَه عنه في أقصرِ وقتٍ ممكن.

وكان الدكتور ماكيتسي عن حسنِ انتباه قد زودَها بنسخةٍ من جدولِ الخدمة في قسم الحوادثِ للأشهر الأربعةِ القادمة. فكان هذا يعني أنَّ السيدةَ راموتسوي كان ستعلمُ بالضبطِ متى قد يُتوقَّعُ منه أن يغادرَ المستشفى ليعودَ إلى البيتِ وأيضاً متى يكونُ في الخدمةِ الليلية. فكان هذا سيوفرُ الكثيرَ من الوقتِ والجهدِ في الجلوسِ والانتظارِ في الشارعِ في سيارتها الفانِ البيضاءِ الصغيرة.

بدأتْ عملَها بعدَ يومين، وكانت موجودةً عندما قادَ الدكتور كوموتي سيارتَه خارجاً من موقفِ سياراتِ الموظفين في المستشفى عصر ذلك اليوم. فلحقتْ به بحذرٍ إلى البلدة، وركنت سيارتَها على بعد بضعة سياراتٍ منه، وانتظرتْ حتى أصبحَ على بعدِ مسافةٍ جيدة من موقف السياراتِ قبل أن تخرجَ من سيارةِ الفان. فزارَ بضعة متاجر وتناولَ صحيفةً من مركزِ بيعِ الكتب. ثم عادَ إلى سيارتِه

وقادها مباشرةً نحو البيت. وبقي هناك يمضي وقته ببراءة، كما اعتقدت، حتى أُطفئت الأنوارُ في المنزلِ قبل الساعة العاشرة بالضبط مساءَ ذلك اليوم. فكان الجلوسُ في سيارة الفان البيضاء الصغيرة عملاً مملاً. ولكن السيدة راموتسوي كان معتادةً على الأمر ولم تكن تتذمرُ أبداً حالما كانت توافقُ على الاضطلاع بمسألة ما. فكانت لتجلسَ في سيارتها الفان لشهرٍ كامل أو حتى أكثر إذا طلبَ منها الدكتورُ ماكيتسي ذلك. فقد كان ذلك أقلَّ ما يمكنها أن تفعلَه بعد ما كان قد فعلَه من أجلِ والدها.

لم يحدثْ شيءٌ مساءَ ذلك اليوم ولا مساءَ اليوم الذي تلاه. فبدأت السيدةُ راموتسوي تتساءلُ فيما إذا كان هناك على الإطلاقِ أي تغييرٍ في روتين حياة الدكتور كوموتي عندما تغيرت الأمورُ فجأة. وكان ذلك في عصرِ أحدِ أيام الجمعة، وقد كانت السيدةُ راموتسوي مستعدةً للحاقِ بالدكتور كوموتي وهو عائدٌ من العملِ. وكان الطبيبُ متأخراً بعضَ الشيء في مغادرة المستشفى. ولكنه في نهاية المطاف، خرجَ من مدخلِ الحوادث واضعاً سماعةً طبيةً في جيبِ ردائه الأبيض، وركبَ سيارتَه.

تبعته السيدةُ راموتسوي خارجَ أراضي المستشفى وهي تشعرُ بالرضا أنه لم يكن مدركاً لوجودِها. وشكت أنه قد يكونُ ذاهباً إلى مركزِ بيع الكتبِ لشراءِ صحيفته. ولكنه في تلك المرةِ عوضاً عن الانعطاف نحو البلدةِ انعطفَ في الاتجاه الآخر. فسرت السيدةُ راموتسوي أن شيئاً كان يحدثُ أخيراً. فركزتْ بحذرٍ لئلا تفقدَه بينما يتوجهان في طريقهما عبر المرور. وكانت الطرقُ أكثرَ ازدحاماً من المعتاد لأنه كان عصرَ أحدِ أيام الجمعة في نهايةِ الشهر. وكان هذا يعني أنه يومُ قبضِ الرواتب. فكانت ستقعُ حوادثُ مروريةٌ في ذلك المساء أكثر مما يحدثُ في الأيام العادية. وأياً كان من سيأخذُ مكان الدكتور كوموتي في قسم الحوادثِ فإنه كان سيبقى مشغولاً أكثر في



تقطيبِ جراحِ الثملين وإخراجِ الزجاجِ المتناثرِ من المصابين في الحوادثِ المرورية.

فوجئت السيدةُ راموتسوي أن تجدَ أن الدكتور كوموتي كان متوجهاً نحو طريقِ مدينةِ لوبيتس. وأثارَ ذلك اهتمامها. فإذا كان يتعاملُ بالمخدرات عندئذٍ كانت لتكونَ فكرةً حسنة أن يستخدمَ لوبيتس كقاعدة. إذ إنها كانت قريبةً بما فيه الكفاية من الحدود. فقد يكونُ يمررُ أشياءَ إلى جنوبِ أفريقيا أو يحضرُ أشياءَ من هناك. ومهما كان الأمر، فقد جعلَه ذلك رجلاً أكثرَ أهميةً لتتبعَه.

قادا سيارتيهما نازلين في الطريق. وكانت تجهدُ نفسَها بقيادةِ سيارةِ الفان البيضاء الصغيرة لتبقى سيارةُ الدكتورِ كوموتي الأقوى منها على مرأىً منها. ولم تكن السيدةُ راموتسوي قلقةً من أن يتم اكتشافُها. فقد كان الطريقُ مزدحماً. ولم يكن هناك سببٌ يجعلُ الدكتور كوموتي يميزُ سيارة الفان البيضاء الصغيرة. وحالما كانا سيصلان إلى لوبيتس عندئذ سيكونُ عليها بالطبع أن تكونَ أكثرَ احتراساً لأنه كان سيصبحُ قادراً أن يلاحظها في حركة المرور الأقل ازدحاماً.

عندما لم يتوقفا في لوبيتس، بدأت السيدةُ راموتسوي تشعرُ بالقلق. فإذا كان سيقودُ السيارةَ بشكلٍ مستقيمٍ عبرَ لوبيتس فمن الممكنِ أنه كان سيزورُ إحدى القرى على الجانبِ الآخر من البلدة. ولكن ذلك كان غير محتملٍ نوعاً ما لأنه لم يكن هناك الكثيرُ على الجانبِ الآخر من لوبيتس أو ليس الكثير ليثير اهتمامَ شخصٍ كالدكتور كوموتي. فكان الشيءُ الآخرُ الوحيدُ عندئذٍ هو الحدودَ على بعد بضعة أميالٍ نزولاً في الطريق. نعم! لقد كان الدكتور كوموتي سيعبرُ الحدود. وكانت واثقةً من ذلك. لقد كان ذاهباً إلى مدينةِ مافيكنغ.

وحالما أدركتْ أن وجهةَ الدكتور كوموتي كانت إلى خارج البلاد، شعرت السيدةُ راموتسوي بغضبٍ شديد بسبب غبائها. إذ إن

جوازَ سفرِها لم يكن معها. فكان الدكتور كوموتي سيعبرُ، وكان سيتوجبُ عليها البقاءُ في بتسوانا. وعندئذٍ، حالما كان سيصبحُ على الجانبِ الآخر كان سيفعلُ ما يريد بلا شك. ولم تكن ستعرفُ شيئاً عنه.

راقبتْه وهو يقفُ عند نقطةِ الحدود، ثم عادت كالصياد الذي يكونُ قد طاردَ فريستَه حتى نهاية ذخيرتِه ثم توجبَ عليه الاستسلام. فكان سيبقى بعيداً طوال العطلةِ الأسبوعية. وكانت ستعرفُ القليلَ عن ما كان سيفعلُ بوقته كما كانت في البداية. وفي الأسبوعِ التالي، كان سيتوجبُ عليها أن تعودَ إلى المهمة المضجرة، وهي مراقبةُ منزله ليلاً مع المعرفة التي تسببُ الإحباط أن الأذى قد حدثَ طوال العطلة الأسبوعية. وأثناءَ فعلها لذلك، كان سيتوجبُ عليها أن تؤجلَ قضايا أخرى، وهي قضايا تجني أتعاباً وتسددُ فواتير الكراج.

عندما وصلت السيدةُ راموتسوي عائدةً إلى غابورون، كانت في مزاجٍ سيئ بكلِ معنى الكلمة. وقد أوتْ إلى الفراشِ في وقتٍ مبكرٍ من تلك الليلةِ ولكن المزاجَ السيئ كان لا يزالُ يلازمُها في صباحِ اليوم التالي عندما ذهبتْ إلى السوق. وكما كانت غالباً تفعلُ في صباحِ السبت، تناولت فنجانَ قهوةٍ في شرفةِ فندقِ بريزيدنت. واستمتعت بثرثرةٍ مع صديقتها "غريس غاكاتسلا". ولطالما كانت غريس هذه، والتي كانت تملكُ محل ألبسةٍ في "برودهرست"، تبهجها بقصصِها عن غرابةِ أطوارِ زبائنها. وكانت إحداهن، وهي زوجةُ وزيرٍ في الحكومة، قد اشترت مؤخراً فستاناً في أحدِ أيام الجمعةِ ثم أعادتْه في يوم الاثنين التالي قائلةً إنه لم يناسبْها بالفعل. ومع ذلك، فقد ذهبت غريس إلى حفلِ الزفافِ يوم السبت حيث لبست المرأةُ الفستانَ وكان يبدو مثالياً.

قالت غريس: "لم أستطع بالطبعِ أن أخبرَها لوجهها أنها كاذبةٌ وأنني لا أملكُ متجراً لتأجيرِ الفساتين. لذا، سألتُها إن كانت قد



استمتعت بالزفاف. فابتسمتْ وقالت إنها قد استمتعت به. لذا، قلتُ إنني قد استمتعتُ به أيضاً. ومن الواضح أنها لم ترني هناك، فتوقفتْ عن الابتسام، وقالت إنها ربما ستعطي الفستان فرصةً أخرى".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "إن تلك المرأةَ هي مجردُ قنفذ".

وقالت غريس: "بل هي ضبع. أو آكلُ نمل بأنفها الطويل".

انتهى الضحكُ، وذهبت غريس تاركةً المجالَ لمزاجِ السيدة راموتسوي السيئ ليعاودَ الاستقرار في مكانه. فبدا الأمرُ لها وكأنها قد تستمرُ بالشعورِ على ذلك النحو لبقيةِ الأسبوع. وفي الواقع، فقد كانت قلقةً من أن يستمرَ ذلك حتى تنتهي قضيةُ كوموتي، إن هي انتهت منها على الإطلاق.

دفعت السيدةُ راموتسوي فاتورتَها، وغادرت. وعندئذٍ، بينما كانت تنزلُ درجاتِ الفندق، شاهدت الدكتور كوموتي في السوق.

وقفت السيدةُ راموتسوي ساكنةً تماماً للحظة. وكان الدكتور كوموتي قد عبرَ الحدود في الليلة الفائتة قبل السابعة مساءً. وكانت الحدودُ تُغلَقُ في الثامنة مما يعني أنه ربما لم يتسنَّ له الوقتُ ليصلَ إلى مافيكنغ، التي كانت على بعد أربعين دقيقة بالسيارة، ويعودَ في الوقت المحدد ليعبرَ مجدداً قبل أن تغلقَ الحدود. وهكذا، فقد أمضى فقط أمسيةً واحدةً هناك وغادرَ في الصباحِ الباكر.

استفاقت من مفاجأتها برؤيته، وأدركت أنه ينبغي عليها أن تستغلَ الفرصةَ جيداً لتتبعَه وترى ما كان سيفعل. وكان عندئذٍ في متجر الخرداوات. فتلكأت السيدةُ راموتسوي في الخارج وهي تنظرُ بلا مبالاة إلى محتوياتِ واجهةِ المحل حتى خرجَ مجدداً وعادَ بعزمٍ إلى موقفِ السيارات. فراقبتْه وهو يركبُ سيارتَه.

مكثَ الدكتورُ كوموتي في البيت لبقيةِ اليوم. وفي الساعةِ السادسة مساءً، خرجَ إلى فندقِ "صن" حيث تناولَ شراباً مع رجلين

آخـرين ميـزتهما على أنهما مواطنان نيجيريان. وكانت تعرفُ أن أحدَهما كان يعملُ لصالحِ شركةٍ للمحاسبين. وكان الآخرُ كما اعتقدتْ مدرِّساً في مدرسةٍ ثانويةٍ في مكانٍ ما. ولم يكن هناك شيءٌ في لقائهم يبدو مشكوكاً به. وقد تكونُ هناك مجموعاتٌ كثيرةٌ من الناسِ يلتقون في أنحاء البلدة في تلك اللحظة، أناسٌ مجتمعون في التقاربِ المتكلَّف لحياةِ الاغترابِ يتحدثون عن الوطن.

بقـي لمـدة سـاعة ثم غادرَ. فكان ذلك هو حدُّ حياة الدكتور كوموتـي الاجتماعـية طوال العطلةِ الأسبوعية. وبحلول مساء يوم الأحـد، كانت السيدةُ راموتسوي قد قررت أنها كانت ستخبرُ الدكتور ماكيتسي في الأسبوع التالي قائلةً له إنه لم يكن هناك لسوء الحظ أيُّ دلـيل علـى تورطه بإساءةِ استخدام المخدراتِ وأنه خلافاً لذلك كان يـبدو نمـوذجاً للـرزانةِ والمسؤولية. فلم يكن هناك حتى دليلٌ على وجـودِ النسـاءِ في حياته إلا إذا كن يختبئن في المنزلِ ولا يخرجن أبـداً. ولـم يـصلْ أحدٌ إلى البيت أثناءَ مراقبتها له ولم يغادره أحدٌ باستثناءِ الدكتور كوموتي نفسه. فكان بكل بساطة رجلاً مملاً نوعاً ما لتقوم بمراقبته.

ولكن كانت ما تزالُ هناك مسألةُ إسراعه بالذهاب إلى مافيكينغ مـساءَ الجمعـةِ وعـودته منها. فإذا كان قد ذهبَ للتسوق هناك في أسـواقِ "أوكيه بازارز" كما كان العديدُ من الناسِ يفعلون عندئذٍ كان ليبقـى بالتأكيدِ لفترةٍ على الأقل من صباحِ يوم السبت، الأمرُ الذي لم يفعله بشكلٍ واضح. فلا بد من أنه قد فعل ما كان ما يريدُ فعلَه مهما يكـن في مساءِ يوم الجمعة. هل كانت هناك امرأةٌ ما من تلك النساءِ الجنوب أفريقيات المبهرجات اللواتي يبدو أنهن يعجبن الرجالَ بشكلٍ يتعذرُ تعليله؟ قد يكونُ ذلك هو التفسيرَ الأبسطَ والأرجحَ أيضاً. ولكن لمـاذا هـرعَ عائداً صباحَ يوم السبت؟ لمَ لم يبقَ ليوم السبتِ ويأخذ المـرأةَ لتناولِ الغداءِ في فندق "ممباباثو"؟ لقد كان هناك شيءٌ ما لا



يـبدو صـحيحاً تمامـاً. ففكرتِ السيدةُ راموتسوي أنها قد تتبعه إلى مافيكنغ في العطلةِ الأسبوعيةِ التالية، إن ذهب إليها، وترى ما يحدث. وإذا لـم يكـن هـناك شيءٌ لتراه كان يمكنها عندئذٍ أن تقومَ ببعضِ التـسوق وتعودَ في عصرِ يوم السبت. فقد كانت تعتزمُ القيامَ بالرحلةِ علـى أية حال، وقد تتمكن بالإضافةِ لذلك من أن تصيبَ عصفورين بحجرٍ واحد.

أثبتَ الدكتور كوموتي على أنه ميالٌ للمساعدة. ففي يوم الجمعةِ التالي غادرَ المستشفى في الموعدِ المحدد، وقادَ السيارة باتجاه لوبيتس تتبعُه السيدةُ راموتسوي من على بعدِ مسافةٍ بسيارتها الفان. وقد ثبت أنَّ عـبورَ الحدودِ كان مسألةً دقيقةً لأنه كان على السيدةِ راموتسوي أن تـتأكدَ مـن أنها لن تقتربَ منه كثيراً عند نقطةِ الحدود وأنها في نفـسِ الـوقتِ لـن تفقدَه على الجانبِ الآخرِ منها. فبدا الأمرُ لبضعِ لحظاتٍ وكأنها كانت ستتأخرُ لأن أحدَ الموظفين المملين كان يتصفحُ جوازَ سفرِها بدقةٍ وهو ينظرُ إلى الأختامِ التي كانت تظهرُ ذهابَها إلى مافيكنغ وعودتَها منها.

وقال بلهجةٍ فظة: "مكتوبٌ هنا تحتَ بندِ المهنةِ أنك تحرية. كيف يمكنُ لامرأةٍ أن تكونَ تحرية؟"

فنظرتِ السيدةُ راموتسوي إليه بغضب. وقد كان من الممكنِ لها أن تفقدَ الدكتور كوموتي إذا أطالتِ المواجهة. فقد كان جوازُ سفرِه قد خُتم حينئذٍ. وفي غضون بضعِ دقائق، كان سيعبرُ الحدود. فلن تكونَ لسيارةِ الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ فرصةٌ للحاقِ به.

وقالـت الـسيدةُ راموتسوي بكبرياء: "إن الكثيرَ من النساءِ هن تحريات. ألم تقرأ في مؤلفاتِ "آغاثا كريستي"؟"

فرفعَ الموظفُ نظرَه إليها، وبدت عليه العدوانية، وقال بصوتٍ هادر: "هل تعنين أنني رجلٌ غير متعلم؟ أتقولين إنني لم أقرأ مؤلفاتِ هذا المدعو السيد كريستي؟"

قالتِ السيدةُ راموتسوي: "إنني لا أقولُ ذلك. فأنتم متعلمون ومؤهلون جيداً. والبارحةَ فقط عندما كنتُ في منزلِ وزيرك قلتُ له إنني أعتقدُ أن موظفي الهجرةِ لديه مؤدبون جداً ومؤهلون. وقد أجرينا محادثةً ممتعةً حول الأمرِ على العشاء".

فتسمرَ الموظفُ في مكانه. وبدا للحظةٍ غير متأكد من نفسه. ولكنه عندئذٍ مدَّ يدَه إلى ختمه المطاطي، وختمَ جوازَ السفر قائلاً: "شكراً لك، يا سيدتي. يمكنكِ الذهابُ الآن".

لم تكنِ السيدةُ راموتسوي تحبُ الكذبَ. ولكنه كان ضرورياً في بعضِ الأحيان ولا سيما عندما يواجهُ المرءُ أناساً قد رفعوا إلى وظائف تتخطى مواهبَهم. فكانت مبالغةٌ للحقيقة كهذه، وهي أنها كانت تعرفُ الوزيرَ ولو معرفةً سطحيةً فقط، تنعشُ الناسَ أحياناً بعضَ الشيء. وكان الأمرُ غالباً لمصلحتهم. فربما كان ذلك الموظفُ ليفكرَ مرتين قبل أن يقررَ ثانيةً أن يتنمرَ على امرأةٍ دون سببٍ وجيه.

ركبتْ عائدةً في سيارتِها الفان. وأُشيرَ لها لتعبرَ الحاجزَ. ولم يكن الدكتور كوموتي على مرأىً منها حينئذ. فكان عليها أن تقودَ سيارةَ الفان بأقصى سرعةٍ حتى أدركته. ولم يكن مسرعاً بشكل خاص. ولهذا السبب، أبطأتْ سرعتَها بعض الشيء، وتبعته مروراً ببقايا عاصمةِ الرئيس "مانغوبي" وجمهوريتها "بوفوثاتسوانا". وهناك كان الملعبُ الذي حُمل الرئيسُ فيه من قبل قواته عندما قامتْ بالثورة. وهناك كانت المكاتبُ الحكوميةُ التي كانت تديرُ الدولةَ المجزأةَ على نحوٍ سخيفٍ نيابةً عن حكامها في "بريتوريا". فاعتقدتْ أنَّ كلَّ ذلك كان عبثاً وحماقةً تامةً. وعندما حان الوقتُ، تلاشتْ وحسب كالوهم الذي لطالما كانته. فقد كان كلُّ ذلك جزءاً من مهزلةِ سياسةِ التمييزِ العنصري وحلم رئيس الوزراء "فيرفويرد" البشع. يا له من ألم! ويا لها من معاناةٍ طويلةٍ ليضيفها التاريخ إلى كل آلام أفريقيا!



فجأةً، انعطفَ الدكتور كوموتي يميناً. وكانا قد وصلا إلى أطرافِ مافيكنغ إلى ضاحيةٍ ذاتِ منازلَ وشوارعَ مرتبة ومخططة جيداً وحدائقَ كبيرةٍ مسوَّرةٍ جيداً. فانعطفَ إلى مدخلِ سياراتِ أحدِ المنازلِ مما كان يتطلبُ من السيدةِ راموتسوي أن تتجاوزَه في القيادةِ لتتجنبَ الارتياب. ورغم ذلك، فقد حسبتْ عددَ المنازلِ التي تجاوزتها. فكانت سبعةَ منازل. وعندئذٍ، ركنتْ سيارةَ الفان تحت إحدى الأشجار.

وكان يوجدُ هناك ما يُدعى الممرَ الصحي الذي يمتدُ أسفلَ مؤخرةِ المنازل. فتركت السيدةُ راموتسوي سيارةَ الفان ومشتْ إلى نهايةِ الممرِ الصحي. وكان المنزلُ الذي دخله الدكتور كوموتي ليكونَ على بُعدِ ثمانيةِ منازل. فكان عليها أن تسيرَ مروراً به لتصل إلى مدخل الممر.

وقفتْ في الممرِ الصحي عند مؤخرةِ المنزلِ الثامن، واختلستْ النظرَ عبرَ الحديقة. وكان أحدهم قد اعتنى بها في الماضي. ولكن لا بدَّ أن ذلك حدثَ منذ سنواتٍ عديدة. فقد كانت عندئذٍ عبارةً عن كتلةٍ متشابكة من النباتات، مثل أشجارِ التوتِ وشجيراتِ البوغنفيلا التي كانت قد نمتْ إلى أحجامٍ ضخمة ومدتْ غصينات كبيرةً من الأزهار الأرجوانية اللون نحو السماء وأشجار البَبو ذات الثمار المتعفنة على جذعها. فاعتقدتْ أن المكانَ كان ليشكلَ جنةً للأفاعي. وقد تتواجدُ هناك أفاعٍ من نوع المامبا مختبئةً بين الأعشاب غير المقطوعة أو من نوع ال "بومسلانغ" مائلةً فوق أغصانِ الأشجار. وكلها تنتظرُ أحداً مثلها ليكون من الحماقة بمكان ليدخل.

دفعت البوابةَ لتفتحَها بحذرٍ شديد. وكان من الواضح أنها لم تكنْ قد استُخدمتْ لوقتٍ طويل. فأصدرَ المفصلُ صوتَ صريرٍ مرتفعاً. ولكن ذلك لم يكنْ يهمُّ فعلاً لأن القليلَ من الصوتِ كان ليخترقَ النباتات التي تحجبُ السياجَ الخلفي عن المنزلِ الواقع على بعد مائة

باردة (91 متراً). وقد كان من المستحيلِ في الواقعِ رؤيةُ المنزلِ من خلالِ الخضرة، الأمرُ الذي جعلَ السيدةَ راموتسوي تشعرُ بالأمانِ من عـيون أولـئك الـذين كانوا داخلَ المنزلِ على الأقل، ولو لم تشعرْ بالأمانِ من الأفاعي.

تحركتِ السيدةُ راموتسوي بحذرٍ وهي تخطو كلَّ خطوةٍ بحرصٍ مـتوقعةً أن تـسمعَ في أيةِ لحظةٍ صوتَ فحيحٍ من أفعى تحتجُّ على وجودِها. ولكنَّ شيئاً لم يتحرك. وسرعان ما جثمتْ تحت شجرةِ توت علـى بعـدِ أقـرب مـسافةٍ تجـرأتْ على أن تقتربَها من المنزل. فاستطاعتْ من تحت ظلِ الشجرةِ أن تحظى برؤيةٍ جيدةٍ للبابِ الخلفي ونافذةِ المطبخِ المفتوحة. ورغم ذلك، لم تستطعْ أن ترى داخلَ المنزلِ نفـسه لأنه كان ذا تصميمٍ استعماريٍ قديمٍ ذي أفاريزَ عريضةٍ تجعلُ داخلَ المنزلِ بارداً ومظلماً. وقد كان من الأسهلِ بكثيرٍ التجسسُ على الناسِ الذين يعيشون في منازلَ حديثةٍ لأن المهندسين المعماريين في العـصرِ الحـديثِ قد تجاهلوا أمرَ الشمسِ ووضعوا الناسَ في أوعيةٍ للـسمك حـيثُ يمكنُ للعالمِ برمته أن يختلسَ النظرَ إن أرادَ ذلك من خلالِ نوافذَ كبيرةٍ غيرِ محمية.

مـاذا كان بإمكانها أن تفعلَ عندئذٍ؟ كان بإمكانها أن تبقى حيث كانت على أملِ أن يخرجَ أحدُهم من البابِ الخلفي. ولكن لماذا كانوا سـيزعجون أنفـسهم بذلك؟ وإن هم فعلوا ذلك ماذا كان بإمكانها أن تفعلَ عندئذٍ؟

وفجـأةً، انفتحتْ نافذةٌ في مؤخرةِ المنزلِ وانحنى رجلٌ خارجاً، وكان هو الدكتور كوموتي.

"أنـتِ! أنـتِ هناك! نعم، أنتِ أيتها السيدةُ البدينةُ! ماذا تفعلين وأنتِ جالسةٌ تحت شجرةِ التوتِ الخاصةِ بنا؟"

وشـعرتِ السيدةُ راموتسوي برغبةٍ سخيفةٍ مفاجئةٍ أن تنظرَ من فـوقِ كـتفِها وكأنها تريدُ أن تلمحَ أنَّ شخصاً آخرَ كان هناك تحت





الـشجرة. وشـعرت وكأنها تلميذةُ مدرسةٍ قُبضَ عليها وهي تسرقُ الفاكهـة أو تقـومُ بأي عملٍ محرمٍ آخر. ولم يكن هناك شيءٌ يمكنها قوله، فكان عليها أن تعترفَ وحسب.

فوقفتْ وخرجتْ من الظل، ونادت قائلةً: "إن الطقسَ حار. فهل يمكنك أن تعطيني شربةَ ماء؟"

أغلقـتِ الـنافذةَ. وبعد بضعِ دقائق، انفتحَ بابُ المطبخ. ووقفَ الدكـتور كوموتـي علـى الدرجة. فلاحظتْ أنه كان يرتدي ملابسَ مخـتلفةً عن تلك التي كان يرتديها عندما غادرَ غابورون. وكان معه كوبٌ من الماء في يده، فأعطاها إياه. فمدتِ السيدةُ راموتسوي يدَها، وشـربتِ المـاء بامتـنان. وقد كانت عطشى في الواقع. فكان الماءُ موضعَ ترحيبٍ منها رغم أنها لاحظتْ أن الكوبَ كان قذراً.

وقال الدكتور كوموتي متلطفاً: "ماذا تفعلين في حديقتنا؟ هل أنتِ لصة؟"

فبدتِ السيدةُ راموتسوي منزعجةً، وقالت: "كلا، لستُ كذلك".

نظـرَ الدكتور كوموتي إليها ببرود، وقال: "حسناً، إن لم تكوني لـصةً فمـاذا تـريدين إذاً؟ أتبحثين عن عمل؟ إذا كنتِ كذلك، فنحنُ أصلاً لدينا امرأةٌ تأتي لتطهوَ في هذا المنزل. فلا نحتاجُ إلى أحد".

وكانـتِ السيدةُ راموتسوي على وشك أن تنطقَ بإجابتها عندما ظهرَ أحدُهم خلفَ الدكتور كوموتي، وأطلَ من فوقِ كتفِه. وكان ذلك هو الدكتور كوموتي.

قـال الدكـتور كوموتي الثاني: "ما الذي يجري؟ ماذا تريدُ هذه المرأة؟"

فقال الدكتور كوموتي الأول: "رأيتُها في الحديقة. وهي تقولُ لي إنها ليستْ لصة".

وقالت باستياء: "إنني بالتأكيد لستُ كذلك. فقد كنتُ أتفرجُ على هذا البيت".

فبدا الرجلان مرتبكين، وسألَ أحدُهما: "لماذا تريدين أن تتفرّجي على هذا المنزل؟ ليس هناك شيءٌ مميزٌ به. وهو ليس للبيع على أية حال".

فـردت السيدةُ راموتسوي رأسَها للخلف وضحكت قائلةً: "أوه، إنني لم آتِ إلى هنا لأشتريه. فالأمرُ وحسب هو أنني اعتدتُ أن أعيشَ هنا عندما كنتُ طفلةً صغيرة. وكان يوجدُ "بويربون" يعيشون هـنا حينـئذٍ وهمـا السيد "فان ديرهيفر" وزوجته. وقد كانت والدتي طاهيتهما. وكـنا نعيشُ في مسكنِ الخدم في الخلفِ هناك في نهايةِ الحديقة. وكان والدي ينسّقُ الحديقة...".

ثـم تـوقفتْ فجـأةً، ونظرتْ إليهما مؤنّبةً، وقالت: "لقد كانت الحديقةُ أفضلَ حالاً في تلك الأيام، فقد كانت معتنى بها بشكلٍ جيد".

فقالَ أحدُهما: "أوه، إنني واثقٌ أنها كانت كذلك. وإننا نرغبُ أن نـتحكمَ بها يوماً ما. والأمرُ وحسبُ هو أننا رجلان مشغولان. فكلانا طبيب، ويجب علينا أن نقضي كلَّ وقتنا في المستشفى".

وقالتِ السيدةُ راموتسوي محاولةً أن تبدو عفوية: "آه، هل أنتما طبيبان هنا في المستشفى؟".

فقـال الدكتور كوموتي الأول: "كلا، إنني أملكُ عيادةً للجراحة قربَ محطة السكة الحديدية. وأخي...".

فقالَ الدكتور كوموتي الآخر، وهو يشيرُ إلى الشمال بغموض: "وأنا أعملُ شمالاً من تلك الناحية. وعلى أية حال، يمكنك أن تتفرّجي علـى الحديقة قدرَ ما تشائين، يا أماه. تفضّلي بفعل ذلك، ويمكننا أن نعدَّ لك فنجاناً من الشاي".

قالتِ السيدةُ راموتسوي: "آه، إنكما لطيفان جداً. شكراً لكما".

كـان أمراً يبعثُ على الراحةِ الخروجُ من تلك الحديقة بنباتاتها الـشريرة وجـوِّها الـذي يوحـي بالإهمـال. وقد تظاهرتِ السيدةُ راموتسوي لدقائقَ أنها تتفحصُ الأشجارَ والشجيرات أو ما أمكنَ أن



يُـرى مـنها. وعـندئذٍ، بعد أن شكرت مضيفيها على الشاي، مشت نزولاً في الطريق. وكان عقلها مشغولاً بالتفكير بالمعلومات الغريبة التي حصلتْ عليها. فقد كان هناك طبيبان يدعيان الدكتور كوموتي، الأمـرُ الـذي لـم يكنْ غيرَ مألوفٍ كثيراً بحدِّ ذاته. ورغم ذلك، فقد شـعرتْ بطريقةٍ ما أنَّ ذلك كان جوهرَ المسألة برمتها. وبالطبع، لا يـوجدُ سـببٌ يمـنعُ أن يكونَ هناك توأمان يذهبان كلاهما إلى كليةِ الطـب. فغالباً ما يعيشُ التوأمان حياةً تعكسُ حياةَ بعضهما البعض. فهمـا يـصلان أحياناً إلى حدِّ أن يتزوجَ أحدُهما أختَ زوجةِ الآخر. ولكـن كـان يـوجدُ في ذلك الوضع شيءٌ ذو مغزى بشكلٍ خاص. وكانت السيدةُ راموتسوي واثقةً أنه كان واضحاً تماماً لو كان بإمكانها فقط أن تبدأ برؤيته.

ركـبتْ سـيارتَها الفـان البيضاء الصغيرة، وقادتها نزولاً في الطـريق عائـدةً نحـو مركزِ البلدة. وكان أحدُ الطبيبين المدعوين كوموتي قد قالَ إنه كانت لديه عيادةٌ للجراحة في البلدة قربَ محطة السكة الحديدية. فقررت أن تلقي نظرةً عليها، وليس الأمرُ أنَّ اللوحة النحاسية التي تحملُ اسم العيادة، إن كانت لديه واحدة، كانت ستكشفُ الكثير.

كانت تعرفُ محطةَ السكة الحديدية معرفةً ضئيلةً. ولكنها كانت تـستمتعُ بـزيارةِ ذلك المكان لأنه كان يذكّرُها بأفريقيا القديمة وبأيام الـصحبة غير المريحة في القطارات المزدحمة وبالرحلات البطيئة عبـر السهول الواسعة وبقصب السكر الذي اعتادت أن تأكلَه لتضيّعَ الـوقت وبلـب القـصب الذي كانت معتادة أن تبصقه خارجَ النوافذ الواسـعة. وما يزالُ بإمكان المرء أن يرى ذلك أو جزءاً منه. فذلك هو المكانُ حيث كانت القطاراتُ التي تأتي من إقليم "كيب" تجرُّ نفسها بـبطء مارةً برصيف المحطة في رحلتها عبر بتسوانا إلى بولاويو. وهـناك هو المكانُ حيث ما تزالُ المتاجرُ الهندية جانبَ أبنية السكة

الحديدية تبيعُ الملاءاتِ الرخيصة وقبعاتِ الرجالِ ذاتَ الريشة المبهرجة الموضوعة داخلَ طوقها.

لم تكنِ السيدةُ راموتسوي تريدُ لأفريقيا أن تتغيرَ. فلم تكنْ تريدُ لشعبها أن يصبحوا كالجميع، عديمي الروح وأنانيين وغافلين عما يعنيه أن يكونَ المرءُ أفريقياً، أو أسوأ من ذلك، أن يشعروا بالخجل من أفريقيا. فهي لن تكونَ قطّ سوى أفريقية حتى لو جاء أحدُهم إليها وقال: "هذه حبةُ دواء وهي أحدثُ شيء. خذيها وستحولك إلى أمريكية". فستقولُ له: "كلا. لن أفعلَ ذلك أبداً. كلا، شكراً لك"..

أوقفتْ سيارةَ الفان البيضاء الصغيرة خارجَ محطة السكة الحديدية، وخرجت منها. وكان هناك الكثيرُ من الناسِ في الأنحاء: كنساء يبعن أكوازَ الذرة المشوية والأشربة الحلوة، ورجال يتحدثون بصوتٍ مرتفع إلى أصدقائهم، وعائلة مسافرة معها حقائبُ كرتونية وممتلكاتٌ محزومةٌ في ملاءة، وطفلٍ يدفعُ سيارةً مصنوعةً في المنزلِ بسلكٍ مجدولٍ اصطدمتْ بالسيدةِ راموتسوي. فانطلقَ مسرعاً دون اعتذارٍ خوفاً من التوبيخ.

اقتربتْ من إحدى البائعات، وتحدثتْ إليها بلغة السيتسوانا قائلةً بأدب: "هل أنت بخيرِ اليومَ، يا سيدتي؟"

"إنني بخير. وهل أنتِ بخيرٍ أيضاً، يا سيدتي؟"

"إنني بخيرٍ كثير. وقد نمتُ جيداً جداً".

"هذا حسنٌ".

وبعد أن انتهتْ من التحية، قالت: "أخبرَني الناسُ أنه يوجدُ طبيبٌ بارعٌ جداً يدعى الدكتور كوموتي. هل تعرفين أين تقعُ عيادته؟"

فأومأتِ السيدةُ برأسها وقالت: "هناك كثيرٌ من الناسِ يذهبون إلى ذلك الطبيب. وتقعُ عيادته هناك. هل ترين حيثُ ركنَ ذلك الرجلُ الأبيضُ شاحنته للتو؟ إنها هناك".



شكرت السيدةُ راموتسوي مخبرتَها، واشترت كوزَ ذرة مشوية. ثم مشتْ وهي ممسكةً بالكوز عبرَ الساحة المغبرة نحو المبنى ذي السقفِ المعدني المهدّم نوعاً ما حيث كانت توجدُ عيادةُ الدكتور كوموتي للجراحة.

ومما فجأها نوعاً ما فقد وجدتِ البابَ غير مقفل. وعندما دفعته لتفتحه وجدتِ امرأةً واقفةً أمامها مباشرة.

فقالتِ المرأةُ بنزقٍ بعضَ الشيء: "إنني آسفةٌ فالطبيبُ ليس هنا. وأنا الممرضة. ويمكنك أن تراجعي الطبيبَ عصرَ يوم الاثنين".

فقالت السيدةُ راموتسوي: "آه، إنه لأمرٌ مؤسفٌ أن يكونَ عليك الترتيبُ مساءَ يوم الجمعة عندما يكونُ الجميعُ يفكرون بالخروج".

فهزتِ الممرضةُ كتفيها، وقالت: "سيخرجُ بي صديقي في وقت لاحق. ولكنني أحبُ أن أجهزَ كلَّ شيءٍ ليوم الاثنين قبل بداية العطلة الأسبوعية. فالأمرُ أفضلُ بهذه الطريقة".

وفكرت السيدةُ راموتسوي بسرعة قائلة: "إنه أفضلُ بكثير. إنني لم أكنْ أريدُ فعلاً أن أرى الطبيبَ أو أراجعَه كإحدى المرضى. فقد اعتدتُ أن أعملَ لصالحه عندما كان في نيروبي. إذ إنني كنتُ ممرضةً في جناحه، وأردتُ أن أسلّمَ عليه وحسب".

فأصبحَ أسلوبُ الممرضة أكثرَ وداً بشكلٍ ملحوظ، وعرضتْ قائلةً: "سأعدُ لك بعضَ الشاي، يا سيدتي. فما زال الجوُّ حاراً تماماً في الخارج".

جلستِ السيدةُ راموتسوي، وانتظرتِ الممرضةَ لتعودَ بإبريق الشاي.

ثم قالت: "هل تعرفين الدكتور كوموتي الآخر؟ الأخ؟"

فقالتِ الممرضةُ: "آه، نعم. إننا نراهُ كثيراً. فهو يحضرُ كثيراً إلى هنا، مرتين أو ثلاث مراتِ أسبوعياً".

أخفضت السيدةُ راموتسوي فنجانها ببطء شديد. وخفقَ قلبُها بداخلها. فقد أدركت أنها كانت في قلب المسألة عندئذ وأنَّ الحلَّ المحيرَ أصبحَ في قبضتها. ولكن كان عليها أن تبدو لا مبالية.

وقالت وهي تلوحُ بيدها بمرحٍ وكأن هذه الأشياءَ كانت بلا عاقبة: "أوه، لقد كانا يفعلان ذلك في نيروبي أيضاً. فكان أحدُهما يساعدُ الآخر. ولا يعلمُ المرضى عادةً أنهم يرون طبيباً مختلفاً".

فضحكت الممرضةُ وقالت: "إنهما يفعلان هذا هنا أيضاً. ولستُ واثقةً أن الأمرَ عادلٌ تماماً بالنسبة للمرضى. ولكنَّ أحداً لم يدرك أنهما اثنان. لذا، يبدو الجميعُ راضين تماماً".

تناولت السيدةُ راموتسوي فنجانها مجدداً، ومررته إليها لتعيدَ ملأه. وقالت: "وماذا عنك؟ هل يمكنك التمييزُ بينهما؟"

فأعطت الممرضةُ الفنجانَ للسيدة راموتسوي، وقالت: "يمكنني أن أعرف من شيءٍ واحد، وهو أن أحدَهما بارعٌ تماماً والآخر ميؤوسٌ منه. فبالكاد يعرفُ أي شيءٍ عن الطب. وإذا سألتني فإنني سأقولُ إنه تخرجَ من كلية الطب بمعجزة".

فلم تقل السيدةُ راموتسوي شيئاً. ولكنها فكرت قائلةً في نفسها: إنه لم يفعل ذلك.

أقامت السيدةُ راموتسوي في مافيكنغ تلك الليلةَ في فندق المحطة الذي كان مليئاً بالضجة وغيرَ مريح. ولكنها نامت جيداً رغم ذلك كما لطالما كانت تفعل عندما تكونُ قد انتهت من أحد التحقيقات لتوها. وفي صباح اليوم التالي، تسوقت في أسواق "أوكيه بازارز". ومما أبهجها أنها وجدت مشجباً من الأثواب بقياس (22) في عرضٍ خاص. فاشترت ثلاثةَ فساتين. وكان ذلك أكثرَ باثنين مما كانت تحتاجُ فعلاً. ولكن إذا كانت المرأةُ مالكة وكالة التحريات النسائية الأولى فعليها أن تحافظ على ذوق محدد في انتقاء ملابسها.





وصلت إلى البيت بحلول الساعة الثامنة عصرَ ذلك اليوم. فاتصلت هاتفياً بالدكتور ماكيتسي في منزله، ودعته للحضور مباشرة إلى مكتبها، وأعلمته بنتائج تحقيقها. فوصل في غضون عشر دقائق. وجلسَ قبالتها في المكتب وهو يعبثُ بأساور قميصه قلقاً.

وأعلنت السيدةُ راموتسوي قائلة: "أولاً، لا مخدرات".

فأطلقَ الدكتور ماكيتسي تنهيدةَ راحة قائلاً: "الحمد لله على ذلك. فقد كنتُ قلقاً بشأن هذا الأمر فعلاً".

وقالت السيدةُ راموتسوي بارتياب: "حسناً. إنني لستُ واثقةً أنك ستحبُّ ما سأقوله لك".

فقال وهو يلهثُ: "إنه ليس مؤهلاً. أهذا هو كلُّ شيء؟"

قالت السيدةُ راموتسوي: "إن أحدَهما مؤهل".

فبدا وجهُ الدكتور ماكيتسي خالياً من التعبير، وقال: "أحدهما؟"

استندت السيدةُ راموتسوي على كرسيها، وكان مظهرُها يوحي بأنها على وشك أن تبوحَ بسر، فبدأت قائلةً: "كان هناك في يوم من الأيام توأمان. وقد ذهبَ أحدُهما إلى كليةِ الطب، فأصبح طبيباً. أما الآخر فلم يفعل ذلك. وقد حظي الرجلُ ذو المؤهلات بوظيفة كطبيب. ولكنه كان طماعاً. فاعتقدَ أن وظيفتين ستجنيان مالاً أكثرَ من وظيفة واحدة. وهكذا حصلَ على وظيفتين، وعملَ بالاثنتين بنصفِ دوام. فكان أخوه، وهو توأمه المطابق، يقومُ بالعمل نيابةً عنه أثناءَ عدم تواجُده هناك، كما يمكنك أن تتذكر. وكان يستخدمُ معرفتَه الطبية التي التقطها من أخيه المؤهل. ولا شكَّ أنه قد حصلَ على النصيحة من أخيه بما يجبُ عليه أن يفعله. هذه هي قصةُ الدكتور كوموتي وأخيه التوأم في مافيكنغ".

جلسَ الدكتور ماكيتسي بصمتٍ تام بينما كانت السيدةُ راموتسوي تتكلم. وكان قد وضعَ وجهه بين يديه. فاعتقدت للحظة أنه كان سيبكي.

وقـال أخيـراً: "إذاً، فقد حظينا بكليهما في المستشفى. فأحياناً يكونُ عندنا الطبيبُ المؤهلُ وأحياناً يكونُ عندنا الأخُ التوأمُ".

فقالـتِ السيدةُ راموتسوي ببساطة: "نعم. فيمكننا أن نفترضَ أنَّ التوأمَ المؤهلَ يعملُ لديكم لمدةِ ثلاثةِ أيامٍ أسبوعياً بينما يتدربُ التوأمُ غيـر المـؤهلِ كممتهنٍ عامٍ في عيادةٍ للجراحةِ قربَ محطةِ مافيكنغ للسكةِ الحديدية. ثم يغيران أماكنهما. وأعتقدُ أن التوأمَ المؤهلَ يلتقطُ أي أجزاء غير صحيحةٍ يكونُ التوأمُ غير المؤهل قد تركها حوله، إن صح التعبير".

وقـال الدكـتور ماكيتسي متأملاً: "وظيفتان مقابلَ شهادةٍ طبيةٍ واحدة. إنها أكثرُ خطةٍ ماكرةٍ صادفتها منذ وقتٍ طويل".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "عليَّ أن أعترفَ أنني قد دهشتُ بها. فقـد كنتُ أعتقدُ أنني قد رأيتُ كلَّ أنواعِ الخداع البشري. ولكن من الواضحِ أن المرءَ ما يزالُ يصادفُ المفاجآتِ من وقتٍ لآخر".

حـكَّ الدكتور ماكيتسي ذقنه قائلاً: "سيكونُ عليَّ أن أذهبَ إلى الـشرطةِ بخـصوصِ هذا. وستكونُ هناك إقامةُ دعوى. إذ يجبُ أن نحمي العامةَ من أناسٍ كهؤلاء".

فبدأتِ السيدةُ راموتسوي قائلةً: "إلا إذا...".

فتمسكَ الدكتور ماكيتسي بالقشّةِ التي شكَّ أنها قد تكونُ تعرضُها عليه.

وسألها: "هل يمكنكِ أن تفكري بخيارٍ بديل؟ فحالما سينتشرُ هذا الأمـرُ بين الناس سيصابون بالرعب، وسيصبحُ لدينا أناسٌ يشجعون بعـضهم البعضَ على عدمِ الذهابِ إلى المستشفى. وأنتِ تعرفين أن برامجنا الصحيةَ العامةَ تعتمدُ على الثقة".

فقالـتِ الـسيدةُ راموتـسوي: "تمامـاً. لذا، أقترحُ أن ننقلَ الفوضـى إلـى مكانٍ آخر. إنني أتفقُ معك: فيجبُ حمايةُ العامة، ويجـبُ أن يفـصلَ الدكـتور كوموتي من الخدمة أو أياً كان ما



تفعلـونه. ولكـن لـم لا نقومُ بذلك في مكانٍ يقعُ تحت سلطةِ أحدٍ آخر؟"

"أتعنين في مافيكنغ؟"

فقالـت الـسيدةُ راموتسوي: "نعم. فرغم كلِّ شيء، لقد ارتكبتْ جـريمةٌ هـناك. فيمكننا أن ندعَ الجنوبَ أفريقيين يتعاملون مع هذا الأمـر. وعلى الأرجح، لن تسمعَ الصحفُ هنا في غابورون بالأمر. فكـل ما سيعرفُه الناسُ هنا هو أن الدكتور كوموتي قد استقال فجأةً، الأمرُ الذي غالباً ما يفعله الناسُ لأسبابٍ متنوعة".

وقـال الدكتور ماكيتسي: "حسناً، إنني لأودُّ على الأغلب أن أُبعدَ تـدخلَ الوزيـرِ عن كلِّ هذا. إذ إنني لا أعتقدُ أن الأمرَ سيساعدُ إذا أصبح... كيف سأعبرُ عن هذا؟ منزعجاً؟"

فقالت السيدةُ راموتسوي: "بالطبع لن يساعد. فسأتصلُ بعد إذنك بصديقي بيلي بيلاني، وهو رائدٌ في الشرطة هناك. فسوف يحبُّ أنْ يُرى وهو يكتشفُ طبيباً مزيفاً، وسيحبُّ أن يقومَ باعتقالٍ جيدٍ ومثيرٍ كهذا".

وقال الدكتور ماكيتسي مبتسماً: "أنت قومي بذلك".

فكـان ذلك حلاً مرتباً لأكثرِ المسائلِ غير الاعتيادية. وقد كان متأثراً جداً بالطريقةِ التي تعاملتْ بها السيدةُ راموتسوي مع الأمر.

ثـم قال: "أتعلمين؟ إنني لا أعتقدُ أنَّ حتى عمتي في موتشودي كانت لتتمكنَ من التعاملِ مع هذا الأمرِ بشكلٍ أفضلَ مما فعلتِ أنت".

فابتسمتِ السيدةُ راموتسوي لصديقها. إنَّه يمكنُ للمرءِ أن يعيشَ فـي الحياةِ ويتعرفَ على أصدقاء جددٍ كلَّ عام، أو كلَّ شهرٍ عملياً. ولكن ليس هناك أبداً أي بديلٍ عن تلك الصداقاتِ القديمةِ منذ الطفولةِ التي تستمرُ حتى سنواتِ الرشد. فتلك هي الصداقاتُ التي تربطُ الناسَ بعضهم ببعضٍ بأطواقٍ من حديد.

مدت يدها، ولمستِ الدكتور ماكيشي على ذراعه بلطفٍ كما يفعلُ الأصدقاءُ القدامى أحياناً عندما لا يكونُ لديهم شيءٌ آخر ليقولوه.



# الفصل الحادي والعشرون

## زوجةُ الطبيبِ المشعوذ

كان طريقاً وعراً بما يكفي ليكسرَ نوابضَ السيارة. فبالكادِ كانت السياراتُ تستعملُه. وكانت هناك تلةٌ وكومةٌ من الصخور تماماً كما وصفتِ الخريطةُ التي رسمَها السيدُ تشارلي غوتسو. وفي الأعلى، كانت السماءُ الخاليةُ الممتدةُ من أفقٍ إلى أفقٍ تغنّي في حرارةِ الظهر.

قادتِ السيدةُ راموتسوي سيارتها الفان البيضاء الصغيرة بحذرٍ متجنبةً الصخورَ التي كان من الممكن أن تنزعَ حوضَ الزيت عن السيارةِ متسائلةً لماذا لم يكن أحدٌ يعبرُ من ذلك الطريق. لقد كانت تلك بلاداً ميتةً لا ماشيةَ فيها ولا ماعزَ بل فيها فقط القفرُ وأشجارُ الشوك المتقزمة. فكانت رغبةُ أحد ما بأن يعيشَ هناك بعيداً عن أية قريةٍ وبعيداً عن الاتصالِ البشري تبدو أمراً يتعذرُ تفسيره. فقد كانت تلك بلاداً ميتة. وفجأةً، رأتِ البيت. وكان واقعاً في مكانٍ خلفَ الأشجارِ في ظلِ التلة تقريباً. وكان منزلاً ترابياً مجرداً ذا أسلوبٍ تقليدي بجدرانٍ طينيةٍ بنيةٍ وبضعِ نوافذَ لا زجاجَ لها مع جدارٍ بطولِ الركبةِ حول الحديقة. وكان أحدُ المالكين السابقين منذ وقتٍ طويل قد قام بطلاءِ تصميماتٍ على الجدران. ولكن الإهمالَ ومرورَ السنواتِ قد تسببا بتقشرها. فلم تبقَ سوى آثارِها.

ركنتْ سيارة الفان، وأخذتْ نفساً. وكانت قد واجهتْ محتالين وكافحتْ بنجاحٍ مع زوجاتٍ غيوراتٍ حتى إنها واجهتِ السيد غوتسو نفسه. ولكن ذلك اللقاءَ كان سيكونُ مختلفاً. فقد كان ذلك هو الشرَّ مجسداً وقلبَ الظلامِ وجذرَ الخزي. إذ إن ذلك الرجلَ بكلِ شعوذتِه وتعاويذِه السحرية، كان قاتلاً.

فتحت البابَ، وأراحتْ نفسها خارجَ سيارة الفان. وكانت الشمسُ مرتفعةً في السماء. فكانت أشعتُها تخزُ جلدَها. وكان المكانُ بعيداً جداً باتجاهِ الغرب وقريباً جداً من صحراء كالاهاري. فازدادَ قلقُها. إذ إنها لم تكن تلك الأرضَ المريحةَ التي نشأتْ فيها، بل كانت أفريقيا التي لا ترحم، والأرضَ التي لا ماءَ فيها.

توجّهت في طريقِها نحو المنزل. وبينما كانت تفعلُ ذلك شعرتْ أنها مُراقبة. لم تكن هناك حركةٌ بل كانت هناك عيونٌ متجهةٌ نحوها من داخلِ المنزل. فوقفت عند الجدار تبعاً للعادة، ونادتْ معلنةً عن نفسها قائلةً: "إنني أشعرُ بحرٍ شديد، وأحتاجُ إلى ماء".

لم يجبْ أحدٌ من داخلِ المنزل. ولكنها سمعتْ حفيفاً من جهة اليسارِ بين الشجيرات. فاستدارتْ بشعورٍ من الذنبِ تقريباً، وحدقت. وكانت هناك خنفساء كبيرةٌ ذاتُ عنقٍ صلب تدفعُ غنيمةً صغيرةً عبارةً عن إحدى الحشرات ربما تكونُ قد ماتتْ من العطش. ففكرت في نفسها: إنها كوارثٌ صغيرةٌ وانتصاراتٌ صغيرة ككوارثنا وانتصاراتنا. فعندما نشاهدُ من فوق لا نكونُ أكثرَ من هذه الخنفساء.

"يا سيدتي؟"

فاستدارتْ بشكلٍ مفاجئ. وكانت هناك امرأةٌ واقفةٌ في المدخل تمسحُ يديها بقطعةِ قماش.

فمشت السيدةُ راموتسوي عبرَ الفتحة التي لا بوابةَ لها في الجدار، وقالت: "تحياتي، يا سيدتي. إنني أدعى السيدة راموتسوي".

فأومأتْ المرأةُ برأسها، وقالت: "نعم، وأنا السيدة نوتشي".

وتفحّصتْ السيدةُ راموتسوي مظهرها. وكانت امرأةً في أواخرِ الخمسينات من عمرها أو نحو ذلك ترتدي تنورةً طويلةً من النوعِ التي كان ترتديه نساءُ (الهيريرو). ولكنها تمكنتْ من أن تعرف أنها لم تكن منهن.



وقالت: "لقد أتيتُ لرؤية زوجك، فعليّ أن أطلبَ منه شيئاً".

فخرجتِ المرأةُ من الظلِ ووقفتْ أمامَ السيدة راموتسوي وهي تنعمُ النظرَ إلى وجهها بارتباك، ثم قالت: "هل أتيتِ طلباً لشيءٍ ما؟ أتريدين أن تشتري منه شيئاً؟"

أومأت السيدةُ راموتسوي برأسها، وقالت: "لقد سمعتُ أنه طبيبٌ بارع. وأنا أعاني من متاعبَ مع امرأةٍ أخرى. فهي تأخذُ زوجي مني، وأريدُ شيئاً يوقفها".

فابتسمت المرأةُ الأكبرُ سناً، وقالت: "يمكنه أن يساعدك، فربما لديه شيءٌ ما. ولكنه غائبٌ في لوبيتس حتى يوم السبت. لذا، سيكونُ عليك أن تعودي في وقتٍ لاحق".

وتنهدتِ السيدةُ راموتسوي قائلةً: "لقد كانت رحلتي طويلة وأنا عطشى. هل لديك ماءٌ، يا أختاه؟"

"نعم، لدي ماء. ويمكنك أن تدخلي وتجلسي في المنزلِ لتشربيه".

كانت غرفةً صغيرةً مؤثثةً بطاولةٍ متداعيةٍ وكرسيين. وكان هناك صندوقٌ للحبوبِ من النوعِ التقليدي في الزاوية، وصندوقٌ معطوبٌ من الصفيح. فجلستِ السيدةُ راموتسوي على أحدِ الكرسيين بينما جلبتِ المرأةُ كوبَ ماء أبيضَ مصقولٍ بالمينا، وأعطته لزائرتها. وكان الماءُ زنخَ الرائحةِ بعضَ الشيء. ولكن السيدة راموتسوي شربته بامتنان.

ثم وضعتِ الكوبَ، ونظرتْ إلى المرأة، وقالت: "لقد جئتُ طلباً لشيء، كما تعلمين. ولكنني أتيتُ لأحذرك من أمرٍ آخر".

أخفضتِ المرأةُ نفسها، وجلستْ على الكرسي الآخر قائلةً: "لتحذريني؟"

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "نعم. إنني أعملُ ضاربةَ آلةٍ كاتبة. هل تعرفين ما يعني هذا؟"

فأومأتِ المرأةُ برأسِها.

وتابعتِ السيدةُ راموتسوي قائلة: "إنني أعملُ لدى الشرطة. وقد طبعتُ على الآلة الكاتبة شيئاً يتعلق بزوجك. وهو أن الشرطة تعلمُ أنه قتلَ الصبي من كاتسانا. فهم يعلمون أنه الرجلُ الذي أخذَه وقتلَه من أجل "المُوتي". وسوف يعتقلون زوجكَ قريباً، ويشنقونه. فأتيت لأحذِّرك أنهم سوف يشنقونك أنت أيضاً لأنهم يقولون إنك متورطةٌ في الجريمةِ أيضاً. وهم يقولون إنك قمتِ بذلك أيضاً. إنني لا أعتقدُ أنه ينبغي عليهم أن يشنقوا النساء. ولهذا، أتيتُ لأخبرك أنه يمكنك أن توقفي هذا بسرعة إذا أتيتِ معي إلى الشرطةِ وأخبرتِهم بما حدث. وسوف يصدقونك. فتنقذين حياتك. وإلا فإنك ستموتين سريعاً. وأعتقدُ أن هذا سيحدثُ في الشهرِ المقبل."

وتوقفتْ عن الكلام. وكانت المرأةُ قد أوقعتْ قطعةَ القماشِ التي كانت تحملُها. فكانت تحدقُ فيها بعينين متسعتين. وقد كانت السيدة راموتسوي تعرفُ رائحةَ الخوف، تلك الرائحةَ القويةَ اللاذعةَ التي يصدرُها الناسُ عبرَ مساماتِ جلدهم عندما يكونون خائفين. فكان الهواءُ الخاملُ حينئذٍ مفعماً بتلك الرائحة.

وسألت: "هل تفهمين ما قد قلته لك؟"

فأغمضتْ زوجةُ الطبيبِ المشعوذِ عينيها، وقالت: "إنني لم أقتلْ ذلك الصبي".

وقالت السيدةُ راموتسوي: "أعلم ذلك، فالنساءُ لا يفعلنَ هذا أبداً. ولكنّ ذلك لا يشكلُ أهميةً بالنسبة للشرطة. فلديهم دليلٌ ضدك. وتريدُ الحكومةُ أن تشنقكِ أيضاً. وسيشنقون زوجك أولَ الأمر، ثم أنت لاحقاً. فهم لا يحبون الشعوذةَ، كما تعلمين. إذ إنهم يشعرون بالخزي منها، ويعتقدون أنها ليست أمراً عصرياً".

فقالتِ المرأةُ بدون تفكير: "ولكن الصبيَّ ليس ميتاً. إنه في



محطةِ الماشية حيثُ أخذَه زوجي. وهو يعملُ هناك. إنه ما يزال على قيدِ الحياة".

فتحتِ السيدةُ راموتسوي بابَ السيارة للمرأة، وأغلقته بعنف خلفها. ثم استدارتْ إلى باب السائق وفتحته، وأراحتْ نفسَها على المقعد. وكانت الشمسُ قد جعلته ملتهباً بالحرارة. فقد كان حاراً بما يكفي ليلسعَها عبرَ قماشِ ثوبها. ولكن الألمَ لم يكن مهماً عندئذ. فكل ما كان يهمُّ هو القيامُ بالرحلةِ التي قالت المرأةُ إنها تستغرقُ أربع ساعات. وكانت الساعةُ هي الواحدة حينئذ. فكانتا ستصلان إلى هناك قبلَ الغروبِ تماماً. وكان باستطاعتهما البدءُ برحلة العودةِ مباشرة. وإذا كان عليهما التوقفُ طوالَ الليل بسبب وعورة الطريق، حسناً، عندئذ سيكونُ بإمكانهما النومُ في مؤخرةِ سيارة الفان. أما الشيءُ الهامُّ فقد كان هو الوصول إلى الصبي.

تمتِ الرحلةُ بصمت. وقد حاولت المرأةُ الأخرى التحدث. ولكنَّ السيدة راموتسوي تجاهلتها. إذ لم يكن هناك ما يمكنها أن تقوله لتلك المرأة، فلم تكن تريدُ أن تقول لها شيئاً.

فقالت زوجة الطبيب المشعوذ أخيراً: "إنك لست امرأةً لطيفة. فأنت لا تتحدثين معي. وأنا أحاولُ التحدثَ معك ولكنك تتجاهلينني. إنك تعتقدين أنك أفضلُ مني، أليس كذلك؟"

التفتت السيدةُ راموتسوي نصفَ التفاتةٍ إليها وقالت: "إن السببَ الوحيدَ الذي يجعلك تريدين أن تريني مكان الصبي هو أنك خائفة. إنك لا تفعلين ذلك لأنه تريدينه أن يعود إلى والديه. فأنت لا تهتمين للأمر، أليس كذلك؟ إنك امرأةٌ شريرة. وأنا أحذرك من أنه إذا سمع رجال الشرطةُ أنك وزوجك تمارسان الشعوذة بعد الآن فسوف يأتون ويأخذانكما إلى السجن. وإن لم يفعلوا، ذلك، فلديّ أصدقاءُ في غابورون سيأتون ويفعلون ذلك من أجلهم. هل تفهمين ما أقوله؟"

مرت الساعاتُ. وكانت رحلةً صعبةً عبرَ حقلٍ مكشوفٍ في أكثرِ الطرقِ خلواً من النباتات. وعندما وصلنا إلى هناك، شاهدنا عن بعدٍ حظائرَ الماشيةِ وتجمعَ الأشجارِ حول بضعة أكواخ.

قالت المرأةُ: "هذه هي محطةُ الماشية. وهناك اثنان من "البساروا" هناك، رجلٌ وامرأةٌ، والصبي الذي يعمل لصالحهما".

وسألت السيدةُ راموتسوي: "كيف احتفظتم به؟ كيف تعلمون أنه لن يهربَ بعيداً؟"

فقالت المرأةُ: "انظري حولك وسترين كم هذا المكانُ منعزل. فسيقبضُ عليه الرجل قبل أن يتمكنَ من الابتعاد".

وخطرت العظمةُ ببالِ السيدةِ راموتسوي. فإذا كان الصبي ما يزالُ حياً عندئذٍ من أين أتت العظمة؟

فقالت: "هناك رجلٌ في غابورون أحضرَ عظمةً من زوجك. من أين حصلتما عليها؟"

نظرت المرأةُ إليها باحتقارٍ، وقالت: "يمكنك أن تشتري العظامَ في جوهانسبرغ. ألم تكوني تعلمين ذلك؟ إنها ليست غالية".

كان الرجلُ والمرأةُ يأكلان ثريداً خشناً وهما جالسان على حجرين خارجَ أحدِ الأكواخ. وقد كانا شخصين صغيري الحجم ذابلين، ولهما عيونٌ كعيونِ الصيادين الواسعة. فحدقا بالمتطفلتين. وعندئذٍ، وقف الرجل على قدميه، وحيا زوجة المشعوذ.

فسألته بحدة: "هل الماشيةُ على ما يرام؟"

فأصدرَ الرجلُ صوتَ طقطقةٍ غريبٍ بلسانه، وقال: "إنها على ما يرام. وليست ميتة. والبقرةُ هناك تدرُّ الكثيرَ من الحليب".

وكانت كلماتُه بلغة السيتسوانا. ولكن كان على المرءِ أن يجهدَ نفسَه ليفهمها. فقد كان ذلك رجلاً يتحدثُ بطقطقاتٍ وصفيرٍ كالاهاري.



فسألته المرأةُ بحدة: "أين الصبي؟"

فأجابَ الرجلُ: "في ذلك الجانب. انظري".

وعندئذٍ، شاهدوا الصبي واقفاً بجانبِ إحدى الشجيرات يراقبهم بريبة. وكان صبياً صغيراً يغطيه الغبارُ ويرتدي سروالاً ممزقاً ومعه عصاً في يده.

نادته زوجةُ الطبيبِ المشعوذ قائلةً: "تعال إلى هنا".

فمشى الصبي إليهم وعيناه مثبتتان على الأرضِ أمامه. وكانت له كدمةٌ على جبينه، وندبةٌ ثخينةٌ. فعرفت السيدةُ راموتسوي مباشرةً ما سببها. وقد كان ذلك جرحَ سوط.

تقدمتْ إلى الأمام، ووضعت يدَها على كتفه، وقالت بلطف: "ما اسمك؟ هل أنتَ ابن المدرّسِ من قرية كاتسانا؟"

فارتجف الصبيُ. ولكنه لمحَ الاهتمامَ في عينيها، فتكلم قائلاً: "إنني ذلك الصبي. وأنا أعملُ هنا الآن. فأولئك الناسُ يجعلونني أعتني بالماشية".

وهمست السيدةُ راموتسوي: "هل يضربُك ذلك الرجل؟"

فقال الصبيُ: "طوال الوقت. وقال إنني إذا هربتُ فسوف يجدُني في القفرِ ويدخلُ عصى حادةً عبر جسدي".

قالت السيدةُ راموتسوي: "إنك بأمانِ الآن. فسوف تأتي معي الآن حالاً. امشِ أمامي وحسب، وسأعتني بك".

ألقى الصبي نظرةً خاطفةً على الرجلِ والمرأتين، وبدأ يتحركُ نحو سيارةِ الفان.

وقالت السيدةُ راموتسوي: "تابع السير. فأنا قادمةٌ أيضاً".

وضعتْه في كرسي الراكب وأغلقت البابَ.

فنادت زوجةُ الطبيبِ المشعوذِ قائلةً: "انتظري لبضع دقائق. فأنا أريدُ التحدثَ مع هؤلاءِ الناسِ عن الماشية. وبعد ذلك، يمكننا أن ننطلق".

استدارتِ السيدةُ راموتسوي إلى بابِ السائقِ ودخلت.

فنادتِ المرأةُ: "انتظري، فلن أتأخر".

انحنتِ السيدةُ راموتسوي إلى الأمامِ وشغلتِ المحرك. وعندئذ، وهي تزلق تعشيقة التروس، فتلتْ عجلةَ القيادة، وضغطتْ بقدمِها على دواسةِ البنزين. فصرخت المرأةُ وبدأت تجري خلفَ سيارةِ الفان. ولكن سرعان ما أخفتها غمامةُ الغبار. وتعثرتْ ووقعت.

التفتتِ السيدةُ راموتسوي إلى الصبي الذي كان يبدو خائفاً ومرتبكاً بجانبها.

وقالت: "إنني سآخذك إلى البيتِ الآن. وستكونُ هذه رحلةً طويلةً. فأعتقدُ أنه سيكونُ علينا التوقفُ لقضاء الليلة قريباً. ولكننا سننطلق مجدداً في الصباحِ. وعندئذ، لن تكونَ طويلةً جداً".

أوقفتْ سيارةَ الفانِ بعد ساعةٍ بجانبِ مجرى نهرٍ جاف. وكانا وحدهما تماماً. فلم تكنْ هناك حتى نارٌ من محطة ماشية بعيدة لتبددَ ظلمةَ الليل. وكان ضوءُ النجومِ فقط يقعُ عليهما. وكان ضوءاً ضعيفاً فضياً يقعُ على جسدِ الصبي النائم وهو ملفوفٌ بكيسٍ كان معها في مؤخرةِ الفان ورأسُه على ذراعها وتنفسُه منتظمٌ ويدُه مستقرةٌ بلطفٍ بين يديها. أما السيدةُ راموتسوي نفسُها التي كانت عيناها مفتوحتين فكانت تنظرُ عالياً إلى سماءِ الليلِ التي دفعَها بلطفٍ مجردُ اتساعها للنوم.

في قريةِ كاتسانا، صباحَ اليوم التالي، نظرَ مديرُ المدرسة خارجَ نافذةِ منزله، وشاهدَ سيارةَ فان بيضاء صغيرةً تقفُ في الخارج. فرأى المرأةَ تخرجُ وتنظرُ إلى بابه. ولكن ماذا عن الطفل؟ هل كانت والدةٌ تحضرُ طفلَها إليه لسببٍ ما؟

خرجَ ووجدَها عند الجدارِ المنخفضِ لحديقته.

"هل أنتَ المعلمُ، يا سيدي؟"

"إنني المعلمُ، يا سيدتي. هل يمكنني أن أقدّمَ لك أي خدمة؟"



فاستدارتْ نحو الفان، وأشارتْ إلى الطفلِ في الداخل. وانفتحَ البابُ وخرجَ ابنه. فصرخَ المعلمُ وركضَ نحو الأمام. ثم توقفَ ونظرَ إلى السيدةِ راموتسوي وكأنه يطلبُ منها تأكيداً. فأومأتْ برأسها. فركضَ إلى الأمام مجدداً متعثراً تقريباً. وخرجَ حذاؤه غيرُ المربوط من قدمه. فأمسكَ بابنه وحملَه وهو يصيحُ بانفعالٍ بلا ترابطٍ لأهلِ القريةِ والعالم ليسمعُوا فرحه.

سارتِ السيدةُ راموتسوي عائدةً إلى سيارتِها الفان غيرَ راغبةٍ بالتطفل على لحظاتِ اللقاء الحميمة. وقد كانت تبكي من أجلِ طفلها أيضاً متذكرةً اليدَ الصغيرةَ التي أمسكتْ بيدها لوقتٍ قصيرٍ محاولةً أن تتشبثَ بعالمٍ غريب ينزلقُ بعيداً عنها بسرعةٍ كبيرة. لقد كان هناك الكثيرُ من المعاناةِ في أفريقيا بحيث تُغري المرءَ بأن يقومَ بمجردِ هزِّ كتفيه والسيرِ بعيداً. ولكنها فكرت في نفسها قائلةً: إن المرءَ لا يستطيعُ أن يفعلَ ذلك وحسب.

# الفصل الثاني والعشرون

## السيد جي. إل. بي. ميتكوني

حتى سيارةٌ يُعتمدُ عليها كسيارةِ الفان البيضاء الصغيرة التي سارتْ ميلاً بعد ميلٍ دون أية مشكلةٍ يمكنُ لها أنْ تجدَ الغبارَ غير محتمل. لقد مضت سيارةُ الفانِ البيضاءُ الصغيرةُ دونَ مشكلةٍ في الرحلةِ إلى محطةِ الماشية. ولكنها عندئذٍ بعد أن عادتْ إلى البلدةِ، كانت قد بدأتْ تصدرُ أصواتاً. وكان السببُ هو الغبارَ. فقد كانت واثقةً من ذلك.

اتصلتْ بكراج تلوكوينغ رود سبيدي موتورز دون أن تكونَ لديها النيةُ أن تزعجَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني. ولكنْ موظفَ الاستقبالِ كان خارجاً لتناولِ الغداء فأجابَ هو على الهاتف. وقال لها إنها ليستْ بحاجةٍ لأن تقلقَ فقد كان سيأتي ليفحصَ سيارةَ الفان البيضاء الصغيرة في اليوم التالي. وكان يوم السبت. فكان من الممكنِ له أن يتمكنَ من إصلاحِها هناك في موقعِها في زيبرا درايف.

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "أشكُ في ذلك. فهي سيارةُ فان قديمة. وهي كبقرةٍ عجوز. فأعتقدُ أنه سيتوجبُ عليَّ أن أبيعَها".

وقال السيد جي. إل. بي. ميتكوني: "لن تفعلي ذلك. فكلُّ شيءٍ يمكنُ إصلاحُه. كل شيء".

وفكرَ في نفسه: وحتى قلبٌ مفطورٌ إلى نصفين؟ هل يمكنُهم إصلاحُ ذلك؟ هل يستطيعُ البروفسور برنارد هناك في كيب تاون أن يشفي رجلاً قلبُه ينزفُ من الوحدة؟

ذهبتِ السيدةُ راموتسوي للتسوقِ صباحَ ذلك اليوم. فقد كانت صباحاتُ أيام السبت دائماً مهمةً بالنسبة لها. فذهبتْ إلى

السوبرماركت في السوقِ واشترتْ مواداً بقالتَها وخضارها من النسوةِ الجالساتِ على الرصيفِ خارجَ محل الصيدلي. وبعد ذلك، ذهبتْ إلى فندق بريزدنت، وشربتِ القهوةَ مع أصدقائها. ثم عادت إلى البيت وشربتْ نصفَ كأسٍ من المشروبِ المفضل وهي جالسةً خارجاً في الشرفةِ تقرأ الصحيفة. فقد كان مهماً بالنسبةِ لها كتحريةٍ خاصةٍ أن تتصفحَ الصحيفةَ وأن تحتفظَ بالمعلوماتِ في ذهنها. فكان كلُّ ذلك يستحق العناءَ حتى آخر سطر من خطاباتِ المسؤولين التي يمكنُ التكهن بها وبياناتِ الكنيسة. إذ إنَّ المرءَ لا يعرفُ أبداً متى يصبحُ مقدارٌ ضئيلٌ من المعرفةِ المحليةِ ذا فائدة.

وإذا طلبَ المرءُ من السيدةِ راموتسوي على سبيلِ المثالِ أن تعطيه أسماءَ مهربي الماسِ المُدانين، فسوف تعطيه إياها. فكانت قد قرأت عن تقاريرِ محاكماتِهم جميعاً. وهي تعرفُ الأحكامَ التي صدرت بحقهم. وقد كتبتْ تقاريرَ عن ذلك كله، ووضعتَها في أحدِ الملفات.

ومن كان يملك مسلخ "ويت نومور" في أولد ناليدي؟ إنه المدعو "غودفري بوتوواني" بالطبع. وقد تذكرت صورةَ غودفري في الصحيفةِ وهو واقفٌ أمامَ مسلخه الجديد مع وزيرِ الزراعة. ولماذا كان الوزيرُ هناك؟ لأن زوجتَه "موديلا" كانت ابنةَ عمٍ إحدى نساءِ عائلة بوتوواني اللواتي فعلنَ كلَّ الضجةِ الرهيبةِ في زفافِ "ستروكس لوفينيل". لم تكن السيدةُ راموتسوي تستطيعُ أن تفهمَ الناسَ الذين لم يكونوا يهتمون بكل ذلك. فكيفَ يمكنُ للمرءِ أن يعيشَ في بلدةٍ كتلك دون أن يريدَ أن يعرفَ شؤونَ الجميعِ حتى لو لم يكن لديه سببٌ مهني لفعلِ ذلك؟

سرعان ما وصلَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بعد الساعةِ الرابعة. وكان يقودُ شاحنةَ الكراجِ الزرقاء، وعبارةُ تلوكوينغ رود سبيدي موتورز مطليةٌ على جانبها. وكان مرتدياً سرواله الكاكي ذا



الحمالتين. وقد كان نظيفاً تماماً ومكوياً بشكلٍ مرتبٍ دون تجاعيد. فأرته سيارةَ الفانِ البيضاءَ الصغيرةَ وهي مركونةٌ جانبَ المنزل. فأخرجَ رافعةً كبيرةً من مؤخرةِ شاحنته.

وقالت: "سأعدُّ لك فنجاناً من الشاي يمكنك أن تشربَه وأنت تفحصُ سيارةَ الفان".

راقبتْه من النافذة، ورأته يفتحُ قسمَ المحرك وينقرُ على القطعِ والأجزاء. ثم رأته يدخلُ إلى حجرةِ السائقِ ويشغلُ المحركَ الذي غمغمَ محدثاً صوتاً كالسعال. وفي نهايةِ المطاف، توقفَ عن العمل. فراقبته وهو ينزعُ شيئاً من المحرك، وهو عبارةٌ عن قطعةٍ كبيرةٍ كانت الأسلاكُ والخراطيمُ ناتئةً منها. فربما كان ذلك هو قلبُ سيارةِ الفان، قلبُها المخلصَ الذي كان يدقُ بشكلٍ منتظمٍ يُعتمدُ عليه. ولكنه كان حينئذٍ وهو منزوعٌ خارجاً يبدو ضعيفاً.

كان السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني يتحركُ جيئةً وذهاباً بين شاحنته وسيارةِ الفان. وأخرجتْ إليه فنجاني شايٍ ثم فنجاناً ثالثاً، فقد كان عصرَ يومٍ حار. وعندئذٍ، دخلتِ السيدةُ راموتسوي إلى المطبخ، ووضعتِ الخضارَ داخل أحدِ القدور، وسقتِ النباتاتِ التي كانت مزروعةً على عتبةِ النافذةِ الخلفية. وكان وقتُ الغسقِ يقتربُ. فكانت السماءُ مخططةً باللونِ الذهبي. وقد كان ذلك هو وقتَها المفضلَ من اليوم، حيث تقومُ الطيورُ بالانخفاضِ والانقضاضِ في طيرانها في الجو، وتبدأ حشراتُ الليلِ بالصياح. وفي ذلك الضوءِ اللطيف، تكونُ الماشيةُ تسيرُ نحو بيوتها، وتكونُ النيرانُ خارجَ الأكواخِ تطقطقُ وتتوهجُ وطعامُ الأمسيةِ يُطهى عليها.

خرجتْ لترى إن كان السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بحاجةٍ لمزيدٍ من الضوء، وكان واقفاً بجانبِ سيارةِ الفانِ البيضاءِ الصغيرةِ وهو يمسحُ يدَه بقطعةِ قماشٍ كتاني.

وقال: "ينبغي أن تكونَ على ما يرام الآن. وقد ضبطتُ المحركَ. فسوف يعمل بسلاسةٍ كالنحلة".

فصفقتْ بيديها بسرور، وقالت: "لقد اعتقدتُ أنه سيكونُ عليك أن تتخلصَ منه".

فضحكَ، وقال: "لقد قلتُ لكِ إن أيَّ شيء يمكنُ إصلاحُه حتى لو كان سيارة فان قديمة".

تبعَها إلى الداخلِ. فصبتْ له كأساً من المشروب المفضل، وذهبا معاً إلى مكانِ جلوسها المفضل، وهو الشرفة بجانبِ شجرة البوغنفيلا. وكانت الموسيقى في مكانٍ غير بعيد في أحد المنازلِ المجاورةِ تعزفُ أنغامَ الموسيقى الريفيةِ التقليديةِ الملفتةِ للنظر.

غربتِ الشمسُ، وحلَّ الظلام. فجلسَ بجانبِها في الظلامِ المريحِ، وأصغيا برضا إلى أصواتِ أفريقيا وهي تستقرُّ لتقضي ليلتَها. فنبحَ أحدُ الكلابِ في مكانٍ ما، وسُمِعَ صوتُ محركِ سيارةٍ، ثم اختفى. وكانت هناك لمسةُ ريحٍ دافئةٍ مغبرةٍ عابقةٍ برائحةِ أشجارِ الشوك.

نظرَ إليها في الظلام، إلى تلك المرأة التي كانت كلَّ شيءٍ بالنسبةِ له، الأمَ وأفريقيا والحكمةَ والفهم وأشياءَ جيدة للأكل كالبطيخ والدجاجِ ورائحةَ أنفاسِ الماشيةِ العذبة والسماءَ البيضاءَ عبر القفرِ الذي لا نهايةَ له والزرافةَ التي بكت مانحةً دموعَها للنساء ليدهنَّها على سلالهن. آه، يا بتسوانا، يا بلادي، يا دياري.

لقد كانت تلك هي أفكارُه. ولكن كيف كان يمكنُه أن يقولَ لها أياً منها؟ فكلما كان يحاولُ أن يقولَ لها ما كان في قلبه كانت الكلماتُ التي تخطرُ ببالِه تبدو غير كافية. فقد كان يعتقدُ أن الميكانيكي لا يستطيعُ أن يكونَ شاعراً. إذ إن الأمورَ ليست على هذا النحو.

لذا، قال لها ببساطة: "إنني سعيدٌ جداً أنني أصلحتُ سيارةَ الفان من أجلك. إذ كنتُ لأسفُ إذا كذبَ أحدُهم عليك وقال إنها لا تستحق التصليح. فهناك أناسٌ كهؤلاء في مهنة السيارات".





فقالت السيدةُ راموتسوي: "أعلم ذلك. وأنت لستَ منهم".

لم يقل شيئاً. ولكنْ هناك أوقاتاً يكونُ على المرءِ فيها ببساطة أن يتكلمَ أو أنه سيقضي حياتَه القادمةَ في الندم على عدم الكلام. ولكنه أخفقَ في كلِّ مرة حاولَ أن يفصحَ فيها عما كان في قلبه. إذ إنه سبقَ وطلبَ منها الزواجَ به. فلم يُكلَّلْ طلبُه ذلك بالنجاح. إذ إنه لم يكن يتمتعُ بقدرٍ كبيرٍ من الثقة مع الناس على الأقل. أما السياراتُ فقد كانت شيئاً مختلفاً بالطبع.

ثم قال: "إنني سعيدٌ بالجلوسِ هنا معك..."

فالتفتت إليه، وقالت: "ماذا قلت؟"

فقال: "لقد قلتُ من فضلكِ تزوجيني، يا سيدة راموتسوي. إنني فقط السيد جي. إل. بي. ميتكوني. وهذا هو كلُّ شيء. ولكن من فضلك تزوجيني واجعليني سعيداً".

قالت السيدةُ راموتسوي: "إنني موافقةٌ بالطبع".

إن استمتعت برواية

*"وكالة التحريات النسائية الأولى"*

فإليك فيما يلي الفصل الأول من الرواية التالية

في هذه السلسلة وهي بعنوان:

*"دموع الزرافة"*

# الفصل الأول

## منزل السيد جي. إل. بي. ميتكوني

وجدَ السيدُ "جي. إل. بي. ميتكوني"، مالك كراج "تلوكوينغ رود سبيدي موتورز"، من الصعب أن يصدقَ أن السيدة "راموتسوي"، المرأة البارعة التي أسست "وكالة التحريات النسائية الأولى"، قد وافقتْ على الزواج به. وقد حدثَ ذلك عند طلبه ذلك للمرة الثانية. فقد أدى طرحُ السؤالِ للمرةِ الأولى، والذي تطلبَ شجاعةً هائلةً من جانبه، إلى رفضٍ لطيفٍ ومفعم بالأسف. ولكنه كان رفضاً رغم ذلك. فكان قد اعتقدَ بعد ذلك أن السيدةَ راموتسوي لم تكنْ ستقدمُ على الزواج مرة أخرى أبداً وأن زواجَها الوجيزَ والمأساوي من "نوت موكوتي"، وكان عازفَ بوق وأحدَ المتحمسين للجاز، قد أقنعَها أن الزواج ليس سوى عبارة عن وصفةٍ للبؤس والمعاناة. ورغم كل شيء، فقد كانت امرأةً مستقلةَ التفكير لديها مشروعٌ تديرُه ومنزلٌ مريحٌ تملكه في "زيبرا درايف". وتساءل في نفسه: لماذا ينبغي على امرأةٍ مثلها أن تتخذَ لها زوجاً في حين أنه يمكنُ للرجلِ أن يثبتَ نفسَه على أنه تصعبُ السيطرةُ عليه حالما يتم تبادلُ عهودِ الزواج ويكونُ قد استقرَ في منزلها. كلا، إذا كان هو في مكانِ السيدةِ راموتسوي فإنه عندئذٍ سوف يرفضُ عرضَ الزواجِ حتى لو كان من شخصٍ عاقلٍ ومحترمٍ بشكلٍ واضحٍ مثله.

ولكنها وافقت في تلك الأمسيةِ وهي جالسةٌ معه في شرفتها بعد أن قضى فترةَ العصرِ وهو يصلحُ سيارتَها الفان البيضاء. فمنحته إجابتها بطريقة بسيطةٍ لطيفة غير غامضة بحيث إنه تأكدَ من اعتقاده أنها كانت إحدى أفضل النساءِ في بتسوانا. وعندما عادَ في تلك

الأمسية إلى بيته قربَ نادي قوة الدفاع فكرَ متأملاً بمقدار حظه الجيد. فها هو ذا، رجلٌ في منتصف الأربعينات من عمره كان حتى ذلك الوقت غيرَ قادرٍ على إيجادِ بديلة لزوجته المتوفاة، ولكنه أصبح حينئذٍ مباركاً بيد المرأة الوحيدة التي أعجبَ بها أكثرَ من أية امرأة أخرى. لقد كان ذلك بشكلٍ ملحوظ حظاً موفقاً يتعذّرُ إدراكه. فتساءل فيما إذا كان سيستيقظُ فجأةً من الحلم العذب الذي كان يبدو عليه أنه هائمٌ فيه.

ورغم ذلك فقد كان الأمرُ صحيحاً. ففي صباح اليوم التالي عندما أشعلَ جهازَ الراديو بجانب سريره ليسمعَ صوتَ أجراس الماشية المألوفة التي كانت إذاعةُ "راديو بتسوانا" تستهلُ بها بثها الصباحي، أدرك أن الأمرَ قد حدثَ بالفعل وأنه، ما لم تكنْ قد غيرتْ رأيها طوالَ الليل، كان رجلاً مخطوباً بقصدِ الزواج.

نظرَ إلى ساعته وكانت تشيرُ إلى السادسة. وكانت أولُ أشعة ضوء النهار تشعُ على شجرة الشوك خارجَ نافذة غرفة نومه. وسرعان ما كان الدخانُ المتصاعدُ من نيرانِ الصباح ودخانُ الخشب الجيدِ الذي يزيدُ الشهيةَ سيعبقُ في الجو. وكان سيسمعُ صوتَ الناس على الطرقِ التي تخترقُ القفرَ قربَ منزله كصراخِ الأطفالِ في طريقهم إلى المدرسة وأصواتِ الرجالِ الذاهبين بعيونٍ ناعسة إلى أعمالهم في البلدة والنساء اللواتي ينادين بعضهن البعض وأفريقيا التي تستيقظُ وتبدأ يومها. كان الناسُ يستيقظون باكراً. ولكن كان من الأفضلِ أن ينتظرَ ساعةً أو نحو ذلك قبل أن يتصلَ بالسيدة راموتسوي مما كان ليمنحها وقتاً لتنهضَ وتعدَّ فنجانها الصباحي من شاي الأعشاب. فقد كان يعلمُ أنها كانت بعد أن تفعلَ ذلك تحبُ أن تجلسَ خارجاً لتراقبَ الطيورَ على رقعةِ العشب. فكانت هناك طيورُ الهدهد بخطوطها السوداء والبيضاء وهي تلتقطُ الحشرات كالألعاب الميكانيكية وكانت هناك الحماماتُ المتبخترةُ ذات الأعناق المطوّقة



وهي منهمكةٌ بتوسلها الدائم. وقد كانت السيدةُ راموتسوي تحبُ الطيورَ. فربما كان يمكنه أن يبني لها قفصاً للطيور إن كانت مهتمةً بذلك. وكان يمكنهما أن يربيا الحمام ربما أو حتى بعضَ الطيور الأكبر حجماً مثل الصقور كما كان بعضُ الناسِ يفعلون رغم أنه لم يكن من الواضحِ ما كان يمكنهما أن يفعلاه بالصقور حالما يربيانها. فهي كانت تأكلُ الأفاعي بالطبع، وكان ذلك مفيداً. ولكن أحدَ الكلاب كان سينفعُ تماماً كطريقةٍ لإبعادِ الأفاعي خارجَ الحديقة.

عندما كان السيد جي. إل. بي. ميتكوني صبياً في مولبولول كان يملكُ كلباً برهنَ على أنه صائدُ أفاعٍ أسطوري. وكان حيواناً بنياً نحيلاً له بضعُ رقعٍ بيضاء وذيلٌ مكسورٌ. وكان قد وجدَه مهجوراً يكادُ يموتُ جوعاً عند طرف القرية. فأخذَه ليعيشَ معه في منزلِ جدته. وقد كانت غير راغبةٍ بهدرِ الطعام على حيوانٍ لم تكن له وظيفةٌ واضحةٌ. ولكنّه حازَ على تأييدها. فأبقتْ على الكلب. وفي غضون بضعة أسابيع، أثبتَ فائدتَه بقتله ثلاثَ أفاعٍ في الحديقة وواحدةً في قطعةِ الأرضِ المزروعة بالبطيخ لدى الجيران. ومن ذلك الوقت وصاعداً أصبحتْ شهرتُه مؤكدة. فإذا كان أحدُهم يعاني من مشاكلَ مع الأفاعي كان يطلبُ من السيد جي. إل. بي. ميتكوني أن يحضرَ كلبَه إلى الجوارِ ليعالجَ المشكلة.

وكان الكلبُ سريعاً بشكلٍ خارقٍ للطبيعة. فعندما كانت الأفاعي تراهُ قادماً كان يبدو عليها أنها تعرفُ أنها في خطرٍ هائل. وكان الكلبُ بشعره المنتصب وعينيه اللتين تلمعان إثارةً يتحركُ نحو الأفعى بمشية غريبة وكأنه واقفٌ على أطراف مخالبه. وعندئذ، عندما يصبحُ قريباً من فريسته كان يصدرُ هديراً منخفضاً. فكانت الأفعى تشعرُ به كاهتزازٍ في الأرض. وكانت الأفعى وهي مرتبكةٌ بشكل مؤقت تبدأ عادةً بالانزلاق بعيداً. وفي تلك اللحظة، كان الكلبُ

ينطلقُ إلى الأمام ويعضُ الأفعى ببراعةٍ خلف رأسها. فكان هذا يكسرُ عنقها. ويكونُ الصراعُ قد وصلَ لنهايته.

كـان السيد جي. إل. بي. ميتكوني يعلمُ أن كلاباً كتلك لا تصلُ إلـى سن الشيخوخة أبداً. فإذا وصلت إلى سن السابعة أو الثامنة تبدأ ردودُ أفعالهـا تتباطأ وتتحولُ الأرجحيةُ ببطءٍ لتصبحَ لصالح الأفعى. وقد سقطَ كلبُ السيد جي. إل. بي. ميتكوني في نهايةِ المطاف ضحيةً لإحـدى أفاعـي الكوبـرا ذات الطوق. فماتَ في غضونِ دقائقَ من العـضة. فلـم يكن يمكنُ لكلبٍ آخرَ أن يحلَّ محله. ولكن عندئذٍ... حـسناً، لقـد كانت تلك إمكانيةٌ أخرى تماماً انفتحتْ أمامه. فقد كان بإمكانهمـا أن يـشتريا كلباً ويختارا اسمه معاً. وقد كان سيقترحُ في الواقعِ أن تختارَ هي كلاً من الكلبِ واسمه لأنه كان حريصاً ألا تشعرَ السيدة راموتسوي أنه يحاولُ أن يتخذَ كلَّ القرارات. وفي الواقع، فقد كان ليسرّه أن يتخذَ أقل قراراتٍ ممكنة. فقد كانتْ امرأةً مؤهلةً جداً. وكانت لديه ثقةٌ كاملةٌ بقدرتها على أن تديرَ حياتهما معاً طالما أنها لا تتخلـه فـي عملها التحري. إذ إنَّ ذلك ببساطةٍ لم يخطرْ بباله. فقد كانت هي التحرية. أما هو فقد كان ميكانيكياً. وهذا ما كان ينبغي أن تبقى عليه الأمور.

سـرعان مـا اتـصلَ بهـا بعد الساعة السابعة. فبدت السيدةُ راموتسوي مسرورةً لسماعِ صوته. وسألته بلهجةٍ مؤدبةٍ فيما إذا كان قد نامَ جيداً.

فقـال الـسيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "نمتُ جيداً جداً. وحلمتُ طوال الليلِ بالمرأة الجميلة الذكية التي وافقتْ على الزواج بي".

وتوقفَ عن الكلام. فإذا كان ستعلنُ عن تغييرِ رأيها، عندئذٍ كان ذلك هو الوقتَ الذي قد يُتوقعُ منها أن تفعلَ ذلك.

فضحكتِ السيدةُ راموتسوي، وقالت: "إنني لا أتذكرُ أبداً ما أحلمُ بـه. ولكـن إن فعلتُ ذلك فأنا واثقةٌ عندئذٍ أنني سأتذكرُ أنني حلمتُ



بالميكانيكي من الدرجةِ الأولى الذي سيصبحُ زوجي يوماً ما".

ابتـسمَ الـسيدُ جي. إل. بي. ميتكوني براحةٍ. إذ إنها لم تفكرْ بالأمـرِ بشكلٍ أفضل. فكانا ما يزالان مخطوبين. وقال: "يجبُ علينا أن نـذهبَ الـيوم إلى فندقِ بريزيدنت لتناول الغداء. فيجبُ علينا أن نحتفلَ بهذه المناسبةِ الهامة".

فـوافقتِ السيدةُ راموتسوي. وكانت ستصبحُ مستعدةً في الساعة الثانية عشرة. وبعد ذلك، ربما كان سيسمحُ لها، إن كان ذلك ممكناً، أن تزورَ منزلَه لترى كيف كان يبدو. وكان سيصبحُ أمامهما منزلان. فكـان علـيهما أن يخـتارا واحداً منهما. وقد كان منزلها في زيبرا درايـف يتمتع بمواصفاتٍ جيدةٍ كثيرة. ولكنه كان قريباً نوعاً ما من مركـزِ الـبلدة. فكان هناك سببٌ للبقاء بعيداً عنها. أما منزلُه قربَ المطـارِ الـقديم فقد كانت له حديقةٌ أكبرُ حجماً. وكان بلا شك أكثرَ هـدوءاً، ولكنه لم يكنْ بعيداً عن السجن. وكانت هناك مقبرةٌ مكسوةٌ بالعـشب. وقـد كـان ذلك يشكّلُ عاملاً مهماً. فإذا كانت وحدَها في المنـزلِ ليلاً لأي سببٍ كان فلن ينفعَ أن تكونَ قريبةً جداً من المقبرة لـيس لأنها كانت مؤمنةً بالخرافات. فقد كان دينها تقليدياً وليس فيه مكانٌ للأرواحِ غير المستقرةِ أو ما شابه هذا. ورغم ذلك...

كانـت الـسيدةُ راموتسوي تؤمنُ بالربِ الذي كان، من وجهة نظرها، يسكنُ السماءَ فوق أفريقيا مباشرةً تقريباً. فكان الربُ متفهماً إلـى أقصى حد ولاسيما لأناسٍ مثلها. ولكن أن يكسرَ الناسُ قواعده كما كان الكثيرُ منهم يفعلون باستخفافٍ تام كان أمراً يستدعي العقاب. فعـندما يمـوتُ الأشـخاصُ الـصالحون مـثل والدها السيد أوبيد راموتـسوي فهم بدون شك سيكونون موضعَ ترحيبٍ من قبل الرب. وقدرُ الآخرين هو غيرُ واضحٍ. ولكنهم يرسلون إلى مكانٍ مريعٍ ما، ربمـا يـشبهُ نيجيـريا بعض الشيء، كما كانت تعتقد. فعندما كانوا يعترفون بذنوبهم تتم مسامحتهم.

كانت السيدةُ راموتسوي تعتقدُ أن الربَّ كان كريماً معها. فقد منحَها طفولةً سعيدةً مع أنها فقدتْ والدتَها عندما كانت طفلةً صغيرةً. وقد اعتنى بها كلٌّ من والدِها وابنةِ عمِّها اللطيفة. فعلّماها كيف تمنحُ الحبَّ الذي منحته بالمقابل على مدى تلك الأيام القليلة التالية لطفلها الصغير. فعندما انتهتْ معركةُ الطفلِ للبقاءِ على قيدِ الحياة، تساءلت لوقتٍ قصير لماذا فعلَ الربُّ هذا لها. ولكنها مع مضي الوقت فهمت ذلك. والآن، ظهرَ لطفُه مجدداً معها وهذه المرة بظهورِ الرجلِ الصالح اللطيف السيد جي. إل. بي. ميتكوني. لقد أرسلَ الربُّ لها زوجاً.

أثناءَ غدائهما الاحتفالي في فندقِ بريزيدنت، تناولَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني شريحتي لحم كبيرتين، وتناولتْ السيدةُ راموتسوي، التي كانت تحبُّ الطعامَ الحلو، من البوظةِ أكثرَ مما كانت تنوي في الأصل. وبعد ذلك، قادا مبتعدين في شاحنةِ السيد جي. إل. بي. ميتكوني ليتفحّصا منزله.

وقال السيد جي. إل. بي. ميتكوني بقلق: "إنه ليس مرتباً. فأنا أحاولُ أن أحافظَ على ترتيبه. ولكنه أمرٌ صعبٌ على رجل. وهناك خادمةٌ تأتي للعملِ فيه. ولكنها تجعلُه أسوأ حالاً، كما أعتقد. فهي امرأةٌ مهملةٌ جداً".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي: "يمكننا الاحتفاظُ بالمرأةِ التي تعملُ لصالحي. فهي جيدةٌ في كلِّ شيء كالكيِّ والغسيلِ والتلميع. وهي واحدةٌ من أفضلِ الأشخاصِ في بتسوانا لكل تلك المهمات. ويمكننا أن نجدَ عملاً آخر لتلك الخادمة التي تعملُ لديك".

وأضافَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بسرعة: "وهناك بعضُ الغرفِ في هذا المنزلِ تحتوي على أجزاءِ محركات. ولم يكن لدي مكانٌ كافٍ في الكراج أحياناً. فكان عليَّ أن أخزّنها فيها. وهي محركاتٌ مهمةٌ قد أحتاج إليها يوماً ما".



لم تقلِ السيدةُ راموتسوي شيئاً. فقد علمت عندئذٍ لماذا لم يدعُها السيد جي. إل. بي. ميتكوني إلى منزله من قبل. فقد كان مكتبُه في كراج تلوكوينغ رود سبيدي موتورز سيئاً بما فيه الكفاية بكل ذلك الشحم وتلك التقاويم التي كان يرسلُها مزودو القطع. وقد كانت تلك التقاويمُ سخيفةً من وجهةِ نظرها بكلِ تلك السيدات الشديداتِ النحولِ وهن جالساتٌ على الإطاراتِ ومنحنياتٌ على السيارات. لقد كانت تلك السيداتُ عديماتِ الفائدةِ لكلِّ شيء. فهن لا يصلحن لإنجابِ الأطفال. ولا يبدو على أية واحدةٍ منهن أنها قد حصلتْ على شهادةٍ مدرسيةٍ أو حتى شهادةِ التعليم الأساسي. لقد كنَّ فتياتٍ عابثاتٍ عديماتِ الفائدةِ يجعلن الرجالَ مثارين ومنزعجين فقط. وليس هذا الأمرُ جيداً لأحد. ولو كان يعلمُ الرجالُ فقط أيَّ حمقى تجعلُهم تلك الفتياتُ السيئات، ولكنهم لا يعلموا ذلك. فمن الميؤوسِ منه أن يحاولَ المرءُ إيضاحَ الأمرِ لهم.

وصلا إلى مدخلِ السيارات. فجلستِ السيدةُ راموتسوي في السيارةِ بينما دفعَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني البوابةَ المطليةَ باللونِ الفضي ليفتحَها. ولاحظتْ أن الكلابَ قد فتحتْ سلةَ المهملات، وأن بعضَ نفاياتِ الورقِ وغيره كانت مرميةً حولها. وإذا كانت ستنتقلُ إلى هناك فسوف يتوقفُ ذلك سريعاً. إذ إن الحفاظَ على الحديقةِ بنظامٍ جيدٍ في مجتمع بتسوانا التقليدي هو مسؤوليةُ المرأة. وهي لم تكنْ لترغبَ بالتأكيدِ بأن ترتبطَ بحديقةٍ كتلك.

ركنا السيارةَ أمامَ الشرفةِ تحت ساترٍ للسياراتِ كان السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني قد صممهُ من العريشةِ الظليلة. وقد كان منزلاً كبيراً بالمقاييسِ الحديثة. فقد بُني عندما لم يكن لدى البنائين سببٌ ليقلقوا حيال المساحة. وكانت كلُّ أفريقيا متاحةً في تلك الأيام، ومعظمُها غير مشغولة بالسكان. ولم يكن أحدٌ يزعجُ نفسه بتوفير

المساحة. أما الآن، فقد أصبحَ الأمرُ مختلفاً. فقد بدأ الناسُ يقلقون بشأنِ المدنِ التي أتتْ على القفرِ المحيطِ بها. وقد كان هذا المنزل، وهو كوخٌ منخفضٌ معتمٌ بعضَ الشيء ذو سقفٍ من الصفيحِ المموج، قد بُني لأحدِ المسؤولين الاستعماريين في أيامِ حكومةِ الحماية. وكانت الجدرانُ الخارجيةُ مكسوةً بالجص ومبيضةً بماءِ الكلس. وكانت الأرضياتُ من الاسمنتِ الأحمرِ المصقول الممدودِ على شكلِ مربعاتٍ كبيرة. ويبدو دائماً على أرضياتٍ كتلك أنها تكونُ باردةً للقدمين في الأشهرِ الحارة. وكان ذلك يدعو للراحةِ الفعلية. فقد كان من الصعبِ أن يفضلَ المرءُ الطينَ المسحوق وروثَ الماشيةِ في الأرضياتِ التقليدية.

نظرتِ السيدةُ راموتسوي حولها. وكانا قد دخلا إلى غرفةِ المعيشةِ التي كان البابُ الأماميُ ينفتحُ عليها مباشرةً. وكان هناك طقمٌ ثقيلٌ من الأثاث، كان باهظَ الثمنِ في الوقتِ الذي تم شراؤه فيه. ولكنه كان يبدو حينئذٍ رثاً بشكلٍ واضح. فالكراسي التي كانت لها أذرعٌ خشبيةٌ عريضةٌ كانت منجّدة بقماشٍ أحمرِ اللون. وكانت هناك طاولةٌ من الخشبِ القاسي الأسود عليها كأسٌ فارغٌ ومنفضةُ سجائر. وكانت هناك على الجدران لوحةٌ من المخملِ الداكن رُسم عليها جبلٌ، ورأسُ بقرةٍ وحشيةٍ من الخشب، وصورةٌ صغيرةٌ لنيلسون مانديلا. فاعتقدت السيدةُ راموتسوي أن تأثيرَ المنزلِ بأكمله كان ساراً تماماً، رغم أنه بالتأكيد كانت له الهيئةُ البائسةُ التي هي من صفاتِ غرفةِ الرجلِ الأعزب.

لاحظتِ السيدةُ راموتسوي قائلة: "هذه الغرفةُ جميلةٌ جداً".

فابتسمَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بابتهاجٍ قائلاً: "إنني أحاولُ أن أحافظَ عليها مرتبة. إذ إنه من المهم أن تكونَ لدينا غرفةٌ خاصةٌ للزوارِ المهمين".

سألت السيدةُ راموتسوي: "هل تستقبلُ أي زوارٍ مهمّين؟"



فعبسَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني قائلاً: "لم يأتِ أي زوارٍ حتى الآن. ولكنَّ الأمرَ محتملٌ دائماً".

وافقته السيدةُ راموتسوي قائلةً: "نعم، فالمرءُ لا يعرفُ أبداً متى يحدثُ ذلك".

ونظرتْ من فوقِ كتفها نحو بابٍ يؤدي إلى بقيةِ المنزل، وسألتْ بأدب: "هل الغرفُ الأخرى من هذا الطريق؟"

فأومأ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني برأسه، وقال: "هذا هو الجزء من المنزلِ الذي ليس مرتباً كثيراً. وربما يجبُ أن ننظرَ إليه في وقتٍ لاحق".

هزت السيدةُ راموتسوي رأسها. فأدركَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني أنه لم يكن هناك مفرٌ من هذا الأمر. إذ إن ذلك كان جزءاً لا يتجزأ من الزواج، كما اعتقد. فلا يمكنُ أن تكونَ هناك أسرار، ويجبُ أن يكونَ كلُ شيءٍ واضحاً.

فقال بتردد وهو يفتحُ الباب: "تفضلي من هنا. يجبُ عليَّ فعلاً أن أحضرَ خادمةً أفضل. فهذه لا تقومُ بعملِها بشكلٍ جيدٍ أبداً".

تبعته السيدةُ راموتسوي في الممر. وكان البابُ الأولُ الذي وصلا إليه نصفَ مفتوح. فوقفتْ في الممر، وأنعمتِ النظرَ إلى الداخل. وكانت الغرفةُ، التي من الواضح أنها كانت في السابقِ غرفةَ نوم، ذاتَ أرضيةٍ مغطاة بورقِ صحف ممتد عليها وكأنه سجادة. وكان هناك في منتصفِ الأرضيةِ محركٌ أسطواناته بارزة. وكانت الأجزاءُ المأخوذةُ منه مبعثرةً على الأرض حوله.

وقال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني وهو ينظرُ إليها قلقاً: "هذا محركٌ مميزٌ جداً. وليس له مثيلٌ في بتسوانا. ويوماً ما سأنتهي من تصليحه".

وتحركا إلى الأمام، وكانت الغرفةُ التاليةُ عبارةً عن حمام. فاعتقدتِ السيدةُ راموتسوي أنه كان نظيفاً بما فيه الكفاية حتى لو كان

فارغاً ومهملاً نوعاً ما. وكان هناك لوحٌ كبيرٌ من صابون الكاربوليك موضــوعٌ على جانبِ حوضِ الاستحمام ومتوازنٌ على منديلٍ للوجه أبيضَ وقديم. ولم يكن هناك شيء ما عدا ذلك.

وقال السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "إن صابون الكاربوليك هو صابونٌ صحي جداً. ولطالما كنتُ أستعمله".

فأومــأتِ السيدةُ راموتسوي برأسها. وقد كانت تفضلُ صابونَ زيتِ النخيلِ لأنه كان جيداً للبشرة. ولكنها تفهمت أن الرجالَ يفضلون شــيئاً منعشاً أكثر. وفكرت في نفسها: إنه حمّامٌ كئيبٌ. ولكنه نظيفٌ على الأقل.

كانت من الغرفِ الباقية واحدةٌ فقط صالحةٌ للسكن، وهي غرفةُ الطعام التي كانت فيها طاولةٌ في الوسطِ وكرسيٌّ موضوعٌ في زاويةٍ منعـزلة. وعلى أيةِ حال، فقد كانت أرضيتُها متسخةً وفيها أكوامٌ من الغبارِ تحت الأثاث وفي كل زاوية. وأياً يكنْ من كان يفترضُ به أن ينظفَ الغرفةَ فمن الواضح أنه لم يقم بكنسها لشهور. ماذا كانت تلك الخادمة تفعل؟ هل كانت تقفُ عند البوابة وتتحدثُ مع صديقاتها كما اعـتدن أن يفعلـن عـندما لا يراقبُهن أحدٌ عن كثب؟ لقد كان أمراً واضـحاً بالنسبةِ للسيدةِ راموتسوي أن الخادمة كانت تستغلُ السيد جـي. إل. بـي. ميتكوني بشكلٍ فاضح، وكانت تعتمدُ على طبيعته الطيبة لتحتفظ بوظيفتها.

وكانت الغرفُ الأخرى، رغم أنها كان تحوي أسرةً، مملوءةً بركامٍ مـن الـصناديقِ المحشوةِ بشمعاتِ الاشتعال وشفرات ماسحات الزجاج الأمامي وقطعٍ مكانيكية غريبة أخرى. أما بالنسبة للمطبخ فقد كان، رغم كـونه نظـيفاً، فارغاً بشكلٍ فعلي أيضاً. فكان يحتوي على قدرين فقط وبضعة أطباق مطلية بالمينا البيضاء وصينية سكاكين صغيرة.

قــال الـسيدُ جي. إل. بي. ميتكوني: "يفترضُ بهذه الخادمة أن تطهوَ الطعامَ لي. وهي تعدُّ وجبةً كلَّ يوم. ولكنها دائماً نفسُ الوجبة.



فكــلُّ ما آكلُه هو وجبةُ الذرة واليخنة. وهي تطهو لي أحياناً اليقطين ولكن ليس غالباً. ورغم ذلك، فهي دائماً تبدو بحاجةٍ للكثيرِ من المالِ من أجلِ مؤنِ المطبخ".

فقالــتِ السيدةُ راموتسوي: "إنها امرأةٌ كسولةٌ جداً. وينبغي أن تخجـلَ من نفسها. فإذا كانت كلُّ النساءِ في بتسوانا على هذه الشاكلة لكان رجالنا قد ماتوا قبل وقتٍ طويل".

ابتــسمَ الــسيدُ جــي. إل. بي. ميتكوني. فقد كانت خادمتُه قد استعبدتْه لسنوات. ولم تكنْ لديه أبداً الشجاعةُ ليواجهها. ولكنها ربما تكونُ حينئذٍ قد التقتْ ندَّها في السيدةِ راموتسوي. فسرعان ما ستكون تبحثُ عن أحدٍ آخر لتهمله.

وســألتِ الــسيدةُ راموتسوي: "أين هي هذه المرأةُ؟ فإنني أودُّ التحدثَ إليها".

نظرَ السيد جي. إل. بي. ميتكوني في ساعته، وقال: "ينبغي أن تكونَ هـنا قريباً. فهي تأتي إلى هنا عصرَ كلِّ يوم في حوالى هذا الوقت".

كانا جالسين في غرفةِ المعيشة عندما وصلت الخادمةُ معلنةً عن حضورِها بخبطِ بابِ المطبخ.

فقــال السيد جي. إل. بي. ميتكوني: "هذه هي. فهي دائماً تخبطُ الأبــواب. ولم تغلقْ أحدَ الأبوابِ بهدوء أبداً طوال كلِّ تلك السنوات التي عملتْ فيها هنا. فدائماً يسمعُ صوتُ الخبطِ في هذا البيت".

وقالت السيدةُ راموتسوي: "دعنا نذهبْ لرؤيتها. فأنها مهتمةٌ بأن أقابلَ تلك السيدة التي كانت تعتني بك جيداً".

قادهــا السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني في الطريقِ نحو المطبخ. وكانــت هناك امرأةٌ ضخمةٌ في منتصفِ الثلاثينات من عمرها واقفةً بجانبِ المغسلةِ تملأ إبريقاً بالماء. وقد كانت بشكلٍ ملحوظ أطول من كلٍّ من السيد جي. إل. بي. ميتكوني ومن السيدةِ راموتسوي. ورغم

كونها أنحفَ من السيدةِ راموتسوي فإنها كانت تبدو أقوى منها بشكلٍ ملحـوظ بعـضلاتها المنـتفخة وساقيها القويتين. وكانت تضعُ على رأسها قبعةً كبيرةً حمراءَ معطوبةً وترتدي معطفاً منزلياً أزرقَ فوق فـستانها. وكان حذاؤها مصنوعاً من جلدٍ لماعٍ غريبٍ نوعاً ما، مثل الجلدِ اللماعِ الذي يستعملُ لصنعِ خفِ الرقص.

تنحـنحَ الـسيدُ جـي. إل. بي. ميتكوني ليعلنَ عن حضورِه. فاستدارتِ الخادمةُ ببطء.

وبـدأتْ كلامهــا بالقول: "إنني مشغولةٌ..." ولكنها توقفتْ لدى رؤيتِها للسيدةِ راموتسوي.

فحـياها السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بالطريقةِ التقليديةِ، ثم قدّمَ ضيفتَه قائلاً: "أقدّمُ لكِ السيدةَ راموتسوي".

نظرتِ الخادمةُ إلى السيدةِ راموتسوي وأومأتْ برأسِها بوقاحة.

فقالــتِ الـسيدةُ راموتــسوي: "يـسرُّني أن تسنحَ لي الفرصةُ لمقابلـتكِ، يـا سـيدتي. فقـد سمعتُ عنكِ من السيد جي. إل. بي. ميتكوني".

ونظرتِ الخادمةُ نظرةً خاطفةً إلى ربِّ عملها، وقالت: "آه، لقد سـمعتَ عني. إنني مسرورةٌ أنه يتحدثُ عني. فأنا لا أحبُّ أن أعتقدَ أنْ لا أحدَ يتحدثُ عني".

فقالــتِ السيدةُ راموتسوي: "كلا، من الأفضلِ أن يتحدثَ الناسُ عنك من ألا يتحدثوا باستثناءِ بعضِ الأحيان".

فعبستِ الخادمةُ. وكان الإبريقُ قد امتلأ عندئذ، فأخذتْه من تحت الصنبور.

وقالــت محاولةً أن تغيرَ الموضوع: "إنني مشغولةٌ جداً. فهناك الكثيرُ ليتمَّ فعله في هذا المنزل".

فقالــتِ الـسيدةُ راموتــسوي: "نعم، هناك بالتأكيد الكثير لفعله. فمنزلٌ قذرٌ كهذا يحتاجُ إلى الكثيرِ من العمل".



تصلبتِ الخادمةُ الضخمةُ، وقالت: "لماذا تقولين إن هذا المنزلَ قذر؟ مَنْ أنتِ لتقولي إن هذا المنزل قذر؟"

فـبدأ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني بقوله: "إنها..." ولكنَّ نظرةً غاضبةً من الخادمة أسكتته. فتوقف عن الكلام.

وقالـتِ السيدةُ راموتسوي: "إنني أقولُ ذلك لأنني قد رأيتُه. فقد رأيـتُ كلَّ الغبار في غرفةِ الطعام وكلَّ القمامةِ في الحديقة. والسيد جـي. إل. بي. ميتكوني هو مجردُ رجل. فلا يمكن أن يُتوقعَ منه أن يحافظَ على نظافةِ منزله".

انفـتحتْ عيـنا الخادمــة على وسعهما. فكانت تحدّقُ بالسيدةِ راموتــسوي بحقــدٍ لا تخفيه. وكان منخراها متسعين غضباً وشفتاها ناتئتين خارجاً بعبوسٍ عدواني.

وقالــتْ بــصوتٍ شبيهٍ بالحفيف: "لقد عملتُ لصالحِ هذا الرجلِ لسنواتٍ عديدة، وكنتُ أعدُّ له طعاماً جيداً وألمّعُ الأرضيات. لقد كنتُ كلَّ يومٍ أعمل وأعمل. وقد اعتنيتُ به جيداً".

فقالتِ السيدةُ راموتسوي بهدوء: "لا أعتقدُ ذلك، يا سيدتي. فإذا كـنتِ تطعمينه جيداً لماذا هو نحيل هكذا؟ إن الرجل الذي يُعتنى به جـيداً يـصبحُ أكثـرَ بدانةً. والأمرُ ذاتُه ينطبق على الماشية. وهذا معروفٌ جيداً".

حـولتِ الخادمةُ نظرَها من السيدةِ راموتسوي إلى ربِّ عملها، وسـألته: "من هذه المرأة؟ ولماذا هي تأتي إلى مطبخي وتقولُ أشياء كهذه؟ من فضلك، اطلبْ منها أن تذهبَ إلى الحالةِ التي وجدتَها فيها".

فابـتلعَ السيدُ جي. إل. بي. ميتكوني ريقَه بصعوبةٍ، وقال بدون تفكير: "لقد طلبتُ منها الزواجَ بي. فسوف تصبحُ زوجتي".

وعندئذ، بدأتِ الخادمةُ تنهار، فصاحت قائلةً: "آه، لا يمكنك أن تتزوجَ بها. فهي ستقتلك. وهذا هو أسوأ شيء يمكنك فعله".

فتحركَ السيدُ جي. إل. بي. مينكوني، ووضعَ يداً مواسيةً على كتفِ الخادمة.

وقـــال: "لا تقلقي، يا فلورنس. إنها امرأةٌ صالحةٌ. وسوف أتأكدُ أنــك ستحـــصلين على وظيفةٍ أخرى. فلدي ابنُ عمٍ يملكُ ذلك الفندق قـــربَ محطـــةِ الحافلاتِ. وهو بحاجةٍ لخادماتٍ. وإذا طلبتُ منه أن يعطيك وظيفةً فسيقومُ بذلك".

فلم يهدّئ ذلك الخادمةَ، وقالت: "لا أريدُ أن أعملَ في فندقٍ حيث يُعامَـــلُ الجمـــيعُ كالعبيد. فأنا لستُ خادمةً يُقالُ لها افعلي هذا وافعلي ذلـــك. إنني خادمةٌ من درجةٍ رفيعةٍ مناسبةٌ للمنازلِ الخاصة. آه، لقد انتهـــى أمري الآن. وأنت انتهى أمرك أيضاً إذا تزوجتَ هذه المرأةَ البدينة. فسوف تكسرُ سريرك. وسوف تموتُ أنت سريعاً بكل تأكيد. فهذه هي نهايتك".

نظـــرَ الـــسيدُ جي. إل. بي. مينكوني بشكلٍ خاطفٍ إلى السيدةِ راموتـــسوي مـــشيراً إليها ليغادرا المطبخ. فقد اعتقدَ أنه سيكونُ من الأفـــضلِ أن تعـــودَ الخادمةُ إلى رشدِها سراً. ولم يكن قد تخيلَ أنها كانـــت ســـتتقبلُ الخبرَ بشكلٍ جيد. ولكنه بالتأكيدِ لم يكنْ قد تصورَها تتفوهُ بتكهناتٍ محرجةٍ ومزعجةٍ كتلك. وكلما أسرعَ بالتحدثِ مع ابن عمه وترتيبِ انتقالِها إلى وظيفةٍ أخرى كان الأمرُ أفضل.

عادا إلى غرفةِ الجلوسِ، وأغلقا البابَ خلفَهما بقوة.

وقالتِ السيدةُ راموتسوي: "إن خادمتَك امرأةٌ صعبة".

فقـــالَ السيدُ جي. إل. بي. مينكوني: "إنها ليستْ سهلةً. ولكنني أعـــتقدُ أنـــه لـــيس أمامنا خيارٌ آخر. فيجبُ عليها أن تذهبَ إلى تلك الوظيفةِ الأخرى".

أومـــأتِ الـــسيدةُ راموتسوي برأسِها. فقد كان على حق. وكان ســـيتوجبُ على الخادمةِ أن ترحل. ولكنهما كانا سيفعلان ذلك أيضاً. فقد اعتقدتْ أنهما لن يتمكنا من العيشِ في ذلك المنزلِ حتى لو كانت



له حديقةٌ أكبر. وكان سيتوجبُ عليهما أن يضعا فيه مستأجراً وينتقلا إلى منزلِها في زيبرا درايف. فقد كانت خادمتُها أفضلَ بكثير، وكانت ســـتعتني بهمـــا كليهما جيداً إلى أقصى حد. وفي وقتٍ قصير، كان الـــسيدُ جي. إل. بي. مينكوني سيبدأ باكتسابِ الوزن. فسيبدو كمالكِ الكـــراجِ الناجحِ الذي كانه. ونظرت بشكلٍ خاطفٍ في أنحاء الغرفة. هل كان هناك أيُّ شيءٍ قط كانا ليحتاجا إلى نقله من ذلك المنزل إلى منـــزلها؟ فاعتقدت أن الإجابةَ كانت كلا على الأرجح. وكلُّ ما كان السيد جي. إل. بي. مينكوني بحاجةٍ ليحضرَه كان حقيبةً تحتوي على ثيابهِ ولوحِ صابون الكاربوليك. وكان ذلك هو كلُّ شيء.